مسك الختام

مع السيرة النبوية الشريفة

كأنك تعيشها
من قبيل مولده ﷺ إلى وفاته ، اعتمادا على منهج المحدثين ومنهج المؤرخين
من خلال المصادر الموثوقة مع الصور والخرائط الموضحة، لا يستغني عنها
طالب علم أو بيت مسلم أو مؤسسة تربوية وتعليمية.

تأليف

الشيخ كمال أبوسنة
عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين



بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع القانوني:

2007-3384

ردمك:

978-9947-0-1866-8

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من هدي القرآن:

قال الله تعالى :

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة هود الآية: 120.

من هدي السنـة:

روى الإمام مسلم عن جابر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –عليه الصلاة والسلام– :

« مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ ».



إهداء

إلى حبيبي رسول الله النبي الكريم الذي لولاه لبقيت الإنسانية ترزح في ظلام ضلالة الجاهلية الأولى ولم تعرف الله حق المعرفة...

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لا بد منها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإني كنت قد وعدت القراء الكرام حين صدر لي كتابي: " قصص الأنبياء والمرسلين من كلام رب العالمين" أن أخصص لسيرة النبي الأكرم محمد- ﷺ - كتابا شاملا يجمع بين سهولة العرض وصحة النقل، والاعتماد على المصادر التاريخية الموثوقة، بعيدا عن الإطناب الممل، والاختصار المخل، يستفيد منه القراء على اختلاف مستوياتهم ليتعرفوا على نبيهم الكريم الذي اصطفاه ربه-عز وجل- ليحمل الرسالة ويبلغها للناس أجمعين، وأحمد الله أن وفقني لإنجاز هذا الكتاب كما وعدت.

ولا أدعي الكمال في هذا العمل، فكل إنسان معرض للنقائص، وقد قال العماد الأصفهاني: (إني رأيت أنه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ هذا لكان يستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)،ولكن حسبي أنني أحببت رسول الله - ﷺ - فحاولت أن أترجم هذا الحب إلى فعل، فكان هذا الكتاب المتواضع.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعفو عمّا بدر مني من تقصير أو سهو أو خطإ، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

العالم قبيل بعثة النبي ﷺ

كان القرن السادس والسابع للميلاد أشد القرون ظلاما وتخلفا وانحطاطا في شتى نواحي الحياة، وكانت الإنسانية قد بلغت الغاية في الانحدار والتدني حيث جفت فيها منابع الخير، وبَعُد عهدها برسالات الأنبياء، وانطفأت فيها شُعل الهداية، فأصبح الناس كقطيع لا راعي له، أو كسفينة تتقاذفها الأمواج في اليم، وانهارت دعائم الأخلاق في المجتمعات، وشاع الانحلال والتفسخ، وفقد الناس العقيدة التي تصحح مسيرتهم في الحياة، وانقسمت المجتمعات إلى طبقات متميزة، وشاع الظلم، وانتشر الفساد، وتطلع الناس إلى منقذ يأخذ بيدهم من الهاوية السحيقة.[1]

لقد تحكمت في العالم في تلك الفترة قوى كبرى تمثلت في الفرس والروم، حيث سيطرت هاتان القوتان على مناطق عديدة من العالم، وحكمتا شعوبا كثيرة، إما بالاحتلال والقهر، أو بتبعيتهم لهما اتباعا مطلقا ضاعت معه السيادة:

- الروم:

كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية تعرف بالإمبراطورية البيزنطية، فكانت تحكم دول اليونان والبلقان وآسيا وسوريا وفلسطين وحوض البحر المتوسط بأسره، ومصر وكل إفريقيا الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، وكانت دولة ظالمة مارست الظلم والجور والتعسف على الشعوب التي حكمتها، وضاعفت عليها الضرائب، وكثرت الاضطرابات والثورات، وكانت حياتهم العامة قائمة على كل أنواع اللهو واللعب والطرب والترف.

---

[1] - دراسات في السيرة النبوية ص 7.

أما مصر فكانت عرضة للاضطهاد الديني والاستبداد السياسي، واتخذها البيزنطيون شاة حلوبا يحسنون حلبها، ويسيئون علفها. وأما سوريا فقد كثرت فيهم المظالم والرقيق، ولا يعتمدون في قيادة الشعب إلا على القوة والقهر الشديد، وكان الحكم حكم الغرباء، الذي لا يشعر بأي عطف على الشعب المحكوم، وكثيرا ما كان السوريون يبيعون أبناءهم ليوفوا ما كان عليهم من ديون.[1]

كان المجتمع الروماني مليئا بالتناقض والاضطرابات، وقد جاء تصويره في كتاب"الحضارة ماضيها وحاضرها" كالآتي:

"كان هناك تناقض هائل في الحياة الاجتماعية للبيزنطيين، فقد رسخت النزعة الدينية في أذهانهم، وعمت الرهبانية، وشاعت في طول البلاد وعرضها، وأصبح الرجل العادي في البلاد يتدخل في الأبحاث الدينية العميقة، والجدل البيزنطي، ويتشاغل بها، كما طبعت الحياة العادية العامة بطابع المذهب الباطني، ولكن نرى هؤلاء – في جانب آخر– حريصين أشد الحرص على كل نوع من أنواع اللهو واللعب، والطرب والترف، فقد كانت هناك ميادين رياضية واسعة تتسع لجلوس ثمانين ألف شخص، يتفرجون فيها على مصارعات بين الرجال والرجال أحيانًا، وبين الرجال والسباع أحيانًا أخرى، وكانوا يقسمون الجماهير في لونين: لون أزرق، ولون أخضر، لقد كانوا يحبون الجمال، ويعشقون العنف والهمجية، وكانت ألعابهم دموية ضارية أكثر الأحيان، وكانت عقوبتهم فظيعة تقشعر منها الجلود، وكانت حياة سادتهم وكبرائهم عبارة عن المجون والترف، والمؤامرات والمجاملات الزائدة، والقبائح والعادات السيئة".[2]

لقد كان الحكم في روما قبل اعتناق المسيحية أوتوقراطيا، غدت فيه ذات الإمبراطور " مقدسة إلهية ، وفوق مستوى البشر، محوطة بالمراسم، بل أصبح في

---

[1] – السيرة النبوية للندوي ص 32.

[2] – السيرة النبوية للندوي ص 31. وانظر السيرة النبوية للصلابي 1/15-16.

نظر رعيته إلها، ولا يقترب الفرد من حضرته إلا ساجدا "، و لم تغير المسيحية من جوهرها وطبيعتها كثيرا، بل لقد طوعت هذه الدولة المسيحية، وكما يقول القاضي عبد الجبار:" إن المسيحية عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن المسيحية هي التي ترومت.! ".

فاحتفظت ذات الإمبراطورية بقداستها عن طريق نظرية الحق الإلهي ورئاسته للكنيسة، وانفراده بتفسير الشريعة وغدت الأوتوقراطية القديمة "قسيسية ملكية وبابوية قيصرية".

وكان للجيش والنظام الطبقي الصوت الأعلى في تقرير الأمور.[1]

- الفرس:

كانت الإمبراطورية الفارسية تعرف بالدولة الفارسية أو الكسراوية، وهي أكبر وأعظم من الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وقد كثرت فيها الديانات المنحرفة كالزرادشتية والمانية التي أسسها ماني في أوائل القرن الثالث الميلادي، ثم ظهرت المزْدكية في أوائل القرن الخامس الميلادي التي دعت إلى الإباحية في كل شيء؛ مما أدى إلى انتشار ثورات الفلاحين وتزايد النهابين للقصور فكانوا يقبضون أو يأسرون النساء ويستولون على الأملاك والعقارات فأصبحت الأرض والمزارع والدور كأن لم تسكن من قبل.

وكان ملوكهم يحكمون بالوراثة، ويضعون أنفسهم فوق بني آدم، لأنهم يعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة، وأصبحت موارد البلاد ملكًا لهؤلاء الملوك يتصرفون فيها ببذخ لا يتصور، ويعيشون عيش البهائم، حتى ترك كثير من المزارعين أعمالهم أو دخلوا الأديرة والمعابد فرارا من الضرائب والخدمة العسكرية، وكانوا وقودا حقيرا في حروب طاحنة مدمرة قامت في فترات من التاريخ دامت سنين

---

[1]- الإسلام وفلسفة الحكم ص 51.

طوال بين الفرس والروم لا مصلحة للشعوب فيها إلا تنفيذ نزوات ورغبات الملوك.[1]

كانت الإمبراطورية في فارس تقوم على فلسفة النظام الملكي الذي تدعم سطوة الملك فيه وجبروته وتنميها ثلاث:

1- عقيدة الحق الإلهي التي كان الملك يحكم بموجبها، فلقد كان الاعتقاد أن قراراته وأحكامه إنما هي وحي من الإله (أهوارا-مزدا).

2- الجيش، الذي كان من أهم مؤسسات الإمبراطورية، والذي كان الملك هو رأس هذه المنشأة العسكرية، ولقبه " أوخشترا " أي المحارب، ولقادة الجيش-" الأصابذة "- ولنخبة رجاله-" الأساورة " -أكبر النفوذ في البلاد.

3- النظام الطبقي الثابت الذي حدد لكل طبقة إطارا اجتماعيا واقتصاديا وأدبيا لا تخرج عنه، وحدودا لا تتعداها، فبعد ملك الملوك تأتي طبقة الأشراف الأولى، وهم ملوك الأقاليم التسعة في الإمبراطورية..ومن بعدهم طبقة الأسر والعائلات القوية-" واسبوران " التي يقودها مجلس مؤلف من رؤساء سبع عائلات.. ومن بعدهم طبقة النبلاء-" خوذايان "- وكبار موظفي الدولة والأقاليم-" المرازبة "-ومن بعدهم طبقة ملاك العقارات ومحتكري الإدارة والمصالح في الريف-" الدهاقنة "-ومعهم مديرو المراسم الدينية في المعابد- " الهرابذة ".

فهي دولة إقطاع حربي، تدعم سطوتها عقيدة الحق الإلهي، ويشد من أزرها نظام طبقي صارم وعريق.[2]

من الديانات المنتشرة في ذلك الوقت:

ومن الديانات التي كانت منتشرة ومعروفة في ذلك الوقت ديانات سماوية محرفة وديانات وضعية وثنية صنعتها الأهواء والأساطير.

---

[1]- السيرة النبوية للصلابي 16/1.

[2] - الإسلام وفلسفة الحكم ص 50.

كانت اليهودية معروفة في أوروبا وآسيا وإفريقيا، لكنها بعد تحريفها لم يعد أتباعها عاملا من عوامل الحضارة والسياسة، كما لم يعد للديانة اليهودية تأثير في الناس، بل ازداد اليهود الذين كانوا أقليات تعيش في أماكن متفرقة ومحدودة، انعزالا في هذه الفترة.

كما أصبحت المسيحية مزيجا من الخرافات اليونانية، والوثنية الرومية، والأفلاطونية المصرية والرهبانية، اضمحلت في جانبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة في اليم، وعادت نسيجا خشبيا من معتقدات وتقاليد لا تغذي الروح، ولا تمد العقل ولا تشعل العاطفة، ولا تحل معضلات الحياة، ولا تنير السبيل، بل أصبحت بعد تحريف دين المسيح، تحول بين الإنسان والعلم والفكر، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية منتشرة في الأراضي التي تحكمها الإمبراطورية الرومانية في أوروبا والشام ومصر وبعض المناطق في إفريقيا.

أما الأمم الأوروبية المتوغلة في الشمال والغرب فكانت تتسكع في ظلام الجهل المطبق، والأمية الفاشية، والحروب الدامية، لم ينبثق فيها فجر الحضارة والعلم بعد، و لم تظهر على مسرحها الأندلس العربية الإسلامية لتؤدي رسالتها في العلم والمدنية، و لم تصهرها الحوادث، وكانت بمعزل عن جادة قافلة الحضارة الإنسانية بعيدة عنها...وكانت بين نصرانية وليدة، ووثنية شائبة، و لم تكن بذات رسالة في الدين، ولا بذات راية في السياسة.

أما فارس التي شاطرت الروم في حكم العالم المتمدن فكانت الحقل القديم لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم، كماني[1] ومزدك[2]، كما كان الفرس

---

[1] -"ماني" مؤسس مذهب المانوية القائل بمبدأين: الخير والشر، النور والظلام، وإليه مرجع اليزيدية. أدخل على التصوير الفارسي الأسلوب الصيني ورسم الملائكة والشياطين. أعدمه "بهرام 1" بتحريض من الكهنة المزدّيين نحو 277.أنظر "المنجد في اللغة والأعلام" ص 516-517.

[2]- "مزدك" داع فارسي ظهر في أواخر القرن 5 دعا إلى إصلاح ديني وثورة اجتماعية وبشر باشتراكية الأموال والنساء. انتشرت دعوته في عهد "قباذ 1" ونتج عنها اضطرابات وفتن نحو 529 فأعدمه كسرى أنو شروان، وأعاد الزرادشية. نفس المرجع ص 531.

ينظرون إلى ملوكه كآلهة-كما أشرنا من قبل-، وجاء زرادشت فأسس لقومه عبادة النار، فأصبحت المجوسية الديانة الغالبة، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عابدة للنار.

أما في الصين فكانت تسودها ديانة "لاوتسو"[1] وديانة "كونفوشيوس"[2] و"البوذية"، وكانت الأولى تُعنى بالنظريات وأتباعها يعيشون حياة الزهد والتقشف وقد تحولت وثنية فيما بعد...وأما الثانية فكانت تُعنى بالعمليات أكثر من النظريات، لكنها انحصرت تعاليم مؤسسها في شؤون الدنيا وتدبير الأمور المادية والسياسية والإدارية فلم تكن فيها نور الإيمان ولا الاعتقاد الصحيح....

وفقدت البوذية بساطتها وابتلعتها البراهمية[3] فتحولت وثنية اتخذت "بوذا"[4] إلها من دون الله...

أما الأمم الأخرى في آسيا الوسطى وفي الشرق كالمغول والترك واليابانيين فقد كانت بين بوذية فاسدة، ووثنية همجية...

وفي الهند كانت تكثر المعبودات التافهة والآلهة المنحوتة...وعكف أهل البلاد من الملك إلى الصعلوك على عبادة الأصنام...[5]

---

[1] -"لاوتسو" فيلسوف صيني (القرن 5 أو 6 قبل الميلاد) له كتاب" الطريق والفضيلة.المرجع السابق ص 490.

[2] -"كونفوشيوس" (نحو 551-479 قبل الميلاد) فيلسوف صيني دعا إلى حياة عائلية واجتماعية مثالية. نفس المرجع السابق ص 480.

[3] - طائفة وثنية من أسمى الطوائف عند الهندوس.

[4]- "بوذا " حكيم هندي أسس مذهب البوذية ضد البرهمانية القرن 5 قبل الميلاد فلسفته مثالية تقوم على عيشة الألم والزهد والتجرد من الأنانية والشهوات للوصول إلى الفناء التام أو النيرفانا. ينتشر أتباعه في الصين واليابان والهند الصينية وكوريا وتبت ونيبال.

[5] - ملخصة بزيادات وتصرف من كتاب: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" للندوي ص 28 وما بعدها.. ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى التمهيد الذي كتبه الإمام المرحوم محمد أبو زهرة في كتابه : خاتم النبيين 15/1.

لقد بعث الله محمدا – ﷺ – بدين الإسلام ليصحح مسار البشرية الذي انحرف، ويكون الدين كله لله، وقد عرَّف هذه النعمة الإلهية على البشر جميعا الصحابي الجليل "ربعي بن عامر" – رضي الله عنه – حين قال لـــ"رستم" القائد الفارسي: " إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ".

وببعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – بدأت صفحة جديدة في حياة البشرية عامة، وفي حياة العرب خاصة الذين اختيروا لحمل الأمانة..أمانة الإسلام..الدين الذي كمَّله الله وارتضاه لكل خلقه،﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ** ﴾[آل عمران:85].

تاريخ العرب وأصولهم

العرب شعب سامي استقر في شبه الجزيرة العربية منذ قرون طويلة قبل مبعث النبي – ﷺ –، فتأثر بها مع غيره من الشعوب السامية التي سكنتها ونزحت عنها نحو الشمال مثل البابليين والآشوريين والآراميين والفينيقيين... والتي استمرت ترتبط به بروابط اللغة والأصل والموطن القديم.[1]

شبه الجزيرة العربية:

هي أكبر شبه جزيرة في العالم، يبلغ متوسط عرضها سَبعمائة ميل، ومنتهى طولها ألف ومائتا ميل، ومساحتها تبلغ حوالي مليون مربع.

ويطلق العرب عليها –تجاوزا– اسم جزيرة العرب[2]؛ يرون البحار والأنهار تكاد تحيط بها من جميع أقطارها وأطرافها، فالخليج العربي، والبحر العربي، والبحر الأحمر تحدها من الشرق والجنوب والغرب، ويكمل الفرات الحد الشرقي.كما يكمل النيل الحد الغربي؛ ليلتقيا بالحد الشمالي وهو البحر المتوسط. وهذا التحديد – الذي يقول به الهمداني– يدخل بلاد الشام كلها، والبادية التي بين العراق والشام، وبادية سيناء في جزيرة العرب، وهو يتفق مع التحديد الذي قال به "هيرودوت" حيث اعتبر النيل الحد الغربي لقارة آسيا وجعل صحراء مصر الشرقية

---

[1]– الدولة العربية الإسلامية الأولى ص15.

[2]– قال الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة في السيرة النبوية 50/1: " قسم جغرافيو العرب شبه الجزيرة إلى خمسة أقسام:

1- الحجاز.2- تهامة.3-نجد.4- العروض.5- اليمن.

وزاد الإصطخري، وابن حوقل ثلاثة أصقاع وهي: – بادية العراق.– بادية الجزيرة.– بادية الشام.

فالحجاز هي الجبال الممتدة من الجنوب إلى الشمال، وسميت حجازا، لأنها حجزت بين الغور وتهامة غربا وبين نجد شرقا، وما بين هذه الجبال إلى سيف البحر على امتداده يسمى: تهامة، وما يوجد شرق الحجاز من الأرض المرتفعة إلى أطراف العراق والسماوة يسمى: نجدا، والجزء الذي يضم بلاد اليمامة والبحرين، وما والاها يسمى الروض، وما يوجد حول صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان يسمى اليمن".

كما هي معروفة الآن جزءًا من الجزيرة العربية، والفارق بين تحديد الهمداني وهيرودوت أن الأول لم يدخل صحراء مصر الشرقية في جزيرة العرب. وبتحديد الهمداني أخذ بعض الجغرافيين المحدثين، ويختلف الجغرافيون في الحد الشمالي؛ فمنهم من يجعله صحراء النفود، وبذلك يخرجون بادية الشام من جزيرة العرب، غير أن طبيعة الأرض الجيولوجية تدخل بادية الشام وسيناء فيها، إذ إنها جزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب.

وعلى ذلك فحد جزيرة العرب من الشرق بحر عمان وخليج البصرة – خليج العرب – ونهر الفرات، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر وبرزخ السويس – قناة السويس حاليا – ومن الشمال البحر المتوسط.

وتحتل جزيرة العرب موقعًا ممتازا بين قارات العالم الثلاث القديمة، فهي تقع في الركن الجنوبي الغربي من قارة آسيا، كما تتصل بالقارة الأفريقية في ركنها الشمالي الشرقي حيث برزخ السويس قديما وقناة السويس في الوقت الحاضر، كما أنها تشرف بحدها الشمالي على شرق البحر المتوسط الذي يصلها بقارة أوربا.

أما من ناحية الخريطة الحضارية للعالم قبيل الإسلام؛ فإنها تقع عند نقطة التقاء الحضارتين السائدتين يومئذ وهما حضارة الفرس وحضارة والروم.[1]

أصول العرب:

يُقسم مؤرخو العرب أصول العرب إلى قسمين عظيمين:

القسم الأول:

أ- العرب البائدة:[2] وهم الذين بادوا ودرست آثارهم وانقطعت أخبـــارهم، ولا

[1] – مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص 13-14.

[2] – قال صاحبا كتاب جزيرة العرب 20/1:" كون المؤرخين قد ذكروا عن عاد وثمود أنهم من العرب البائدة فهذا صحيح، ولكنهم لا يقصدون المعنى الذي ذهب إليه المستشرقون وأعوانهم، بل يقصدون أن الله عز وجل=

نعرف عنهم إلا ما ورد في الكتب السماوية والشعر العربي كأخبار عـــاد وثمـــود، ومن أشهر قبائلهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى.

القسم الثاني:

ب- العرب الباقية: وينقسمون إلى فرعين:

1- العرب العاربة (القحطانية):

وهم شعب قحطان وموطنهم بلاد اليمن، ومن أشهر قبائلـــهم جـــرهم، ويعرب، ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون من فرعين كـــبيرين همـــا: كهـــلان وحمير.

وأشهر بطون حمير: قضاعة، ومن فروع قضاعة: بلى، وجهينة، وكلـــب، وبهراه، وبنو نهد، وجرهم.

وأشهر بطون كهلان: الأزد (ومنهم الأوس، والخزرج، وأولاد جفنة، وهم الغساسنة الذين ملكوا الشام)، وطيء (ومنهم جديلة، ونبهان، وبحتـــر، وزبيـــد، وثعلبة)، ومذحج (ومنهم خولان، وسعد العشيرة قبيلة المتنبي، والنخع، وعـــبس وإليهم ينسب الأسود العنسي الكذاب)، وهمذان، وكندة، ومراد، وأنمار، وجذام، ولخم.

ولما أخذ اليمنيون بأسباب الحضارة قامت عدة ممالك أشهرها: معين وسبأ وحمير وغيرها، وقد حاول بعض ملوك سبأ الاستفادة من مياه الأمطار الكثيرة،

=لم يجعل للكفار منهم خلفا وأبادهم عن آخرهم لكونهم كفروا بالله-عز وجل-ولأنهم لا يلدون إلا فاجرا كفارا، ولكن ظلت أخبارهم عالقة بأذهان العرب، كما أن الله قد حفظها لنا في قرآن يتلى إلى يوم الدين، والدليل على ما نذهب إليه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ، وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[الحاقة:4-8]. ".

فأقاموا سدا لحفظ المياه وراءه يسمى "العرم" بلسانهم، وقد تحولت أراضيهم بتنظيم الري في هذه البلاد إلى جنات كما فصل القرآن الكريم.[1] قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ، وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا، وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ، سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ [سبأ : 15 - 19].

وحين تحطم السد تفرق أهل سبأ في شتى أنحاء شبه الجزيرة العربية الجزيرة.

فسارت قبيلة ثعلبة بن عمرو نحو الحجاز، وانتهوا إلى المدينة، فغلبوا على من كان بها، وأكثرهم من اليهود، وسارت قبيلة حارثة بن عمرو- وهم خزاعة - فاقتحموا الحرم وأجلوا عنه سكانه من جرهم الثانية، وهي قبيلة قحطانية قديمة من اليمن، وسارت عمران بن عمرو نحو عمان فترلوها واستوطنوها، وهم أزد عمان، وسارت جفنة بن عمرو إلى الشام ونزلوا بماء يقال له غسان، فنسبوا إليه، ومنهم ملوك الغساسنة، وسارت لخم بن عدي إلى الحيرة وسكنوها، ومنهم نصر بن ربيعة أبو الملوك المناذرة، وسارت طيء بعد مسير الأزد إلى الشمال، ونزلوا بالجبلين أجأ وسلمى لما رأوه هناك من الخصب، وهذان الجبلان في الشمال الشرقي من المدينة يخترقهما وادي الدهناء، وقد ورد ذكرهما كثيرا في أشعار العرب الطائيين لما لهما من المنعة والحصانة، وبهما كانوا يستهينون بسلطان الملوك من بني نصر، قال شاعرهم عارق الطائي:

[1] تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن 13/1.

ومن مبلغ عمرو بن هند رسالة

إذا استحقبتها[1] العيس تنضي[2] من البعد

أبو عدني والرمل بيني وبينـــه

تـــأمل رويدا ما أمـــامـــة من هند

و من أجأ حولي رعان[3] كأنها

قبائل خيل من كميت[4] ومن ورد[5]

وسارت كلب بن وبرة من قضاعة إلى بادية السماوة، طرف شمال نجد وأقاموا بها وتتصل السماوة بأطراف العراق، ويخترقها وادي الدهناء.[6]

2- العرب المستعربة (العدنانية):

وهي العرب المنحدرة من صلب إسماعيل عليه السلام، وتسمى بالعرب المستعربة- العدنانية نسبة لعدنان من نسل إسماعيل عليه السلام -.

إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- أبو العرب المستعربة:

خليل الله إبراهيم-عليه السلام-هو ابن " آزر" الذي ينتهي نسبه إلى سام بن نوح وبين إبراهيم ونوح-عليهما السلام- مدة تزيد على ألف عام..

ولد إبراهيم الخليل-عليه السلام-في جنوب "بـــابل" وهي أرض الكلدانيين التي تقع في العراق، وكان الابن البكر لأبيه..

---

[1] - حملتها في الحقب، وهو الحزام الذي يشد عليه صدر الناقة، أي إذا حملتها العيس.

[2] - أي صارت أنضاء: هزيلة.

[3] - جمع رعن وهو أنف الجبل.

[4] - الكميت: الأحمر

[5] - الأصهب وهو لون الظباء.

[6] - المرجع السابق 14/1.

كان أبو إبراهيم "آزر" نحاتا يصنع الأصنام ويبيعها للنـــاس ليعبدوهـــا من دون الله سبحانه، ورغم ذلك نشأ الفتى إبراهيم -عليه السلام - موحدا لله- عز وجل - يكره الأصنام التي يعبدها قومه ويتقربون إليها من دون خالقهم الأعظم "الله عز وجل".

ولأن إبراهيم- عليه السلام - ولد موحدا بفطرته، وكان في صباه وشبابه الباكر لا يؤمن بالأصنام التي اتخذها قومه آلهة يعبدونها من دون الله، توجه بصدق إلى خالقه الإله الحق ليساعده على معرفته أكثر، ويزيد في قوة إيمانه، وينشر الطمأنينة في قلبه..فنظر يوما إلى السماء وقد أظلم الليل، فرأى كوكبا- قيل كوكب المشتري -فقال متسائلا:" أيعقل أن يكون هذا الكوكب ربي" ؟!، فلما غاب الكوكب واستتر قال إبراهيم: " هذا الكوكب الذي غاب لا يستحق العبادة"! ثم رأى القمر طالعا منتشر الضوء فقال: " أيعقل أن يكون هذا ربي " ؟!. فلما غاب، قال داعيا ربه- عز وجل-: " ربي الذي تستحق العبادة وحدك اهدني إليك، فإن لم تهدني أكن من القوم الضالين "..ثم رأى الشمس طالعة مشعة، فقال: " هذا أكبر من الكوكب ومن القمر! أيعقل أن يكون ربي " ؟!.

فلما غابت قال لقومه معلنا عقيدته الصحيحة بيقين: " إني بريء من شرككم، وإني أعبد الله وأوحده، الذي خلق السماوات والأرض وأدين بدينه الحق، ولست ممن يعبد غير الله ". قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[الأنعام الآية: 75-79].

حينها عرف الخليل إبراهيم- عليه السلام -ربه الخالق الأعظم، وتم التواصل بينهمـــا بعد أن هداه إليه وإلى الدين الحق، وزاده بسطة في العلم والإيمان...

كان إبراهيم- عليه السلام -تواقا لمعرفة الله- عز وجل- أكثر فأكثر، ولهذا طلب منه يوما أن يريه كيف يحي الموتى ليطمئن قلبه المؤمن المملوء بمحبة ربه الذي لا يعجزه شيء، فاستجاب الله له، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير، ثم يذبحها فيقسمها أجزاء، ويفرقها، فيضع كل جزء منها على قمة جبل، ثم يدعوهن إليه فيأتينه مشيا بإذن الله، ففعل ذلك ورأى قدرة الخالق -عز وجل- على إحياء الموتى بأمِّ عينيه، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[البقرة الآية: 260].

ورأى إبراهيم- عليه السلام -أن أباه "آزر" على الباطل يعبد الأصنام، بل ويقوم بنحتها بيده وببيعها للناس ليعبدوها، فحاول أن يوضح له الحق ويهديه إلى الله- عز وجل-حتى لا يكون حطبا لنار جهنم برا به وحبا له، لذلك توجه إليه بأدب ووعظــه وعظا رقيقا لعله يترك صناعة الأصنام وعبادتها فقال له:

-يا أبتِ لما تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر، ولا يجلب لك نفعا ولا ضرا.؟!

-يا أبتِ إني قد جاءني من العلم بالله ومعرفته ما لا تعلمه أنت، فأطعني أرشدك إلى طريق مستقيم فيه النجاة.

-يا أبتِ لا تطع الشيطان، فانه عاص للرحمن مستكبر على عبادة ربه، فمن أطاعه أغواه.!

-يا أبتِ إني أخاف أن تموت على كفرك فيحل بك عذاب الله الأليم، فتكون مع الشيطان مخلدا في النار.

قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾ [مريم الآية: 41-45].

فقابل " آزر" استعطاف ابنه إبراهيم–عليه السلام–ولطفه في النصيحة والإرشاد والدعوة بالغلظة والاعتداء، حيث قال له:– أتارك يا إبراهيم عبادة آلهتي ومنصرف عنها ؟! لئن لم تترك شتم آلهتي لأرجمنك بالحجارة، وابتعد عني ولا تعد إليّ...

فأجابه إبراهيم–عليه السلام–بأدب ولطف:

– أمَّا أنا فلا ينالك مني أذى ولا مكروه، وسأسأل الله أن يهديك ويغفر لك ذنبك فإن الله كثير الاعتناء واللطف بي، وأترككم وما تعبدون من الأصنام، وأرحل عن دياركم، وأعبد ربي وحده متمنيا أن يتقبل مني عبادتي حتى لا أكون شقيا. قال تعالى: ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا** ﴾[مريم الآية: 46-48].

ثم سعى إبراهيم إلى قومه ناصحا ومرشدا وداعيا لهم ليتركوا ما هم فيه من عبادة أحجار لا تنفع ولا تضر، فأقام عليهم الحجة بقوة دلائله ومنطقه، كما استعمل الحيلة ليبين لهم سوء فعلهم وضلال فهمهم، وبطلان دينهم، فدخل معبدهم في غيابهم وكان ذلك يوم عيدهم، وقام بتحطيم أصنامهم، وترك فقط كبير الأصنـــام، وعلق الفأس على كتفه حتى إذا اتهمه قومه بأنه الفاعل اتهم بدوره الصنم الكبير أنه هو الذي حطم الأصنام الأخرى، وما عليهم إلا أن يسألوا آلهتهم عن الفاعل الحقيقي إن كانوا ينطقون، ولكن هيهات هيهات أن ينطق حجر لا

ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر، فاستطاع إبراهيم -عليه السلام-بهذه الحيلة الذكية أن يقيم الحجة على قومه ويبين لهم بالبرهان أنهم في ضلال بعيد، وأن أصنامهم التي لم تنقذ نفسها من التكسير والتحطيم لا يعقل أن تكـــون آلـــهة تُعبد ويُتقرب إليها. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّاعِبِينَ، قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنْ الظَّالِمِينَ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ، قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنبياء، الآية: 51-67].

وعندما أقام إبراهيم-عليه السلام-الحجة والبرهان على قومه اتفقوا على التخلص منه قتلا بالحرق أمام أعين الناس جميعا حتى يكون عبرة لغيره وإرضاء لغرورهم وضلالهم، فجمعوا الحطب وأشعلوا فيه النار حتى صارت لهيبا متأججا ثم جاءوا بإبراهيم- عليه السلام -وهو مقيد اليدين والرجلين فألقوه فيها ولكن من كان الله معه فمن عليه؟.

وفي تلك اللحظة العصيبة أوحى الله تعالى إلى النار أن كوني بردا وسلاما على إبراهيم، فلم تحرق منه إلا قيوده ليخرج منها حرا سالما فذهل قومه مما رأوه، وخاب بذلك ما كانوا يرجونه.قال تعالى: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ**

كُنتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء الآية: 68-70].

وسمع الملك النمرود بإبراهيم- عليه السلام -وبدعوته إلى توحيد الله وعبادته وحده وكان هذا الملك الجبار الطاغية يدعي الألوهية فدعاه إلى قصره فلما دخل عليه الخليل- عليه السلام -قال له النمرود: من ربك هذا يا إبراهيم الذي تدعو أنت إلى عبادته؟!. قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. قال النمرود: أنا أيضا أحيي وأميت. فأمر النمرود أن يؤتى إليه بسجينين محكوم عليهما بالموت، فقتل الأول، وعفا عن الثاني، فقال النمرود لإبراهيم :

- ها قد أمت وأحييت!

حينها رد عليه إبراهيم بذكاء بالغ:

- إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب.

فسكت النمرود في ذل وهوان و لم يجد ردا ولا جوابا...

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[البقرة الآية: 258].

بعد ذلك رحل إبراهيم-عليه السلام-ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط -عليه السلام- إلى "حاران" ثم إلى فلسطين و لم يدم بهم المقام هناك حتى رحل إبراهيم وزوجه سارة إلى مصر...وكانت سارة ذات جمال باهر فسمع بها أحد الملوك الجبارين وكان من عادته أنه لا يسمع بامرأة جميلة إلا أخذها بالقوة من زوجها واغتصبها، فدعا هذا الملك الطاغية إبراهيم-عليه السلام-وسأله عن سارة فقال له : "هي أختي".

وقصد بها أنها أخته في الإسلام مستعملا المعاريض حماية لها من هذا الطاغية... فلما خرج من عنده قال لسارة: إن هذا الملك الجبار سألني عنك فقلت له بأنك أختي حتى لا يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه بذلك فليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك.

فأمر الملك الجبار أن يؤتى بسارة فلما دخلت عليه فُتن بجمالها فسألهـــا عن إبراهيم فأخبرته أنها أخته، ولكن الملك الفاجر أراد بها السوء فحاول أن يمد يده إليها فتجمدت و لم يستطع تحريكها فقال لها : اسألي لي إلهك أن يعيد يدي كما كانت ولا أضرك.

فدعت الله- عز وجل -فعادت يده كما كانت، ثم حاول مرة أخرى أن يمد يده إليها فتجمدت أشد من المرة الأولى، فطلب منها أن تدعو الله حتى يطلق يده ففعلت، فدعا بعض خدمه فقال لهم: "إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان صرعني مرتين!!!".

فوهب لها الملك هاجر، وأمر بإطلاق صراحها، فعادت سارة ومعها هاجر إلى إبراهيم-عليه السلام-وأخبرته بما جرى لها فحمد الله على حفظه وحسن رعايته وإنعامه عليه وعلى زوجه ...

كانت سارة امرأة عاقرا لا تلد، فكان يؤلمها أن ترى إبراهيم- عليه السلام - بلا ولد، وقد مرت الأعوام، وبلغت من العمر عتيا، لذلك عرضت على زوجهـــا أن يتزوج جاريتها هاجر ففعل فولدت له إسماعيل-عليه السلام- ولكن الغيرة تمكنت من قلب سارة فلم تجد دواء لها سوى أن تطلب من زوجها إبراهيم أن يحمل هاجر ورضيعها إسماعيل إلى مكان بعيد عنها، فوافق على هذا الأمر بعد أن أذن الله- عز وجل -بذلك لحكمة يعلمها هو، فهاجر إبراهيم بزوجه هاجر وولدها إسماعيل إلى مكة المكرمة، وكانت يومها خالية من الماء، ومن أي شكل من أشكال الحياة ...

فلما أراد إبراهيم العودة إلى زوجه سارة، قالت له هاجر: الله أمرك بهذا ؟ قال: نعم. قالت بإيمان ويقين وتسليم: إذن لن يضيعنا الله.

بقيت هاجر ورضيعها إسماعيل بعد عودة زوجها إبراهيم- عليه السلام -من حيث أتى في ذلك المكان المقفر حتى نفذ ما عندها من الماء والطعام، فعطش إسماعيل، واشتد بكاؤه، فجعلت أمه هاجر- رضي الله عنها - تروح وتجيء بين الصفا والمروة سبع مرات عساها ترى قافلة تمد لها يد العون، ولكن رحمة الله- عز وجل -وسعة فضله سبقت كل رحمة، وعلت كل فضل، إذ أرسل إليها جبريل- عليه السلام-فضرب بجناحه، وقيل برجله الأرض، فتفجر "ماء زمزم"[1]، فجعلت أم إسماعيل تحوطه وتغترف منه لتُذهب العطش عنها، وعن رضيعها إسماعيل- عليهما السلام -.

وبدأت الطيور تحوم حول ماء زمزم فرأت قافلة من قبيلة "جرهم" ذلك، فعلمت بوجود الماء، فتوجهوا نحوه واستأذنوا هاجر بالإقامة أمام النبع، فأذنت لهم، ثم تكاثر النـــاس بعد ذلك فشب إسماعيل- عليه السلام -وتعلم العربية والفروسية عن قبيلة "جرهم"، وتزوج منهم بعد أن صار شابا قويا يعتمد عليه...

كان إبراهيم- عليه السلام -يزور هاجر وإسماعيل بين الحين والآخر، وذات يوم رأى في المنام أن الله- عز وجل -يأمره بذبح ولده الوحيد إسماعيل-ورؤيا الأنبياء حق وصدق- فأسرع إبراهيم إلى تنفيذ أمر الله دون تردد، فقال لولده إسماعيل-عليه السلام-: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾[الصافات، الآية: 102].

[1] - لقد رُدمت زمزم بعد ذلك وتُنوسي أمرها إلى أن أعاد حفرها جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب بن هاشم الذي ورث السقاية والرفادة، وقد هُدي إلى مكانها من خلال رؤيا في المنام رآها. أنظر سيرة ابن هشام 189/1 وما بعدها.

وجاءت الإجابة واضحة من قلب مؤمن صابر طائع لله رب العالمين، حيث قال إسماعيل لوالده بهدوء واطمئنان ويقين: ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ** ﴾[الصافات الآية: 102].

فلما همَّ إبراهيم- عليه السلام -بذبح فلذة كبده الوحيد إسماعيل- عليه السلام -، جاءته الملائكة بكبش عظيم، وأمره الله- عز وجل -أن يذبحه عوضا عن ابنه جزاء طاعتهمـــا له، وحسن بلائهما، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الصافات الآية: 103-107].

وتكريما من الله- عز وجل -للخليل إبراهيم- عليه السلام - على صبره وطاعته، رزقه الله بولد آخر من صلبه ومن زوجه العجوز سارة يُدعى"إسحاق" وبشره بأنه سيكون له حفيد من هذا الولد يُسمى "يعقوب" ينعم عليهما بالصلاح والنبوة، قال تعـــالى: ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ**﴾ [الأنبياء الآية: 72].

وبعد مرور سنين طويلة، حن قلب إبراهيم- عليه السلام - لزيارة أهله في مكة المكرمة، فسافر إليهم وقد أصبح إسماعيل- عليه السلام -رجلا قويا عالما حكيما، فلما التقاه أبوه أخبره بأن الله أمره ببناء بيت له في مكة يحج الناس إليه، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجر وإبراهيم يبني وهما يقولان: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [البقرة الآية: 127-129].

عاش إبراهيم- عليه السلام -مائة وخمسا وسبعين سنة كما قيل، وقد أنزل الله الصحف عليه فيها التعاليم والأحكام، ودُفن بعد وفاته مع زوجه سارة -رضي

الله عنها- في بلدة الخليل، وكانت وصيته لأبنائه أن لا يموتوا إلا وهم على دين الإسلام. قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ، إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة الآية: 130-132].

أما إسماعيل- عليه السلام -فقد توفي في مكة، ودُفن بالحجر مع والدته هاجر-رضي الله عنها-وقد عاش مائة وسبعا وثلاثين سنة كما قيل، ورُزق اثني عشر ولدا، وكانوا رؤساء القبائل، ومن نسله خرج النبي محمد -ﷺ-.[1]

فقيدار بن إسماعيل لم يزل أبناؤه بمكة، يتناسلون هناك حتى كان منه عدنان وولده مَعَدّ، ومنه حفظت العرب العدنانية أنسابها. وعدنان هو الجد الحادي والعشرون في سلسة النسب النبوي.

و تفرقت بطون مَعَدّ من ولده نَزَار، فكان لنزار أربعة أولاد، تشعبت منهم أربع قبائل عظيمة: إياد وأنمار وربيعة ومُضَر، وهذان الأخيران هما اللذان كثرت بطونهما واتسعت أفخاذهما.

فكان من ربيعة: أسد، وعَنْزَة وعبد القيس، وابنا وائل بكر وتَغْلِب، وحنيفة وغيرها..

وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين عظيمتين: قَيْس عَيْلان بن مضر، وبطون إلياس بن مضر، فمن قيس عيلان: بنو سليم، وبنو هوازن، وبنو غَطَفان. ومن غطفان: عَبْس، وذُبْيان، وغنى.

[1]- قصص الأنبياء والمرسلين من كلام رب العالمين للمؤلف ص 42 إلى 57.

ومن إلياس بن مُضَر : تميم بن مرة، وهُذَيْل بن مُدرِكة، وبنو أسد بن خزيمة، وبطون كنانة بن خزيمة، ومن كنانة قريش، وهم أولاد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

وانقسمت قريش إلى قبائل شتى، من أشهرها: جُمَح وسَهْم وعَدِيّ ومخزوم وتَيْم وزُهْرَة، وبطون قُصَي بن كلاب، وهي: عبد الدار بن قصي، وأسد بن عبد العزى بن قصي، وعبد مناف بن قصي.

وكان من عبد مناف أربع فصائل: عبد شمس، ونَوْفَل، والمطلب، وهاشم..وبيت هاشم هو الذي اصطفى الله منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ.

قال ﷺ: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

ولما تكاثر أولاد عدنان تفرقوا في أنحاء شتى من بلاد العرب متتبعين مواقع القطر ومنابت العشب.

فهاجرت عبد القيس، وبطون من بكر بن وائل، وبطون من تميم إلى البحرين فأقاموا بها.

وخرجت بنو حنيفة إلى اليمامة فنزلوا بحُجْر، قَصَبة اليمامة، وأقامت سائر بكر بن وائل في طول الأرض من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر، فأطراف سواد العراق فَهِيت.

وأقامت تغلب بالجزيرة الفراتية، ومنها بطون كانت تساكن بَكْرا. وسكنت بنو تميم ببادية البصرة .

وأقامت بنو سليم بالقرب من المدينة، من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدينة إلى حد الجبلين، إلى ما ينتهي إلى الحرة.وسكنت ثقيف بالطائف، وهوازن في شرق مكة بنواحي أوطاس وهي على الجادة بين مكة والبصرة.

وسكنت بنو أسد شرقي تيماء وغربي الكوفة، بينهم وبين تيماء ديار بُحْـتُرٍ من طيئ، وبينهم وبين الكوفة خمس ليال .

وسكنت ذبيان بالقرب من تيماء إلى حوران.

وبقي بتهامة بطون كنانة، وأقام بمكة وضواحيها بطون قريش، وكانوا متفرقين لا تجمعهم جامعة حتى نبغ فيهم قصيّ بن كلاب، فجمعهم، وكوّن لهم وحدة شرفتهم ورفعت من أقدارهم.[1]

لقد درج علماء السير والتاريخ على تقسيم العرب إلى قحطانية وعدنانية، ولكن منهم من يرى أنهما ينتسبان إلى إسماعيل عليه السلام.

وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه لذلك فقال: باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام، وذكر في ذلك حديثًا عن سلمة قال: (خرج رسول الله – ﷺ – على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق، فقال: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، وأنا مع بني فلان. لأحد الفريقين، فأمسكوا بأيديهم، فقال: ما لهم. قالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان؟ قال: ارموا وأنا معكم كلكم).[2] وفي بعض الروايات: (ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا).

قال البخاري: وأسلم بن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة، يعني: أن خزاعة فرقة ممن كان تمزق من قبائل سبأ حين أرسل الله عليهم سيل العرم.[3]

---

[1] – فقه السيرة النبوية للغضبان ص46-47-48.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3507.

[3] – السيرة النبوية لأبي شهبة 45/1.

ممالك ودويلات في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

ينقسم العرب عامة إلى قسمين: حضر وهم سكان المدن، وبدو وأولئك هم الذين يقيمون في البادية في مساكن من بيوت الشعر، ويهيمون مع أنعامهم وأسرهم في الصحارى والهضاب انتجاعا للمرعى.[1]

وقد نشأت في شبه الجزيرة العربية منذ الألف الثالث ق.م وحدات سياسية على أساس قبلي في الجنوب وفي الشمال وفي الوسط.

ففي الجنوب نشأت الدولة المعينية بين نجران وحضرموت منذ الألف الثالث ق.م، وامتد نفوذها شمالا عبر الحجاز حتى جنوب فلسطين، وأقامت علاقات تجارية مع مصر، وبلغت أقصى ازدهارها بين سنتي 1200 و650 ق.م.

وفي اليمن نشأت دولة سبأ، وعمل أهلها في الزراعة، وقاموا بالتجارة بين الهند ومصر، وسيَّروا القوافل عبر الحجاز حتى سوريا وشاطئ المتوسط، وبلغوا عصرهم الذهبي بين سنتي 950 و115 ق.م، وبنوا البيوت والحصون والقلاع، ومن أعظم أعمالهم سد مأرب بنوه في القرن السابع ق.م على نحو مائة كلم شرق صنعاء.

كذلك نشأت الدولة الحميرية في جنوب الجزيرة، تاجرت مع الهند والحبشة، وانتصرت على مملكة سبأ، وغزاها الأحباش في القرن الميلادي الرابع، ثم استعادت استقلالها في مطلع القرن الميلادي السادس.

---

[1]- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ص 3.

ونشأت دول في الشمال كما نشأت في الجنوب، منها دولة الأنباط، وقد نزحوا من أواسط شبه الجزيرة العربية في القرن السادس ق.م واستقروا في شمالها بين العراق والبحر الأحمر، وجعلوا عاصمتهم في البتراء جنوب شرق الأردن، تعاطوا التجارة، وتعاونوا مع الرومان في مواجهة الفرس، أخيرا قضى الإمبراطور تراجان على مملكتهم سنة 106م، وما زالت البتراء تحفظ آثارا مهمة.

وأقامت قبائل عربية في واحة تدمر، فاستفادت من موقعها على طريق المرور بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، ولعبت دور الوسيط التجاري، ومحطة للقوافل، وتوسعت في عهد ملكها أذينة، وبعد وفاته 268م خلفته زوجته زنوبيا(الزباء) وبلغت تدمر في عهدها ذروة مجدها، فامتد نفوذها من مصر إلى آسية الصغرى، لكن الإمبراطور أورليانوس حاربها 270م وأخذها أسيرة إلى روما، واهتم الرومان اهتماما خاصا بتدمر والتي ما زالت تحفظ آثارا رومانية عظيمة.

ونزحت قبائل عربية من اليمن في أواخر القرن الثالث للميلاد، واستوطنت في حوران، وأسست دولة الغساسنة التي امتد نفوذها من العراق إلى خليج العقبة، وتحالفت مع البيزنطين، وصدت غارات الفرس مدافعة عن حدود الإمبراطورية الشرقية...

وأسس اللخميون أو المناذرة دولة مستقلة في الحيرة في جنوب العراق على الفرات قريبا من بابل، وذلك في القرن الميلادي الثالث، كانوا مسيحيين على المذهب النسطوري، ونافسوا الغساسنة على طرق التجارة، وتعاونوا مع الفرس في مواجهة البيزنطيين والغساسنة.

كذلك قامت كيانات سياسية في وسط شبه الجزيرة، وازدهرت بعض المدن، ففي نجد استقر النديون في أواخر القرن الخامس الميلادي، وقد أتوا من الجنوب، وتوسعوا شمالا باتجاه العراق والشام، وكان في الحجاز لمدينة مكة مقام كبير..سيطرت عليها قبيلة قريش القوية وكانت مركزا للتجارة والعبادة ووالشعر،

تأتي إليها القبائل البدوية للتجارة والحج، كذلك لسماع الـــشعر، وازدهـــرت في الحجاز مدن أخرى منها يثرب(المدينة المنورة) والطائف..[1]

[1] - موسوعة عالم التاريخ والحضارة 2/84-85-86.

الحالة الدينية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية عند العرب

- الحالة الدينية:

كان العرب نزاعيين إلى الوثنية، وكانت عبادة الأوثان[1] فرضت سلطانها على حياتهم اليومية بتفاصيلها، وإلى جانب الأوثان فقد اعتبروا الهواء، والسماء، والقمر والنجوم مهيمنة على مصائرهم وأقدارهم، وعبدوها بوصفها ذاك، بل لقد انحدروا إلى درك أسفل فعبدوا الحجارة، والأشجار، وأكوام الرمال، وعلاوة على الثلاثمائة والستين وَثَنا المنصوبة في الكعبة كان لكل قبيلة وثن خاص بها.[2]

فكان لهذيل بن مدركة: سواع، ولكلب: ود، ولمذحج: يغوث، ولخيوان: يعوق، ولحمير: نسر، وكانت خزاعة وقريش تعبد إسافًا ونائلة، وكانت مناة على ساحل البحر، تعظمها العرب كافة والأوس والخزرج خاصة، وكانت اللات في ثقيف، وكانت العزى فوق ذات عرق، وكانت أعظم الأصنام عند قريش.[3] وكان

---

[1] – عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف هو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام، فقد روى البخاري في جامعه رقم 1212عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"... لقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ، حين رأيتموني تأخرت ، ورأيت فيها عمرو بن لحي ، وهو الذي سيب السوائب".قال ابن هشام في سيرته 1/111-112:" إن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق – وهم ولد عملاق . ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح – رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه أصنام نعبدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة ، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه".

[2] – ملخصة من "حياة محمد ورسالته" لمحمد علي ص 22-23.

[3] – الغرباء الأولون ص 60 نقلا عن السيرة النبوية للصلابي 1/30.

أعظمها عندهم هبل وهو تمثال من العقيق الأحمر على شكل إنسان مكسور اليد اليمنى، وقد أدركته قريش وهو على هذا الوضع فصنعت له يدا من ذهب.[1]

فعن أبي رجاء العُطاردي قال: (كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به، فإذا دخل رجب قلنا: منصل الأسنة، فلا ندع رمحا فيه حديدة، ولا سهما فيه حديدة، إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب).[2]

أما عقيدة العرب في تلك الأصنام، فكانوا فريقين: فبعضهم كان يعبدها على أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه.

ويقولون إذا سئلوا عن الخالق الرازق؟ إنه هو الله. وإذا سئلوا عن الأصنام؟ يقولون: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾[سورة الزمر الآية:3].

وبعضهم كان يعبدها على أنها هي الآلهة التي تضر وتنفع وتعطي وتمنع، وهؤلاء هم عامتهم وضعفاء العقول منهم، وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم عجبوا من محمد -ﷺ- لأنه جعل الآلهة إلهًا واحدًا.. وذلك في قوله حكاية عنهم: ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾[ص الآية: 5].

وكان هناك قوم في اليمن يعبدون الشمس، وهم الذين ذكر الله قصتهم في القرآن الكريم مع سليمان – عليه السلام – في قوله تعالى حكاية عن الهدهد: ﴿ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ** ﴾[سورة النمل الآية: 22-24].

---

[1] – القول المبين في سيرة سيد المرسلين ص 57.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4376.

كما كان هناك طائفة من العرب يعبدون النار وهم المجوس، وقد انتقلت إليهم هذه الديانة من الفرس الذين كانوا يجاورونهم، وكذلك كانت توجد اليهودية في يثرب وخيبر، والمسيحية في الحيرة وغسان.

وهكذا كانت توجد في شبه الجزيرة العربية أديان مختلفة إلا أن الوثنية كانت هي السائدة، إذ كانت تدين بها الغالبية العظمى والأكثرية الساحقة، حتى ليمكننا أن نقول عن العرب حينئذٍ غير مبالغين: إنهم كانوا قوما وثنيين !!.

ومن الإنصاف أن نقول: إن أهل مكة لم يستسلموا لعبادة الأصنام بسهولة، ولكنها وجدت مقاومة ومعارضة لم تلبث أن انهارت بقوة الحاكم وشدته، ومهد لذلك فسق جرهم وخروجها عن سبيل الحق، ومما يشير إلى هذه المقاومة ويدل على أن العرب كانوا قبل خزاعة يدينون بالتوحيد وما ورد في الشعر الجاهلي من نعي على عمرو بن لحي الخزاعي، وأسف على ما جلبه إلى مكة من الخطايا والآثام.. فيقول قائلهم:

يا عمرو إنك أحدثت آلـــهة

شتى بمكة حول البيت أنصابا

وكان للبيت رب واحد أبدًا

فقد جعلت له في الناس أربابا

لـــتعرفن بـــأن الله في مهل

سيصطفي دونكم للبيت حجابا

ومن الإنصاف لهذا العصر –كذلك– أن نقول: إن هناك أفرادا قلائل قد استطاعوا بين هذه الظلمات المتكاثفة أن يصلوا إلى طريق الحق ويهتدوا إلى فساد عبادة الأصنام بعقولهم، ويدركوا أن هناك إلها واحدا لا شريك له ولا معقب لحكمه، وهؤلاء هم الحنفاء "أي الذين مالوا عن الباطل واتبعوا الدين الصحيح"...

ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل، وهو ابن عم عمر بن الخطاب. ويذكرون عنه أنه ترك عبادة الأصنام وصار يطوف ببلاد العرب وما جاورها يبحث عن دين إبراهيم – عليه السلام – حتى هداه الله إلى الحق... وهو الذي قال بعد أن ترك عبادة الأصنام:

رب واحـــد أم ألـــف رب

أدين إذا تـــقسمت الأمور؟

تركت اللات والعزى جميعا

كذلك يفعل الرجل البصير

فلا العزى أدين ولا ابنتـــيها

ولا صنمي بني عمرو أزور

ولكن أعبـــد الرحمـــن ربي

ليغفر ذنبي الرب الغفـــور

وقد شاء الله أن يموت زيد قبل البعثة النبوية بقليل.

ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي كان يقول:

هـــاج للقلب من هواه أذكار

ولـــيال خلالـــهـــن نـــهار

وجـــبال شـــوامخ راسيات

وعـــيـــون ميـــاههن غـــزار

ونـــجوم تـــلوح في كل فج

مشرقات وفي الدجى أقمـــار

والذي قـــد ذكرت دل الله

نفـــوسا لـــها هدى واعتبار

ومهما كان الأمر فهم قلة ضئيلة ضاقت نفوسهم بالوثنية الفاسدة فانطلقوا إلى الآفاق الرحبة الفسيحة يلتمسون الهدى، ويرجون الحق لذاته، فأدركتهم رحمة الله وصاحبتهم عنايته ورعايته. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...[1]

الحالة السياسية:

لم تكن بلاد العرب قبل ظهور الإسلام دولة عربية بالمعنى الذي نفهمه الآن من الدولة، وإنما كانت الدولة عندهم هي الجماعة في جملتها، ولم تكن هيئة لها نظامها الخاص ولا كانت لها أرض محددة، فليس هناك موظفون يدبرون شئون الجماعة بالمعنى الذي نعرفه في الدولة، بل كان هناك كيان اجتماعي طبيعي بالغ درجة النماء عرف باسم القبيلة يقوم فيه رؤساء العشائر والبطون برعاية شئون الجماعة، وكذلك الحال بالنسبة للمدن، فلم تكن المدينة هي الوحدة السياسية كما كان الحال عند اليونان. بل كانت القبيلة هي هذه الوحدة مثل قريش في مكة وثقيف في الطائف...[2]

وقد وجد نظام حضري تام في أطراف الجزيرة العربية. فقد قامت ممالك اليمن في الجنوب، كما قامت مملكة الحيرة في الشمال الشرقي، ومملكة غسان في الشمال الغربي، لكن القبيلة كانت وحدة النظام السياسي والاجتماعي في هذه الممالك، فلم تنصهر الجماعة فيها في شعب واحد كالشعب المصري أو الشعب الروماني مثلا، وإنما ظلت القبائل وحدات قائمة متمسكة بكيانها.[3]

ومكة – مثلا – وإن كانت مجتمعا حضريا، أهله أهل مدر في الغالب، غير أنها لم تكن حضرية تامة الحضارة بالمعنى الذي نفهمه اليوم؛ لأن الحياة فيها كانت

---

[1] - القول المبين في سيرة سيد المرسلين ص 57 إلى 60.

[2] – مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص 29.

[3] –نفس المصدر ص 30.

مبنية على أساس العصبية القبلية. المدينة مقسمة إلى شعاب، والشعاب هي وحدات اجتماعية مستقلة، تحكمها الأسر، وبين الأسر نزاع وتنافس على الجاه والنفوذ.[1]

والقبيلة العربية مجموعة من الناس، كانت تؤمن بوجود رابطة تجمعهم تقوم على أساسين: من وحدة الدم، ووحدة الجماعة. وفي ظل هذه الرابطة نشأ قانون عرفي ينظم العلاقة بين الفرد والجماعة على أساس من التضامن بينهما في الحقوق والواجبات، وهذا القانون العرفي كانت القبيلة تتمسك به أشد التمسك في نظامها السياسي والاجتماعي على السواء.[2]

وكانت القبيلة تتكون من طبقات ثلاث:

1- **طبقة الأحرار أبناء القبيلة الصرحاء**: وهم الذين يجمع بينهم الدم الواحد والنسب المشترك.

2- **طبقة الموالي**: وهم من انضموا إلى القبيلة من العرب الأحرار من غير أبنائها عن طريق الجوار أو الحلف أو العتقاء من الأرقاء فيها.

3- **طبقة الأرقاء**: وهم المجلوبون عن طريق الشراء، أو أسرى الحروب.[3]

أما اختيار الزعماء فإنه يقوم عند العرب على اختيار سادة القبائل وشيوخها... ويعتمدون غالبا في مؤهلات الاختيار على توفر صفات الرجولة والسيادة حسب عرفهم، مع اعتبار شرف النسب.[4]

وكانت كل قبيلة من القبائل العربية لها شخصيتها السياسية، وهي بهذه الشخصية كانت تعقد الأحلاف مع القبائل الأخرى، وبهذه الشخصية أيضا كانت

---

[1]- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 91/7.

[2] - مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص 30.

[3] - مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص 35- 36.

[4] - التاريخ الإسلامي مواقف وعبر 38/1.

تشن الحرب عليها، ولعل من أشهر الأحلاف التي عقدت بين القبائل العربية، حلف الفضول (حلف المطيبين).

وكانت الحروب بين القبائل على قدم وساق ومن أشهر هذه الحروب حرب الفجار، وكان – عدا هذه الحروب الكبرى – تقع إغارات فردية بين القبائل تكون أسبابها شخصية أحيانا، أو طلب العيش أحيانا أخرى، إذ كان رزق بعض القبائل في كثير من الأحيان في حد سيوفها، ولذلك ما كانت القبيلة تأمن أن تنقض عليها قبيلة أخرى في ساعة من ليل أو نهار لتسلب أنعامها ومؤنها، وتدع ديارها خاوية كأن لم تسكن بالأمس.[1]

الحالة الاقتصادية:

أما الزراعة فكانت قائمة في أطراف الجزيرة العربية وخاصة في اليمن والشام، وبعض الواحات المنتشرة في الجزيرة.

لكن الغالب على البادية رعي الإبل والغنم وقصد مواقع الكلأ والتنقل لانتجاعه حيث لا يعرفون الاستقرار إلا في مضارب خيامهم، بينما أهل المدن الكبرى يعملون أحيانا في الزراعة.

وأما الصناعات فكانوا أبعد الأمم عنها، وكانوا يأنفون منها، ويتركون العمل فيها للأعاجم والموالي...وعندما أرادوا بنيان الكعبة وهي أقدس شيء عندهم استعانوا برجل قبطي نجار كان مقيما في مكة.[2]

واشتغل العرب بالتجارة، وكان لهم رحلتان عظيمتان شهيرتان: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، يذهبون فيها آمنين بينما الناس يتخطفون من حولهم، هذا عدا الرحلات الأخرى التي يقومون بها طوال العام، قال تعالى:

---

[1] – السيرة النبوية للصلابي 34/1.

[2] – فقه السيرة النبوية للغضبان ص 60.

﴿ لإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[قريش الآية: 1-4].[1]

وكانت مكة ممسكة بزمام التجارة في بلاد العرب، تنعقد فيها وحولها أعظم أسواق[2] العرب التجارية والأدبية في موسم الحج من كل عام، وقوافلها التجارية تجوب أطراف شبه الجزيرة العربية، تحمل التجارة بين الشرق والغرب، متجهة إلى اليمن وإلى الحبشة وإلى الشام وإلى العراق.

وقد أتاح لها هذه الفرصة موقعها الممتاز في وسط طريق التجارة البري المار بالحجاز، وهو الطريق الوحيد الذي بقي آمنا في ذلك الوقت1. وقيام البيت الحرام الذي انعقد إجماع العرب على تعظيمه والحج إليه، كما أنها بعدت عن منطقة التصارع الدولي لبعد موقعها؛ فنجت مما أصاب غيرها من أطراف الجزيرة العربية من الوقوع في مجال العراك القائم بين الشرق والغرب – الفرس والروم – في ذلك الوقت، ولبعد موقعها وصعوبة وصول الجيوش إليها احتفظت باستقلالها، كما احتفظت بطابعها العربي الأصيل، والحملة العسكرية الوحيدة التي وجهت إليها هي حملة الأحباش سنة 570م، وقد باءت بالفشل، فعزز فشلها مركز مكة عند العرب جميعا، وأصبحت تتمتع في المجال العربي بتوجيه عام، بعدما أصاب الممالك القائمة في أطراف الجزيرة من انهيار، ووقوعها جميعا تحت سلطان الدول الكبرى.

وقد أتاح لها هذا –كما أتاح لها موقفها الحيادي– أن تمثل دور الوسيط المحايد في نقل التجارة التي كانت ضرورية لكل من الطرفين المتنازعين، وبذلك تمتعت بظروف اقتصادية طيبة من مزاولتها للتجارة بشقيه، الداخلية والخارجية، وقد أجرى رجال مكة الترتيبات المفصلة التي تكفل لهم الانتفاع بهذا الظرف على أكمل وجه، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير، وجنوا من وراء ذلك ثروة كبيرة

---

[1] – السيرة النبوية لأبي شهبة 99/1.

[2] – مثل سوق عكاظ، ومجنّة، وذي المجاز.

عوضتهم عن فقر البيئة التي تحيط بمكة، وجعلتهم يحتلون مركز الزعامة في الجزيرة العربية كلها في بداية القرن السابع الميلادي.[1]

الحالة الأخلاقية والاجتماعية:

أما من جهة الأخلاق، فكانت فيهم أدواء وأمراض متأصلة، وأسبابها فاشية، فكان شرب الخمر واسع الشيوع شديد الرسوخ فيهم تتحدث عن معاقرتها والاجتماع على شربها الشعراء...وكانت حوانيت الخمارين مفتوحة دائما ، يرفرف عليها علم يسمى غاية.

قال لبيد:

قد بتُّ سامرها وغاية تاجر

وافيت إذ رفعت وعز مُدامها

وكان من شيوع تجارة الخمر أن أصبحت كلمة التجارة مرادفا لبيع الخمر، كما قال لبيد: وغاية تاجر، وقال عمرو بن قميئة:

إذا سحب الريط والمروط إلى

أدنى تجاري وأنقص اللمما

وكان القمار من مفاخر الحياة الجاهلية. قال الجاهلي:

أعيرتنا ألبانها ولحومها

وذلك عار يابن ريطة ظاهر

نحابي بها أكفاءنا ونهينها

ونشرب في أثمانها ونقامر

---

[1] – مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص 171.

وكان عدم المشاركة في مجالس القمار عارا ، يقول الشاعر:

وإذا هلكتُ فلا تريدي عاجزا

غـــسا ولا برما ولا معزالا

قال قتادة: كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقعد حزينا سليبا ينظـــر إلى ماله في يد غيره، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضا.

وكان أهل الحجاز، العرب واليهود، يتعاطون الربا، وكان فاشـــيا فـــيهم، وكانوا يجحفون فيه ويبلغون إلى حد الغلو والقسوة...

وقد رسخ الربا فيهم وجرى منهم مجرى الأمور الطبيعية الـــتي صـــاروا لا يفرقون بينه وبين التجارة الطبيعية وقالوا إنما البيع مثل الربا...

و لم يكن الزنا نادرا وكان غير مستنكر استنكارا شديدا، فكان من العـــادات أن يتخذ الرجل خليلات ويتخذ النساء أخلاء بدون عقد، وكانوا قـــد يُكرهـــون بعض النساء على الزنا، قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية يكرهون إمـــاءهم علـــى الزنا يأخذون أجورهن.

قالت عائشة: (إن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح أخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: " قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا

فلان "، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل. ونكاح رابع: يجتمع الناس كثيرا، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أراد دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك فلما بعث النبي ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم).[1]

وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحيف، وتؤكل حقوقها وتُبْتز أموالها وتُحرم إرثها وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجا ترضاه[2] وتورث كما يورث المتاع أو الدابة[3]، عن ابن عباس قال : (كان الرجل إذا مات أبوه أو حميّه فهو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت فيذهب بمالها). وقال عطاء بن أبي رباح: (إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم). وقال السُدّي : (إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو يُنكحها فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها، وكانت المرأة في الجاهلية يطفف معها الكيل، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها، يؤخذ مما تؤتى من مهر وتمسك ضرارا للاعتداء[4]، وتلاقي من بعلها نشوزا أو إعراضا وتترك في بعض الأحيان كالمعلقة[5] ومن المأكولات ما هو خالص للذكور

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 5127.

[2] - سورة البقرة: الآية 232.

[3] - سورة النساء: الآية 19.

[4] - سورة البقرة: الآية 231.

[5] - سورة النساء: الآية 139.

ومحرم على الإناث[1]، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد[2].

وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد. ذكر الهيثم بن عدي – على ما حكاه عنه الميداني– أن الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة، فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة..وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد الأولاد فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن، ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء (سوداء) أو برشاء (برصاء) أو كسحاء (عرجاء) تشاؤما منهم بهذه الصفات، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر، وهم الفقراء من بعض قبائل العرب فكان يشتريهم من بعض سراة العرب وأشرافهم. قال صعصعة بن ناجية : (جاء الإسلام وفديت ثلاثمائة موءودة)، ومنهم من كان ينذر– إذا بلغ بنوه عشرة – نحرَ واحدا منهم كما أراد أن يفعل عبد المطلب–بابنه عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم–، ومنهم من يقول: الملائكة بنات– الله سبحانه عما يقولون – فألحقوا البنات به تعالى فهو عز وجل أحق بهن.

وكانوا يقتلون البنات ويئدونهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان، فقد يتأخر وأد الموءودة لسفر الوالد وشغله فلا يئدها إلا وقد كبرت وصارت تعقل، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات، وقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق.

وكانت العصبية القبلية والدموية شديدة جامحة، وكان أساسها جاهليا تمثله الجملة المأثورة عن العرب: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما). فكانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين.

---

[1] – سورة الأنعام: الآية 140.

[2] – سورة النساء : الآية 3.

وكانت في المجتمع العربي طبقات وبيوت ترى لنفسها فضلا على غيرها، وامتيـــازا، فتترفع على الناس ولا تشاركهم في عادات كثيرة حتى في بعض مناسك الحج، فلا تقف بعرفات وتتقدم على الناس في الإفاضة والإجازة[1]، وتنسأ الأشـــهر الحـــرم، وكان النفوذ والمناصب العليا والنسيء متوارثا، يتوارثه الأبناء عن الآباء...

وكان الحرب والغزو مما طبعت عليه طبيعتهم العربية، وألهمتهم إياه معيشتهم البدوية، حتى صارت الحرب مسلاة لهم وملهى فقال قائلهم:

وأحـــيانا على بكر أخـــينا

إذا ما لم نـــجد إلا أخـــانا

هانت عليهم الحرب وإراقة الدماء حتى كانت تثيرها حادثة ليست بذات خطـــر، فقد وقعت الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل ومكثت أربعين سنة أريقت فيها دماء غزيرة، وما ذاك إلا لأن كليباً– رئيس معدّ – رمى ضلع ناقة البسوس بنت منقـــذ فاختلط دمها بلبنها وقتل جساس بن مرة كليبا، واشتبكت الحـــرب بـــين بكـــر وتغلب، وكان كما قال المهلهل أخو كليب: (قد فني الحيان وثكلـــت الأمهـــات ويتم الأولاد، دموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن).

كذلك حرب داحس والغبراء فما كان سببها إلا أن داحسا فرس قيس بـــن زهير كان سابقا في رهان بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر فعارضه أسدي بإيعاز من حذيفة فلطم وجهه وشغله ففاتته الخيل، وتلا ذلك قتل ثم أخذ بالثأر ونـــصر القبائل لأبنائها، وأسر ونزح للقبائل، وقتل في ذلك ألوف من الناس.

وكانت الحياة كلها شبكة محبوكة من تراث وثارات وفشت حبائلها في القبائل وأوصى بها الآباء والأبناء، وحملت العيشة البدوية وقلة أسباب الحياة، والطمع والجشع، والأحقاد والاستهانة بحياة الإنسان على الفتك والسلب والنهب...[2]

---

[1] – سورة البقرة: آية 199.

[2] – باختصار عن "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ص56 إلى 62.

من مكارم أخلاق العرب:

وللأمانة فإن العرب في الجاهلية لم يعدموا كثيرا من الأخلاق الحميدة ومحاسن الأعمال التي تميزوا بها عن غيرهم من الأمم، ومن ذلك:

- الصدق، والمراد به صدق الحديث وهو خلق كريم عُرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام.

- قِرَى الضيف وهو إطعامه، وهو من الكرم الذي يحمد صاحبه عليه، ويُحمد له ويثنى به عليه.

- الوفاء بالعهود وعدم نكثها مهما كلفت من ثمن وهو خلق سام شريف.

- احترام الجوار وتقرير مبدأ الحماية لمن طلبها، وعدم خفره مهما كانت الأحوال.

- الصبر والتحمل، حتى قالوا: " تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ".

- الشجاعة والنجدة والأنفة وعدم قبول الذل والمهانة وهي خلال امتاز بها العرب نساء ورجالا، وفي أشعارهم وأقاصيصهم شواهد ذلك.

- احترام الحرم والأشهر الحرم، بعدم القتال فيها إلا من ضرورة، وتأمين الوافدين إلى الحرم، ولو كانوا ذوي سوابق في الشر.

- تحريم نكاح الأمهات والبنات...[1]

لقد كان العرب رغم نقائصهم الكثيرة مؤهلين على مستويات عدة ليكون الأمة التي يخرج منهم النبي الخاتم - ﷺ - ليتمم مكارم الأخلاق فيهم ويهديهم إلى الدين الصحيح الذي سيجعل منهم خير أمة أخرجت للناس، هذه الأمة التي ستصنع في المستقبل أعظم حضارة أفضالها على العالم كله واضحة المعالم إلى يوم الناس هذا.3

[1]- هذ الحبيب يا محب للجزائري ص 23. ومن أراد التوسع في معرفة تاريخ العرب وأحوالهم بالتفصيل فليرجع إلى الموسوعة القيمة: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام تأليف العلامة الدكتور جواد علي.

وما العرب بغير الإسلام؟ ما الفكرة التي قدموها للبشرية أو يملكون تقديمها إذا هم تخلوا عن هذه الفكرة؟ وما قيمة أمة لا تقدم للبشرية فكرة؟ إن كل أمة قادت البشرية في فترة من فترات التاريخ كانت تمثل فكرة. والأمم التي لم تكن تمثل فكرة كالتتار الذين اجتاحوا الشرق، والبرابرة الذين اجتاحوا الدولة الرومانية في الغرب لم يستطيعوا الحياة طويلا، إنما ذابوا في الأمم التي فتحوها. والفكرة الوحيدة التي تقدم بها العرب للبشرية كانت هي العقيدة الإسلامية، وهي التي رفعتهم إلى مكان القيادة، فإذا تخلوا عنها لم تعد لهم في الأرض وظيفة، و لم يعد لهم في التاريخ دور..

وهذا ما يجب أن يذكره العرب جيدا إذا هم أرادوا الحياة، وأرادوا القوة، وأرادوا القيادة. .والله الهادي من الضلال.[1]

---

[1] - في ظلال القرآن3981/6.

عام الفيل
حادث خطير قبيل المولد النبوي الشريف

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾[الفيل الآية: 1-5].

تشير هذه السورة إلى حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير، ومحضن العقيدة الجديدة، والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، وإقرار الهدى والحق والخير فيها.[1]

كما أشار إليه النبي – ﷺ –، وذلك حين (خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية، حتى كانوا ببعض الطريق، قال النبي – ﷺ –:إن خالد بن الوليد بالغميم، في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي – ﷺ – حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، هلأت القصواء، فقال النبي – ﷺ –: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل).[2]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (لما فتح الله على رسول – ﷺ – مكة، قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله حبس عن مكة الفيل

[1]- في ظلال القرآن3974/6
[2] –رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2731.

وسلط عليها رسوله والمؤمنين...).[1]

كان السبب الذي من أجله حلَّت عقوبة الله تعالى بأصحاب الفيل- كما ذكر أصحاب الأخبار والسير والتفسير -، مسير أبرهة الحبشيّ بجنده معه الفيل، إلى بيت الله الحرام لتخريبه.

وكان الذي دعاه إلى ذلك أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وكان نصرانيا، فسماها القُلَيْس[2]، لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض، وكتب إلى النجاشيّ ملك الحبشة: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولستُ بمُنتهٍ حتى أصرف إليها حاجّ العرب.

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي، غضب رجل من الأعراب فخرج حتى أتى القُليس، فتغوط فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك، فغضب غضبا شديدا..

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت، أمر الحُبْشان فتهيأت وتجهَّزت، وخرج معه بالفيل، وسمعت العرب بذلك، فأعظموه، وفُظِعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نَفْر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، وعَرَض له، وقاتله، فهزم وتفرق أصحابه، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرا...

ثم مضى أبرهة على وجهه حتى إذا مرّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون،

---

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2434. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1355.

[2] - بضم القاف وفتح اللام المشددة، وقيل: بفتح القاف وكسر اللام.

ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد – يعنون اللات – إنما تريد البيت الذي بمكة – يعنون الكعبة – ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رغال، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمِّس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرَجَمت العرب قبره...

ولما نزل أبرهة المغمس، بعث رجلا من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يُرِد حربي فأتني به.

فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، قال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام – أو كما قال – فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخْلِ بينه وبينه، فو الله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال، فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك. فانطلق معه عبد المطلب...وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلَّمتَني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك،

وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: فأنت وذاك، أردد إليّ إبلي.

وكان أبرهة، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرزّ في شعف الجبال والشعاب، تخوّفا عليهم من مَعَرّة الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة الباب، باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ حلقة باب الكعبة:

يا رَبِّ لا أرْجُو لهم سِواكا   يا رَبِّ فامْنَعْ منهم حِماكا

إنَّ عَدُوَّ البيت مَنْ عادَاكا   امْنَعْهم أنْ يُخَرِّبوا قُراكا

وقال أيضا:

لاهُمَّ إنَّ العَبدَ يَمْـ   نَعُ رَحْلَهُ فامْنَع حِلالكْ

لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهم   ومِحَالُهُم غَدْوا مِحَالكْ

فَلَئِنْ فَعَلتَ فَرُبَّما   أوْلى فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

وَلئِن فَعَلتَ فإنّهُ   أمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فِعَالكْ

وقال أيضا:

وكُنتُ إذا أتى باغٍ بِسَلْمٍ

نُرَجِّي أن تكون لنا كذلكْ

فَوَلَّوْا لم يَنالُوا غَيرَ خِزْيٍ

وكانَ الحَينُ يُهلِكُهم هُنالكْ

ولم أسمعْ بأرْجَسَ مِن رجال

أرادوا العِزَّ فانْتَهَكُوا حَرامَكْ

جَــرُّوا جُمــوع بِــلادِهِم

والفِيــلَ كي يَسبُوا عِيَالكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله...فلما وجَّهوا الفيل، فبَرَك الفيل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فوجَّهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول، ووجَّهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيرا مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا...

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة حتى قَدِموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.[1]

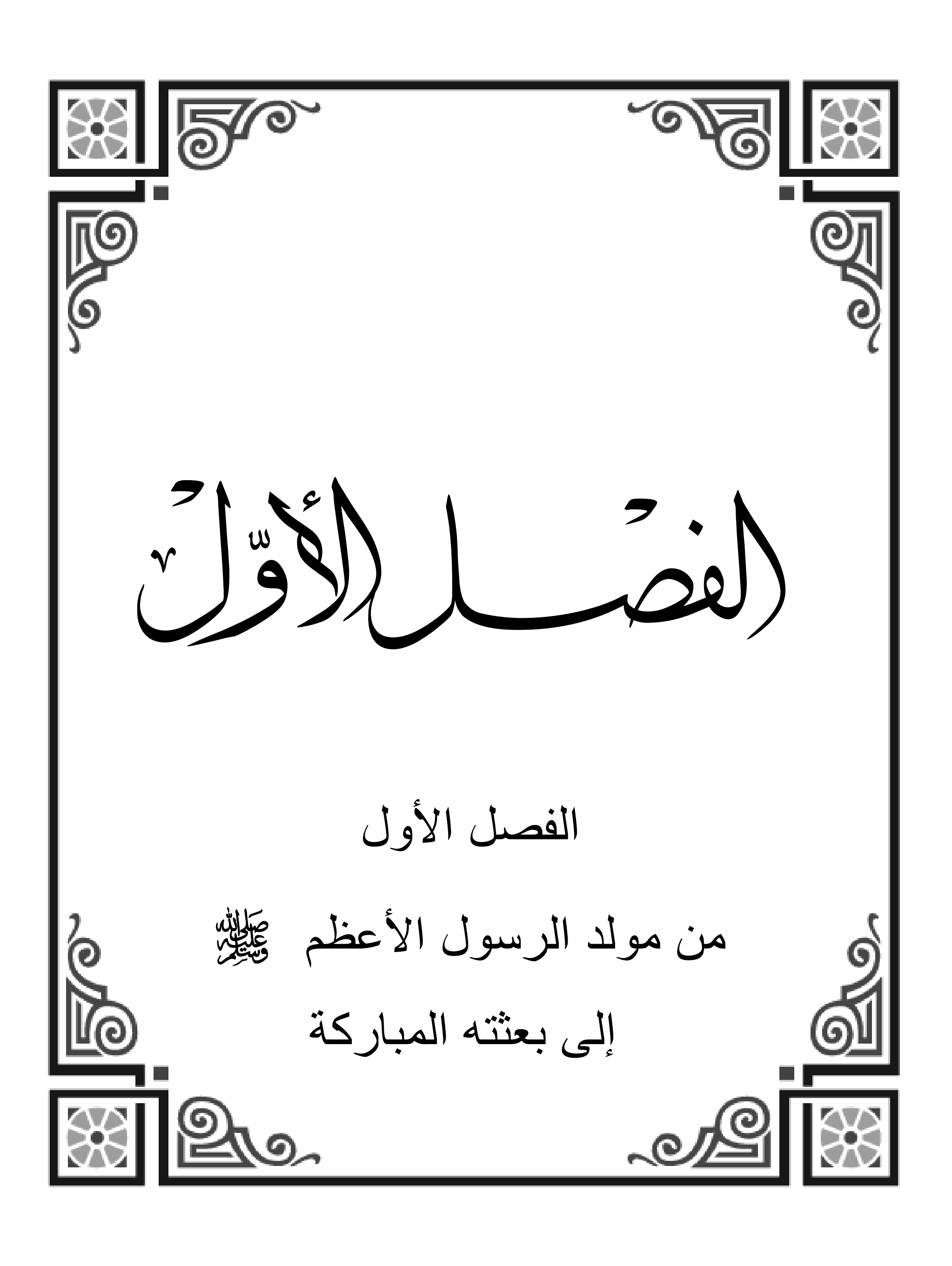
فالحادث كان معروفا للعرب ومشهورا عندهم، حتى لقد جعلوه مبدأ تاريخ. يقولون حدث كذا عام الفيل، وحدث كذا قبل عام الفيل بعامين، وحدث كذا بعد عام الفيل بعشر سنوات.. والمشهور أن مولد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان في عام الفيل ذاته. ولعل ذلك من بدائع الموافقات الإلهية المقدرة![2]

---

[1] – أنظر تفسير الطبري 609/24 إلى 614. وسيرة ابن هشام 78/1إلى87.

[2] – في ظلال القرآن3979/6.

إنها إشارة إلى أن موعد حكم السماء قد آن أوانه، وآن للجاهلية التي نشرت ظلام ضلالها في أرض الله – عز وجل– أن يشقه نور الإسلام...وذلك بمولد خير الأنام محمد – ﷺ – بعد حادث الفيل بليال وأيام...ولله الأمر من قبل ومن بعد.



الفصل الأول

من مولد الرسول الأعظم ﷺ إلى بعثته المباركة

نسب النبي ﷺ :

هو خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه.

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، إلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ولا خلاف فيه البتة وما فوق " عدنان " مختلف فيه . ولا خلاف بينهم أن " عدنان " من ولد إسماعيل – عليه السلام – وإسماعيل: هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم.[1]

عن واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة – رضي الله عنه –، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل. واصطفى قريشا من كنانة. واصطفى من قريش بني هاشم. واصطفاني من بني هاشم).[2]

ولادته ﷺ ورضاعته وترعرعه في بادية بني سعد:

ولد نبينا – ﷺ – يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، عام الفيل، الموافق لـــ 20 أو22 من شهر أبريل سنة 571م بعد الفجر.[3] وذكر ابن إسحاق

---

[1] – زاد المعاد 1 / 71-72، وانظر سيرة ابن هشام 1 / 2- 3، وصحيح السيرة النبوية ص 19.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2276.

[3] – رحمة للعالمين للمنصورفوري 33/1.وهذا التاريخ حسب ما حققه العالم محمد سليمان المنصورفوري والمحقق الفلكي محمود باشا. انظر الرحيق المختوم ص 36.

أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل.[1]

قال النبي – ﷺ-: (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام).[2] ولما ولدته أمه[3] أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له. واختار له اسم محمد ـــ وهذا الاسم لم يكن معروفا في العرب ـــ وختَنه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون.

وأول من أرضعته من المراضع ـــ وذلك بعد أمه صلى الله عليه وسلم بأسبوع ـــ ثُوَيْبَة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له: مَسْرُوح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.[4]

كما أرضعته حليمة السعدية وترعرع في قبيلة بن سعد، فقد روى ابن إسحاق عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. أو عمن حدثه عنه قال: (كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله ﷺ التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس

---

[1]- أنظر سيرة ابن هشام 195/1.

[2]-سيرة ابن هشام 203/1 رواه ابن إسحاق عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم وقال ابن كثير في البداية والنهاية 256/1: إسناده جيد قوي.

[3]- قال العمري في السيرة النبوي الصحيحة 95/1-96: " لم ير الرسول ﷺ أباه، فقد مات في المدينة عند أخواله بني عدي بن النجار، وكان في مهمة تجارية، فمرض عند العودة ومات فدُفن هناك.

و لم ترد رواية صحيحة في حادثة وفاته... وأقوى ما ورد قول الزهري مرسلا: (بعث عبدُ المطلب عبدَ الله بن عبد المطلب يمتار له تمرا من يثرب، فتوفي عبد الله بها، وولدت آمنة رسول الله ﷺ فكان في حجر عبد المطلب)". والمشهور أن النبي ﷺ توفي أبوه عبد الله وأمه آمنة حبلى به، وقد رجح هذا الواقدي وابن إسحاق وابن سعد كما ذكر العمري في نفس المرجع.

[4]- الرحيق المختوم ص36. وانظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص 13. ومختصر سيرة الرسول للنجدي ص 17.

الرضعاء قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا. قالت: فخرجت على أتان لي قمراء معنا شارف[1] لنا، والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع. ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغديه – قال ابن هشام: ويقال يغذيه – ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك، فلقد أدَمْتُ[2] بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا[3]، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله – ﷺ – قيل لها: إنه يتيم. وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم، وما عسى أن تصنع أمه وجده. فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي و لم آخذ رضيعا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره. قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك. وقام زوجي إلى شارفنا تلك. فإذا إنها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة. قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حُمُرهم[4]، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا بنة أبي ذؤيب، ويحك اربَعي[5] علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي. فيقلن: والله إن لها

---

[1]– ناقة مسنة.

[2]– أبطأت وأطالت المسافة بالركب.

[3]– الهزال.

[4]– حُمُر النعم القوية غالية الثمن.

[5]– أقيمي وانتظري.

لشأنا. قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعا لبنا، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب.فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا[1]. قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته. فكلمنا أمه وقلت لها: لو تركت بُنيَّ عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وبأ[2] مكة ، قالت فلم نزل بها حتى ردته معنا.

حادثة شق الصدر:

قالت: فرجعنا به فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بَهْم[3] لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه[4]. قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا[5] وجهه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له: ما لك يا بني.؟ قال: (جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني[6]، فالتمسا فيه

---

[1]- القوي الشديد.

[2]- الطاعون والأمراض.

[3] - صغار الغنم.

[4] - ساط الشيء أي خلطه، والمقصود أنهما يقومان بإجراء عمل ما بعد شقهما لبطن–وفي رواية صدر– النبي ﷺ وقد ثبت أنهما استخرجا القلب.

[5] - متغيرا.

[6] - وروى مسلم في المسند الصحيح رقم 162 عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان . فأخذه فصرعه فشق عن قلبه . فاستخرج القلب . فاستخرج منه علقة . فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم . ثم لأمه . ثم أعاده في مكانه . وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا : إن محمدا قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون .
قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره.

شيئا لا أدري ما هو). قالت فرجعنا به إلى خبائنا. قالت: وقال لي أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به. قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت: ما أقدمكِ به يا ظئر[1] وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت الأحداث عليه فأديته إليك كما تحبين. قالت: ما هذا شأنك، فاصدقيني خبرك. قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها. قالت: أفتخوفتِ عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبني لشأنا ، أفلا أخبرك خبره؟ قالت: قلت: بلى، قالت: رأيتُ حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف علي ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة).[2]

وفاة آمنة والدة النبي ﷺ:

كان رسول الله – ﷺ – مع أمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه، يُنبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله – ﷺ – ست سنين، توفيت أمة آمنه بنت وهب.[3]

وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: (أن أم رسول الله –ﷺ– آمنة توفيت ورسول الله – ﷺ – ابن ست سنين بالأبواء، بين مكة والمدينة،

---

[1]– يطلق على من يعطف على غير ولده.

[2]– أنظر سيرة ابن هشام 1 /163 – 166. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 228/8 : رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه إلا أنه قال : حليمة بنت أبي ذؤيب، ورجالهما ثقات. وقال صاحب صحيح السيرة النبوية ص 39 – 40 : قلت: ولكثير من مقاطع الحديث شواهد تقويه، ولذلك فالحديث حسن لشواهده.

[3]– سيرة ابن هشام ص 204/1.

كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار، تزيره إياهم فماتت وهي راجعة به إلى مكة).[1]

كفالة جده عبد المطلب له ثم عمه أبي طالب:

وكان رسول الله – ﷺ – مع جده عبد المطلب بن هاشم – يعني بعد موت أمه آمنة بنت وهب – فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، فكان رسول الله – ﷺ – يأتي وهو غلام جَفْر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأنا ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع.[2]

فلما بلغ رسول الله – ﷺ– من العمر ثماني سنين توفي جده، وأوصى به إلى عمه أبي طالب، لأنه كان شقيق عبد الله فكفله، وحاطه أتم إحاطة.[3]

رحلته ﷺ الأولى مع عمه إلى الشام:

واستمرّت كفالة أبي طالب لرسول الله ــ ﷺ –...فلمّا بلغ اثنتي عشرة سنة ــ وقيل: تسعاً ــ خرج به أبو طالب إلى الشّام في تجارة، فرآه بُحَيْرَى الرّاهب، وأمر عمّه أن لا يقدم به الشّام، خوفا عليه من اليهود. فبعثه عمّه مع بعض غلمانه إلى المدينة.[4]

فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال:

---

[1] – سيرة ابن هشام 1– ص 168 .و قد زار الحبيب قبر أمه وهو ذاهب لفتح مكة حين مر بالأبواء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: " استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن ازور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت " رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 976.

[2] – البداية والنهاية 261/1.

[3] – الفصول في سيرة الرسول ص 91 .

[4] – مختصر سيرة الرسول ص 64.

(خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي - ﷺ - في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله- ﷺ- قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه. فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه. فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا، إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا. فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا. قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. فبايعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب [وبعث معه أبو بكر بلالا] وزوده الراهب من الكعك والزيت).[1]

[1]- رواه الترمذي في سننه رقم 3620. وقد اختلف العلماء في هذا الحديث على قسمين:

- فمنهم من قال بأن الخبر منكر وضعفيف كالذهبي رحمه الله في السيرة النبوية ص 28 . وتكلم فيه ابن سيد الناس في عيون الأثر 1- ص 55، كما تكلم فيه ابن القيم في زاد المعاد 1- ص67 ، وغيرهم من أهل العلم الذين ضعفوا هذا الحديث. =

= - ومنهم من ذهب إلى تصحيح الخبر، فقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين، وقال ابن حجر في الإصابة: رجاله ثقات، وذكرُ أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ، كما صححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 68. وصححه الشيخ إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية ص 44، وانظر السيرة

النبي ﷺ في سن الشباب:

شب رسول الله – ﷺ – والله يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلا، أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تترها وتكرما، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.[1]

فعن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: (ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به، إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منهما، قلت: ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها: أبصر إليَّ غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف، ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة، رجل من قريش تزوج امرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء، وبذلك الصوت، حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت. فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مس الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟

النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 106 إلى ص 111، وصححه الشيخ الطرهوني صاحب صحيح السيرة النبوية المسماة " السيرة الذهبية " 1/ 260 وقال في تخريج طويل: " ...فالخلاصة أن الحديث لا شك في صحته إن شاء الله تعالى إلا أن ذكر أبي بكر وبلال فيه من الوهم...وهو لا يضر ثبوت الحديث وقد اتفق الحفاظ على نكارة هذه اللفظة". ومن أراد التوسع في معرفة تخريج الحديث فليعد إلى هذا المرجع الأخير من ص 255/1 إلى ص 261 .

[1] - السيرة النبوية لابن هشام 220/1 .

قلت: ما فعلت شيئًا، قال رسول الله -ﷺ-: فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته).[1]

حرب الفِجار:[2]

هاجت حرب الفِجار ورسول الله- ﷺ - ابن عشرين سنة. وإنما سمي يوم الفِجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان، فيه من المحارم بينهم.

وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.[3]وقيل: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد شارك بإعداد النبال لأعمامه في هذه الحرب، ولكن لا يوجد دليل صحيح على ذلك وما رُوي لا يصح، والله أعلم.

حلف الفضول:

كان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب.

---

[1] – أخرجه أبو نعيم في الدلائل:128، والبيهقي في الدلائل:2/ 33 ، والبزار كما في الكشف برقم: 2403، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان 8/ 56 ،رقم 6239، وانظر المطالب العالية: 178/4، رقم 4259، وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه، وهكذا رواه محمد بن اسحاق في السيرة، وقال ابن حجر: هذه الطريق حسنة جليلة، وما روي في شيء من المسانيد الكبار إلا في مسند اسحاق، هذا وهو حديث حسن متصل، ورجاله ثقات.وقال الهيثمي في المجمع 226/8 : رواه البزار ورجاله ثقات، وأخرجه الحاكم في المستدرك 245/4 وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. أنظر صحيح السيرة النبوية للشيخ العلي ص43 .

[2] – أيام الفجار عند العرب أربعة، فالفجار الأول كان بين كنانة وهوازن، والفجار الثاني كان بين قريش وهوازن، والفجار الثالث كان بين كنانة وهوازن، والفجار الرابع والأخير كان بين قريش ومن معهم من كنانة وبين فيس غلان.أنظر هامش تحيق سيرة ابن هشام 221/1.

[3] – مختصر سيرة ابن هشام ص30-31.

وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه – أي انتهروه – فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس[1] عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته

ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته

يا للرجال وبين الحجر والحجر

إن الحرام لمن تمت كرامته

ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك.

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونُنَّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه...

فسمت قريش ذلك الحلف، حلف الفضول، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر.

ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سامة الزبيدي فدفعوها إليه.[2]

قال رسول الله ﷺ: (شهدت من حلف قريش حلف المطيبين[1] مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكته).[2]

---

[1] – أي صعد جبل أبي قبيس.

[2] – سيرة ابن كثير 259/1. وانظر السيرة النبوية للندوي ص 112- 113.

خروج النبي ﷺ للتجارة بمال خديجة إلى الشام وزواجه بها:

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر[3]- كما يروي ابن الأثير وابن هشام[4]- امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، فلما بلغها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره، ومعه غلامها ميسرة. وقد قبل محمد – ﷺ – هذا العرض فرحل إلى الشام عاملا في مالها ومعه ميسرة. فحالفه التوفيق في هذه الرحلة أكثر من غيرها، وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة ونبل عظيم، ووجد ميسرة من خصائص النبي – ﷺ – وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه دهشة له، وإعجابا به فروى ذلك لخديجة.

فأعجبت خديجة بعظيم أمانته، ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها (نفيسة بنت منيّة)، فوافق النبي – عليه الصلاة والسلام –، وكلّم في ذلك أعمامه فخطبوها له من عمها عمرو بن أسد.[5]

---

[1] – المطيبون : بنو هاشم وبنو زهرة وتيم اجتمعوا وجعلوا طِيبا في جفنة وغمسوا أيديهم فيه ، وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ، فسُموا بالمطيبين.

[2] – أخرجه أحمد: 1- ص 190- 193 . وأبو يعلى رقم: 844، 845، 846 . والبزار كما في كشف الأستار: 1914، 3308، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 172/8: رجال حديث عبد الرحمن بن عوف رجال الصحيح. أنظر صحيح السيرة النبوية للعلي ص 45 . وهو في "الصحيحة" كما ذكر الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية لابن كثير ص 35.

[3] – سيرة ابن هشام 1- ص 226 .

[4] – أنظر الكامل 569/1 ، وانظر سيرة ابن هشام 226/1 – 227 .

[5] – اختلف علماء السيرة فيمن زوج خديجة، أبوها أم عمها، وقد رجح الشيخ العلي في " صحيح السيرة النبوية " ص45- 46 أن والدها هو الذي زوجها وليس عمها.

وتزوجها[1]– عليه الصلاة والسلام – وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاما ولها من العمر أربعون .

[1] – قال ابن حزم في جوامع السيرة ص 26 وما بعدها: " أول أزواجه ﷺ: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، تزوجها عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس وعشرين سنة، وماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت. وكانت قبله عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها أبو هالة، واسمه هند بن زرارة بن النباش بن عدي بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم، فولدت له ابنين ذكرين، وهما: هند والحارث، وابنة اسمها زينب. فأما هند بن هند فشهد أحدا، وسكن البصرة، وروى عنه الحسن بن علي بن أبي طالب. وأما الحارث فقتله أحد الكفار عند الركن اليماني.

فلما ماتت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وكانت قبله عند ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، فمات عنها.

ثم تزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق، لم يتزوج بكراً غيرها. تزوجها بمكة وهي بنت ست سنين، وبنى بها بعد الهجرة بسبعة أشهر في شوال، وهي بنت تسع سنين، وبقيت معه تسع سنين وخمسة أشهر، وماتت سنة ثمان وخمسين.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد الهجرة بسنتين وأشهر. وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي، فمات عنها، وتوفيت سنة خمس وأربعين، وصلى عليها مروان، وهو أمير المدينة.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، قتل يوم بدر. وتوفيت زينب في حياته بعد ضمه لها بشهرين، وقال الزهري: بل كانت عند عبد الله بن جحش الأسدي المستشهد يوم أحد.

وتزوج أم سلمة، واسمها هند، بنت أبي أمية، واسمه حذيفة، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي. وكانت قبله عند أبي سلمة، واسمه عبد الله، بن عبد الأسد المخزومي، فولدت له عمر، وسلمة، ودرة، وزينب؛ وهي آخر نسائه موتاً، ماتت سنة تسع وخمسين.

وتزوج زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وكانت قبله ﷺ عند زيد بن حارثة مولاه، وهي أول نسائه موتاً بعده، ماتت في أول خلافة عمر، وهي التي زوجها الله تعالى منه.

ثم تزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، واسمه حبيب، بن الحارث بن عابد بن مالك بن جذيمة، وهو المصطلق، من خزاعة. وكانت قبله عند رجل من بني عمها، اسمه عبد الله بن جحش الأسدي، وتوفيت سنة ست وخمسين في ربيع الأول. =

وقد كانت تزوجت خديجة قبل زواجها من رسول الله – ﷺ – برجلين الأول منهما عتيق بن عائذ التميمي، ثم خلفه عليها أبو هالة التميمي واسمه هند بن زرارة.[1]

عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – عن النبي – ﷺ – قال: (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة).[2]

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (ما غرت على أحد من نساء النبي – ﷺ – ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي – ﷺ – يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد).[3]

= ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة، وقيل هند، بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فيما بعد الحديبية، سيقت إليه من بلاد الحبشة، وكانت هنالك مهاجرة مسلمة، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي، فارتد إلى النصرانية، ثم مات إلى النار. قيل: إن النجاشي أصدقها أربعمائة دينار ذهباً، وماتت في خلافة أخيها معاوية، سنة أربع وأربعين، فيما قاله أبو حسن الزيادي، وقال أيضاً مثله الواقدي.

وتزوج إثر فتح خيبر صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير، من ولد رسول الله ﷺ هرون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام، وهو عمران بن قاهاث بن لاوي بن رسول الله ﷺيعقوب بن رسول الله ﷺ اسحق ابن رسول الله ﷺ إبراهيم رسول الله وخليله. وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق. قال الواقدي رحمه الله تعالى: وفي سنة خمسين، ماتت صفية بنت حيي، وقاله أيضاً أبو حسان الزيادي.

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس. وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي. وقال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: بل كانت تحت حويطب بن عبد العزى أخي أبي رهم.

وهي آخر من تزوج صلى الله عليه وسلم، تزوجها بمكة في عمرة القضاء بعد إحلاله، وبنى بها بسرف، وبها ماتت أيام معاوية، وذلك سنة إحدى وخمسين، قاله خليفة. وقبرها هناك معروف".

[1] – قد جرى خلاف في الأول منهما، والذي رجحه ابن سيد الناس ورواه قتادة وابن إسحاق أن الأول منهما هو عتيق بن عائذ والثاني هند بن زرارة. أنظر فقه السيرة النبوية للبوطي ص 25 .

[2] – رواه البخاري في الصحيح الجامع رقم3531، ومسلم في المسند الصحيح رقم 2430 .

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3534.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (أتى جبريل النبي – ﷺ – فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب).[1]

اشتراكه ﷺ في بناء الكعبة:

فلما بلغ رسول الله – ﷺ – خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها، وإنما كانت رضما[2] فوق القامة.

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت فأخذوا خشبها، فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار، فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها. وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق[3] على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلَّت وكشَّت وفتحت فاها، وكانوا يهابونها. فبينا هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرا فاختطفها، فذهب بها؛ فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله الحية.[4]

وقد شارك النبي – ﷺ – بنفسه في بناء الكعبة، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه — : (أن رسول الله – ﷺ – كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباسعمه: يا بن أخي لو حللت إزارك فجعلت على منكبيك

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3536.

[2] – أي توضع الحجارة بعضها فوق بعض دون ملاط.

[3]– تبرز للشمس.

[4] – مختصر سيرة ابن هشام ص 33.

دون الحجارة، قال: فحله، فجعله على منكبيه، فسقط مغشيا عليه، فما رُئي بعد ذلك عريانا – ﷺ –).[1]

رسول الله ﷺ يضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين:

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن– أي حيث يوضع الحجر الأسود– فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا[2] وتحالفوا، وأعدوا للقتال.[3]

ثم اتفقوا على أن يضعه أول داخل عليهم، فكان رسول الله – ﷺ –، فقالوا: الأمين، فرضوا به، فأمر بثوب، فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب، ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه.[4]

فعن مجاهد عن مولاه أنه حدثه: (أنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية قال: ولي حجر أنا نحته بيدي أعبده من دون الله تبارك وتعالى، فأجيء باللبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي فأصبه عليه فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يشغر[5] فيبول، فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر، وما يرى الحجر أحد، فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل، فقال بطن من قريش: نحن نضعه، وقال آخرون: نحن نضعه، فقالوا: اجعلوا بينكم حكما، قالوا: أول رجل يطلع من

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 351 .

[2] – انحازت كل قبيلة إلى جهة.

[3] – مختصر سيرة ابن هشام ص 34.

[4] – الفصول في سيرة الرسول ص 95.

[5] – أي يرفع إحدى رجليه ليبول.

الفج، فجاء النبي – ﷺ – فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو ﷺ).[1]

الخلوة في غار حراء:

ولما أتم للنبي – ﷺ – أربعون سنة نزل عليه جبريل بالوحي، ولا خلاف أن مبعثه – ﷺ – كان يومَ الاثنين، واختلف في شهر المبعث. فقيل: لثمان مضين من ربيع الأول، سنة إحدى وأربعين من عام الفيل[2]، هذا قولُ الأكثرين، وقيل: بل كان ذلك في رمضان، واحتج هؤلاء بقوله تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾[البقرة: 185] قالوا: أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته، أنزل عليه القرآن، وإلى هذا ذهب جماعة، منهم يحيى الصرصري حيث يقول في نونيته:

وَأَتتْ عليه أَربعون فأَشرقَتْ

شـــمسُ النُّبوَةِ منه في رمضانِ

والأولون قالوا: إنما كان إنزال القرآنِ في رمضان جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزَّة، ثم أُنزل مُنَجَّما بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

وقالت طائفة : أنزلَ فيه القرآن، أي في شأنه وتعظيمه، وفرض صومه. وقيل: كان ابتداءُ المبعث في شهر رجب، وقد حُبب إليه–قبل ذلك– العزلة والاختلاء في غار حراء – وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة – فكان يتعبد فيه الليالي

---

[1] – قال الهيثمي: " رواه أحمد وفيه هلال بن خباب، وهو ثقة، وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح" انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد 630/3.، وقال الشيخ الألباني في " صحيح السيرة النبوية لابن كثير " ص45 : إسناده حسن، للخلاف في هلال بن خباب: ووقع في الأصل"حبان"، وهو تصحيف، وانظر أيضا " تخريج فقه السيرة " ص54.

[2] – قال العلامة المباركفوري مجتهدا ومرجحا في الرحيق المختوم ص 45 : "وبعد النظر والتأمل في القرائن والدلائل يمكن لنا أن نحدد ذلك اليوم–أي مبعثه صلى الله عليه وسلم– بأنه كان يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلًا، وقد وافق 10 أغسطس سنة 610م، وكان عمره صلى الله عليه وسلم إذ ذاك بالضبط أربعين سنة قمرية، وستة أشهر، و12 يومًا، وذلك نحو 39 سنة شمسية وثلاثة أشهر وعشرين يومًا ".

ذوات العدد، فتارة عشرة وتارة أكثر من ذلك إلى شهر، ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلا حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى يعود الكرة إلى غار حراء، وهكذا إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته.[1]

بدء الوحي واللقاء الأول بجبريل عليه السلام:

عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت:

(أول ما بدئ به رسول الله – ﷺ – من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد، قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني[2] حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾.

فرجع بها رسول الله – ﷺ – يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة:كلا، والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

---

[1] – أنظر زاد المعاد 1/ 77-78 والسيرة النبوية دروس وعبر ص48، وفقه السيرة النبوية ص 60 . وانظر في ذلك أيضا سيرة ابن هشام 1/270-273 .

[2] – كبسه وعصره شديدا.

ورقة بن نوفل يبشر بنبوة محمد ﷺ:

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عمخديجة، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله – ﷺ – خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله – ﷺ – أومخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.[1]

فترة الوحي وقلق النبي ﷺ:

ثم فتر الوحي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه[2]وكاد يتردى من رءوس شواهق الجبال، فقد روت عائشة – رضي الله عنها – فقالت: (وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي – ﷺ – فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا. فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك).[3] واختلف في الزمن الذي فتر فيه الوحي، والراجح أن المدة كانت أياما[4]، ثم عاود الوحي نزوله، فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله – صلى الله

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3 .

[2] – تهذيب سيرة ابن هشام ص 48 .

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6467 .

[4] – أنظر فتح الباري1 /27 ، و12 /360 ، والرحيق المختوم ص47 .

عليه وسلم – يحدث عن فترة الوحي قال: (فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت[1] منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت: زملوني، زملوني، فزملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ** ﴾ إِلَى قوله: ﴿...**فَاهْجُرْ** ﴾ ثم حمي الوحي وتتابع).[2]

قال الإمام ابن القيم: "وكمل اللّه له من مراتب الوحي مراتبَ عديدة:

إحداها: الرُّؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه – صلى الله عليه وسلم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يُلقيه الملَكُ في روْعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته).

الثالثة: أنّه – صلى الله عليه وسلم – كان يتمثَّلُ له المَلَكُ رجلا، فيُخاطبه حتى يَعِيَ عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا.

الرَّابعة: أنّه كان يأتيه في مثل صَلْصَلَةِ الجرس، وكان أَشدَّه عليه فَيَتَلَبَّسُ به الملكُ حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتَبْرُكُ به إلى الأرض إذا كان راكبها ولقد جاءه الوحيُ مرةً كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضُّها.

الخامسة: أنه يَرَى المَلَكَ في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء اللّه أن يُوحِيَه،وهذا وقع له مرتين، كما ذكر اللّه ذلك في سورة [النَّجم: 7-13].

---

[1] – أي خفت وذعرت وفزعت.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4545.

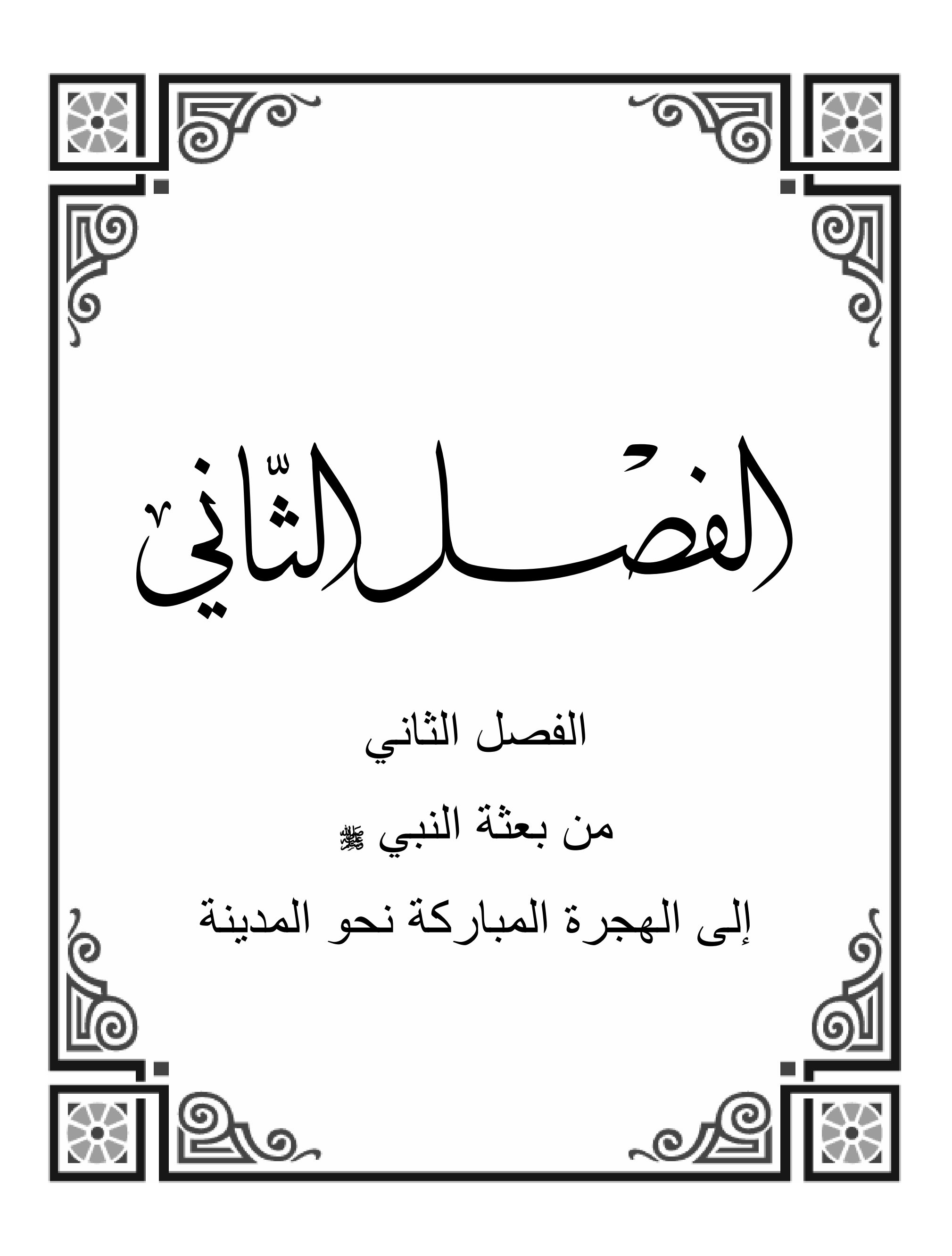
السادسة: ما أوحاه اللّه وهو فوق السماواتِ ليلَة المعراج مِن فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام اللّه له منه إليه بلا واسطة مَلَكٍ، كما كلّم اللَّهُ موسى بن عِمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن، وثبوتها لنبينا - ﷺ - هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم اللّه له كفاحا من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه - صلى الله عليه وسلم - رأى ربَّه تبارك وتعالى، وهي مسألة خلاف بين السلفِ والخلف، وإن كان جمهور الصحابة بل كُلُّهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعاً للصحابة ".[1]

---

[1]- زاد المعاد 1/ 78-80.



الفصل الثاني

الفصل الثاني

من بعثة النبي ﷺ

إلى الهجرة المباركة نحو المدينة

مراحل الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ

لقد مرت الدعوة الإسلامية بمراحل هامة، كانت لكل مرحلة منهجيتها المعتمدة، ووسائلها الخاصة، وغاياتها المقصودة، واستطاع النبي – ﷺ – أن يسير بحنكة قيادية في طريق الدعوة محققا في كل مرحلة أهدافها المرسومة بنجاح كبير.

1 - الدعوة إلى الإسلام سرا:

بدأ رسول الله – ﷺ – يدعو إلى الإسلام مَن وثق بعقله ثلاث سنوات كاملة، حتى أسلم عدد من الرجال والنساء ممن عُرفوا برجحان الرأي وسلامة النفس، وكان من أوائل من دخل الإسلام:[1]

– خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

كانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدقت بما جاء منه. فخفف الله بذلك عن رسوله، لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رضي الله عنها وأرضاها.

كما كانت أول إنسان صلى لله رب العالمين بعد الرسول – ﷺ –، إذ إن جبريل أتى رسول الله – ﷺ – حين افترضت عليه الصلاة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات، ثم رجع النبي – ﷺ – وقد أقر الله عينه، وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من الله، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات، ثم كان هو وخديجة يصليان سرا.[2]

---

[1] – السيرة النبوية دروس وعبر ص 52 .وانظر سيرة ابن هشام 1/ 299 .

[2] – سيرة ابن كثير 1/426-427.، وانظر مختصر سيرة الرسول ص 97 .

– بنات النبي ﷺ :

وكذلك سارع إلى الإسلام بنات[1] النبي–ﷺ –،كل من زينب، وأم كلثوم، وفاطمة، ورقية، فقد تأثرن قبل البعثة بوالدهن–ﷺ – في الاستقامة وحسن السيرة، والتتره عما كان يفعله أهل الجاهلية، من عبادة الأصنام والوقوع في الآثام، وقد تأثرن بوالدهن، فأسرعن إلى الإيمان.[2]

---

[1] – قال ابن حزم في جوامع السيرة ص 30 وما بعدها: "كل أولاده من ذكر وأنثى فمن خديجة بنت خويلد، حاشا إبراهيم، فإنه من مارية القبطية التي أهداها له المقوقس، لم يولد له من غيرها.

فالذكور من ولده:

القاسم، وبه كان يكنى، وهو أكبر ولده، عاش أياماً يسيرة، ولد له قبل النبوة.

وولدان آخران اختلف في اسم أحدهما، إلا أنه لا يخرج الرواية في ذلك عن " عبد الله: و" الطاهر " و" الطيب".

وبناته:

وزينب، أكبر بناته، تزوجها أبو العاصي، اسمه القاسم، بن الربيع بن عبد العزي بن عبد مناف، وكانت خديجة أم المؤمنين خالة أبي العاصي. لم يكن لزينب زوج أبي العاصي، وماتت عنده سنة ثمان من الهجرة، قاله خليفة. ومات أبو العاصي في خلافة عمر. فولدت زينب لأبي العاصي: علياً، ومات مراهقاً، وأمامة، تزوجها علي بن أبي طالب بعد فاطمة فلم تلد له، ومات عنها، فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فماتت عنده و لم تلد له.

وكان لرسول الله ﷺ: رقية، تزوجها عثمان بن عفان، لم يكن لها زوج غيره، فولدت له ابناً اسمه: عبد الله، مات وله أربع سنين، ثم ماتت رقية بعد يوم بدر بثلاثة أيام.

وكان له ﷺ أيضاً: فاطمة رضوان الله عليها، وتزوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فولدت له: الحي، فهو أكبر ولده والحسين، وزينب، وأم كلثوم، وابناً مات صغيراً اسمه المحسن . تزوج زينب بنت علي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له علي بن عبد الله، له عقب. وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فولدت له زيداً، لا عقب له ولا لأمه. وماتت فاطمة بعد رسول ﷺ أشهر، و لم يكن لها زوج غير عليّ.

وكان لرسول الله ﷺ أم كلثوم، وهي أصغر بناته، كانت مملكةً بعتبة بن أبي لهب فلم يدخل بها فطلقها، فتزوجها عثمان بن عفان، فماتت عنده في حياة رسول الله ﷺ، سنة تسع من الهجرة، قاله خليفة بن خياط، و لم تلد له".

[2] – السيرة النبوية لأبي شهبة 290/1-291.

- **علي بن أبي طالب** ﷺ:

دخل علي بن أبي طالب في الإسلام، وكان أول من آمن من الصبيان، وكانت سنه إذ ذاك عشر سنين على أرجح الأقوال، وهو قول الطبري وابن إسحاق.[1]

وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه كان في حجر رسول الله - ﷺ - قبل الإسلام. حيث أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير... فأخذ رسول الله - ﷺ - عليا ، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علي- رضي الله عنه - وآمن به وصدقه...وكان إذا حضرت الصلاة خرج رسول الله - ﷺ - إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك إلى ما شاء الله أن يمكثا.[2]

- **زيد بن حارثة** ﷺ:

ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله - ﷺ - وحِبّه، وهو أول من آمن بالدعوة من الموالي، وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد، وهي يومئذ عند رسول الله - ﷺ -، فرآه رسول الله - ﷺ - عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله - ﷺ - وتبناه، وذلك قبل أن يُوحى إليه.

---

[1] - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث 1/ 108 .

[2] - بتصرف عن الروض الأنف 288/2. وانظر عيون الأثر 1/ 179- 180.

ثم وجده أبوه حارثة عند رسول الله - ﷺ - بعد بحث طويل عنه، فخيَّر رسول الله - ﷺ - زيدا بين الإقامة عنده، أو الذهاب مع أبيه، فاختار الإقامة عنده.

فلم يزل عند رسول الله - ﷺ - حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه...[1]

- أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، واسمه عتيق واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. قال ابن هشام: واسم أبي بكر: عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه.

وكان أبو بكر رجلا مألفا[2] لقومه محببا سهلا، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلا تاجرا ، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه.[3]

السابقون الأولون إلى الإسلام:

فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله - ﷺ - حين استجابوا له فأسلموا وصلوا.

---

[1] - بتصرف سيرة ابن هشام 284/1- 285.

[2] - المألف هو الذي يألفه الناس.

[3] - سيرة ابن هشام 286/1- 287 .

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام، فصلوا وصدقوا رسول الله – ﷺ – بما جاءه من الله.[1]

على خطى السابقين:

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر، وهي يومئذ صغيرة. وخباب بن الأرت حليف بني زهرة، وعبد الله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عميس، وعمار بن ياسر...

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به.[2]

عبادة الصلاة في بداية الإسلام:

ومن أوائل ما نزل من الأحكام الأمر بالصلاة، قال ابن حجر: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعًا وكذلك أصحابه، ولكن اختلف هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا؟ فقيل: إن الفرض كانت صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. انتهي. وروى الحارث بن أبي أسامة من طريق ابن لَهِيعَة موصولًا عن زيد ابن حارثة: (أن رسول الله – ﷺ – في أول ما أوحى إليه أتاه جبريل، فعلمه الوضوء، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه)، وقد رواه ابن ماجه بمعناه، وروى نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس، وفي حديث ابن عباس: (وكان ذلك من أول الفريضة). وقد ذكر ابن هشام أن النبي – ﷺ – وأصحابه كانوا إذا حضرت الصلاة ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، وقد

---

[1] – نفس المصدر 1 /287 إلى 288 .

[2] – نفس المصدر 1 /289 إلى 299 .

رأى أبو طالب النبي – ﷺ – وعليّا يصليان مرة، فكلمهما في ذلك، ولما عرف جلية الأمر أمرهما بالثبات.[1]

في دار الأرقم بن أبي الأرقم مدرسة الإسلام الأولى:

إن اتخاذ دار الأرقم مقرًا للتربية والتعليم والقيادة من طرف رسول – ﷺ – كان بعد الاحتكاك الأول بين سعد بن أبي وقاص ورجل من المشركين، قال ابن إسحاق:" كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله – ﷺ – في شِعب من شعاب مكة إذ ظهر عليه نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحي بعير فشجه، فكان أول دم أهريق في الإسلام ".[2]

وحتى لا تكون هناك مواجهات بين المشركين والمسلمين الذين كانوا قلة وضعفاء قد تجلب لهم المهالك وهم في بداية الطريق، كان رسول الله – ﷺ – في هذه الفترة يجتمع بالمؤمنين سرا في دار الأرقم بن أبي الأرقم الذي دخل في الإسلام أيضا، وكان الرسول يتلو عليهم ما يترل عليه من آيات القرآن الكريم، ويعلمهم من أحكام الدين وشرائعه ما كان يترل حينئذ.[3]

2 - الدعوة جهرا:

واستمر الطور السرِّي للدعوة ثلاث سنين، ثم نزل الوحي يكلف الرسول – ﷺ- بمعالنة قومه، ومجاهة باطلهم، ومهاجمة أصنامهم جهاراً.[4]

---

[1] – الرحيق المختوم ص 53. وانظر سيرة ابن هشام 283/1– 284 . ومختصر سيرة الرسول ص102 إلى 104.

[2] – سيرة ابن هشام 1/ 300. وانظر تاريخ الطبري 318/2.

[3] – السيرة النبوية دروس وعبر ص 52.

[4] – فقه السيرة للغزالي ص 96 .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لما نزلت الآية: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء الآية:214]، صعد النبي – ﷺ – على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي –لبطون قريش– حتى اجتمعوا، فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي – ﷺ –: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أآنتم مصدِّقي؟ قالوا: ما جرَّبْنا عليك كذباً. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد.! فقال: أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا! فنزل قوله تعالى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**...﴾.[1]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (قام رسول الله – ﷺ– حين أنزل الله عز وجل : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ قال: يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا).[2]

هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ. فقد فاصل الرسول – عليه الصلاة والسلام – قومه على دعوته، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله.

لقد كان محمد – عليه الصلاة والسلام – كبير المنزلة في بلده مرموقاً بالثقة والمحبة، وها هو ذا يواجه مكة بما تكره، ويتعرض لخصام السفهاء والكبراء، وأول قوم يغامر بخسران مودّهم هم عشيرته الأقربون.

---

[1] –رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4770

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2753. ومسلم في المسند الصحيح رقم 206.

لكن هذه الآلام تهون في سبيل الحق الذي شرح الله به صدره، فلا عليه أن يبيت بعد هذا الإنذار ومكة تموج بالغرابة والاستنكار، وتستعد لحسم هذه الثورة التي اندلعت بغتة وتخشى أن تأتي على تقاليدها وموروثاتها.

وبدأت قريش تسير في طريقها، طريق اللدد، ومجانبة الصواب. ومضى محمد – صلى الله عليه وسلم –كذلك في طريقه يدعو إلى الله، ويتلطف في عرض الإسلام، ويكشف النقاب عن مخازي الوثنية، ويسمع ويجيب، ويهاجم ويدافع..

غير أن حرصه على هداية آله الأقربين جعله يجدد مسعاه محاولا عرض الإسلام عليهم مرة أخرى، فإن منزلتهم الكبيرة في العرب تجعل كسبهم عظيم النتائج.[1]

قريش تتحرك وأبو طالب يدافع:

فلما بادى رسول الله – ﷺ – قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه و لم يردّوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون.

وحدب[2] على رسول الله – ﷺ – عمه أبو طالب ومنعه، وقام دونه، ومضى رسول الله – ﷺ – على أمر الله مظهرا لأمره لا يرده عنه شيء. فلما رأت قريش، أن رسول الله – ﷺ — لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب... فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا؛ فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي

[1] – فقه السيرة للغزالي ص 96- 97.
[2] – أي عطف

بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه. فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، وردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه.[1]

قريش تهدد وتتوعد والرسول ماض في طريقه:

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شرى[2] الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله – ﷺ – بينها، فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين...ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم و لم يطب نفسا بإسلام رسول الله – ﷺ – لهم ولا خذلانه.[3]

فعن عقيل بن أبي طالب، قال: (جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال: يا عقيل، انطلق فأتني بمحمد. فاستخرجته من كنس أو قال خنس يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلق رسول الله – ﷺ – ببصره إلى السماء، فقال: ترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم! قال: فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منه بشعلة وفي رواية: والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من هذه

---

[1] – باختصار سيرة ابن هشام 1/ 300- 302 .

[2] – أي تفاقم الأمر وتعاظم وصار التنازع فيه.

[3] – نفس المرجع السابق 302/1.

الشمس شعلة من النار. فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا راشدين).[1]

حملات تشويه صورة النبي ﷺ ودعوته:

وحين ظهر للمشركين من قريش أن النبي – ﷺ – عازم على مواصلة طريقه في دعوة الناس إلى الإسلام تحت حماية عمه أبي طالب الذي سخره الله تعالى رغم شركه للقيام بهذا الأمر، رأوا أن ينظموا حملات لتشويه صورة النبي – ﷺ – ودعوته، وتزيف الحقيقة حتى لا يتبعه أحد من الناس.

فعن ابن عباس– رضي الله عنهما –: (أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله – ﷺ – فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله! قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول ؟ فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف عني حتى أفكر فيه.

فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فترلت: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَنِينَ شُهُودًا..**﴾[المدثر:11] .[2]

---

[1] – المطالب العالية: 4278، ورواه أبو يعلى وإسناده صحيح، والطبراني في الأوسط والكبير، وقال الهيثمي في المجمع 6/ 15 : رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح. أنظر صحيح السيرة النبوية ص 57.

[2] – قال صاحب صحيح السيرة النبوية ص58 : رواه الحاكم في المستدرك 507/2 وقال: صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر البداية والنهاية 60/3، ودلائل النبوة للبيهقي 556/1.

وفي رواية: (أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به. قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق[1] وإن فرعه لجناة – قال ابن هشام : ويقال لغدق[2] – وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره. فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا، وَبَنِينَ شُهُودًا، وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا** ﴾.[3]

وسعت قريش إلى تكثيف حملاتها في دعايتها الكاذبة أكثر فأكثر ضد النبي – ﷺ – ودعوته وذلك عن طريق:

---

[1] – أي أصله مثل النخلة قوي.

[2] – أي الماء الكثير.

[3] – سيرة ابن هشام 1/ 306- 307 .

- رمي النبي - ﷺ - بتهم هازلة، وشتائم سفيهة، فكانوا ينادونه بالمجنون ﴿ **وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ** ﴾[الحجر الآية:6].

- وكانوا يصمونه بالسحر والكذب ﴿ **وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[ص الآية:4].

-وكانوا يشيعونه ويستقبلونه بنظرات ملتهمة ناقمة، وعواطف منفعلة هائجة ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ** ﴾[القلم الآية:51].

- وكان إذا جلس وحوله المستضعفون من أصحابه استهزؤوا بهم وقالوا: هؤلاء جلساؤه ﴿ **مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا** ﴾[الأنعام الآية:53]، قال تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾[الأنعام الآية:53]، وكانوا كما قص الله علينا ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ** ﴾[المطففين الآية: 29-33].

- وتشويه تعاليمه، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، لكي لا يبقى لعامة الناس مجال في تدبر دعوته، فكانوا يقولون عن القرآن وقالوا:﴿ **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾[الفرقان الآية:5]، ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ** ﴾[الفرقان الآية: 4]. وكانوا يقولون: ﴿ **إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾[النحل الآية: 103]. وكانوا يقولون عن الرسول - ﷺ -: ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ** ﴾[الفرقان الآية:7]. وفي القرآن نماذج كثيرة للردود على إيراداتهم بعد نقلها أو من غير نقلها.

- ومعارضة القرآن بأساطير الأولين، وتشغيل الناس بها عنه، فقد ذكروا أن النضر بن الحارث، قد ذهب إلى الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله - ﷺ- مجلسًا للتذكير بالله والتحذير من

نقمته خلفه النضر ويقول: والله ما محمد بأحسن حديثًا مني، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني.

وتفيد رواية عن ابن عباس– رضي الله عنهما –: أن النضر كان قد اشترى قَيْنَات، فكان لا يسمع بأحد برجل مال إلى النبي– ﷺ – إلا سلط عليه واحدة منها، تطعمه وتسقيه، وتغني له، حتى لا يبقى له ميل إلى الإسلام، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ** ﴾[لقمان الآية: 6].[1]

لقد كان حصار الأعداء لدعوة الإسلام شديدا محكما حيث لم يكتفوا بتنفير ساكني مكة من رسول الله – ﷺ – وتشويه سمعته، بل صاروا يتلقون الوافدين إليهم ليسمموا أفكارهم، وليحولوا بينهم وبين سماع كلامه والتأثر بدعوته.[2]

ورغم ذلك استطاع شعاع نور الإيمان أن يتسرب إلى عقول وقلوب بعض الذين اتصل بهم رسول الله – ﷺ –.

وكان من هؤلاء ضماد الأزدي، وعمرو بن عبسة، وأبي ذر الغفاري، والطفيل بن عمرو الدوسي، وحصين والد عمران بن الحصين – رضي الله عنهم – وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على فشل حملات التشويه التي شنتها قريش ضد رسول الله – ﷺ –.[3]

المحنة والابتلاء في بداية الدعوة:

الابتلاء – بصفة عامة – سنة الله في خلقه، وهذا واضح في تقريرات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[الأنعام: 165]. وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ**

[1] – ملخصة من الرحيق المختوم ص 58– 59 .

[2] –التاريخ الإسلامي للحميدي 1/ 106.

[3] – السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث 1/ 286.

عَمَلاً ﴾ [الكهف: 7]. وقال جل شأنه: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[الإنسان: 2].

الابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطا وثيقا، فلقد جرت سنة الله تعالى ألا يُمكِّن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله تعالى أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم، ليمحص إيمانهم ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك[1]. وقد سأل رجل الشافعي فقال : يا أبا عبد الله ، أيما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يبتلى ؟ فقال الشافعي : لا يمكَّن حتى يبتلى فإن الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين–، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم ألبتة..[2]

ولهذا فإن النبي – ﷺ – نفسه تعرض لصنوف العذاب في جسده المبارك، ونفسه الطاهرة، فكان الوحي يتزل عليه مثبتا يدعوه إلى الصبر والاحتساب، قال تعالى: ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً** ﴾ [المزمل: 10]. وقال: ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا** ﴾ [الإنسان: 24]. وقال أيضا: ﴿ **وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** ﴾[النمل: 70]. وقال كذلك: ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [فصلت: 43].كما تعرض من معه من المسلمين للابتلاء الشديد، وعُذب منهم من عُذب، وقُتل منهم من قُتل، ولم يصرفهم ذلك عن دينهم الحق الذي هداهم الله إليه فشق نوره ظلام الجاهلية.

[1] – السيرة النبوية للصلابي 262/1.

[2] – الفوائد لابن القيم ص 208.

أمثلة على إيذاء المشركين للنبي ﷺ:

1- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم، قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله - ﷺ - وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقيبه ويتقي بيديه، قال: فقيل: له مالك، فقال إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله - ﷺ -: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، قال فأنزل الله عز وجل: ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى** ﴾[العلق الآية:6-7]).[1]

2- عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: (أن النبي - ﷺ - كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي - ﷺ - وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئا لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله - ﷺ - ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رأسه ثم قال: اللهم عليك بقريش، ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سَمَّى: اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعد السابع فلم نحفظه، قال، فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله - ﷺ - صرعى في القليب قليب بدر.).[2]

3- روى ابن إسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه قال: (اجتمع أشراف قريش يومًا في الحجر، فذكروا رسول الله - ﷺ -؛ فقالوا:

---

[1] - رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2797.

[2] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 240. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1794.

ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط: سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله – ﷺ – فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله – ﷺ – قال: ثم مضى فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها؛ فعرفت ذلك في وجه رسول الله – ﷺ – ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها؛ فوقف ثم قال: تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح؛ فأخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل إلا كأن على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول؛ حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولاً؛ فانصرف – ﷺ –).[1]

4 – ومن حديث أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها –، قالت: (كان المشركون رفعوا في المسجد عمداً ليروا رسول الله – ﷺ – وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ أقبل رسول الله – ﷺ – فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له لغدائر أربع، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبيِّنات من ربكم ؟! فلَهَوا عن رسول الله وأقبلوا على أبي بكر – رضي الله عنه –، قالت: فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام ..!).[2]

5– ومن حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله – ﷺ – وهو جالس حزين قد خُضِّب بالدماء قد ضربه

---

[1] – سيرة ابن هشام 326/1-327. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 18/6: صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح.

[2] – قال الهيثمي في مجمع الزوائد 19/6: "رواه أبو يعلى، وفيه تدرس جد أبي الزبير ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات". وحسنه ابن حجر في فتح الباري169/7.

بعض أهل مكة فقال: ما لك؟ قال: فعل بي هؤلاء وفعلوا. قال: أتحب أن أريك آية. قال: نعم أرني. فنظر إلى شجرة من وراء الوادي. قال: ادع تلك الشجرة. فدعاها، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه. قال: قل لها فلترجع. فقال لها، فرجعت حتى عادت إلى مكانها. فقال رسول الله – ﷺ –: حسبي.).[1]

أمثلة على إيذاء المشركين للمسلمين:

1– عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: (أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله – ﷺ – وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله – ﷺ – فمنعه الله بعمه أبو طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد.).[2]

وكان بلال رضي الله عنه، لبعض بني جمح مولدا من مولديهم، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله، لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول: وهو في ذلك البلاء أحد أحد... حتى مر به أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يوما، وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى ؟ قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى؛ فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى،

---

[1] – صحيح ابن ماجة رقم 3270 للألباني وصححه. وقال ابن كثير في البداية والنهاية128/3: "رواه أحمد وإسناده على شرط مسلم".

[2] – رواه أحمد في مسنده 319/5 وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وحسنه الوادعي في الصحيح المسند رقم 898.

على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. فقال: هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه.[1]

2– ومن حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : (لقد ضربوا رسول الله – ﷺ – مرة حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله فقالوا من هذا : فقالوا : أبو بكر المجنون).[2]

3– روى ابن إسحاق فقال:(كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله – ﷺ – فيقول: " صبرا آل ياسر موعدكم الجنة". فأما أمه فقتلوها، وهي تأبى إلا الإسلام.).[3]

5– عن أبي ليلى الكندي قال : (جاء خباب إلى عمر فقال : ادن فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار . فجعل خباب يريه آثارا بظهره مما عذبه المشركون).[4]

6– وعن خباب بن الأرت – رضي الله عنه – قال : (كنت رجلا قينا، وكان لي على العاصي بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت، فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال: فنزلت: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ**

---

[1] – سيرة ابن هشام باختصار 1/ 354-355.

[2] – قال الهيثمي: رواه أبو يعلى والبزار، وزاد: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر، ورجاله رجال الصحيح. انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد 12/6.وقال العراقي في تخريج الإحياء 129/4: إسناده صحيح على شرط مسلم .

[3] – سيرة ابن هشام1/356-357.قال الشيخ الألباني في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 103: " حديث حسن صحيح. رواه ابن إسحاق بلاغا ووصله الحاكم والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي".

[4] – صحيح ابن ماجة رقم 124 للألباني وصححه.

بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا، كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾.[مريم الآية:77-79].[1]

وفي لفظ :كنت قينا بـــ (مكة) فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه.. . فذكر الحديث.[2]

7- وعنه أيضا قال : (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من " صنعاء " إلى " حضر موت " ما يخاف إلا الله عز وجل، والذئب على غنمه. وفي رواية : ولكنكم تستعجلون).[3]

قريش تفاوض النبي ﷺ:

ظن المشركون أن بطشهم بالمستضعفين ونيلهم من غيرهم سوف يصرف الناس عن الاستجابة لداعي الله، وظنوا أن وسائل السخرية والتهكم التي جنحوا إليها ستهدّ قوى المسلمين المعنوية فيتوارون خجلاً من دينهم ويعودون كما كانوا إلى دين آبائهم، غير أن ظنونهم سقطت جميعا، فإن أحدا من المسلمين لم يرتد عن الحق الذي شرفه الله به، بل كان المسلمون يتزايدون!

ولم تفلح طرق الاستهزاء في الصد عن سبيل الله أو تشويه معالمها، إنما زادت شعور المسلمين بما تزخر به الوثنية من معرَّات ومخاز تستحق الفضيحة والاستئصال. ما تصنع سخرية الجهول بالعالم؟! ﴿...**إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ**

[1]- رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4735.

[2] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4733.

[3] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3852.

مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ..﴾[هود الآية: 38-39].

رأت قريش أن تجرِّب أسلوبا آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد – ﷺ – تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذره مغبة هذا التأييد، حتى يكلم هو الآخر محمدا–صلى الله عليه وسلم – أن يسكت، فلا يجر المتاعب على كافله ووليه.

جاء فيما يرويه ابن هشام عن ابن إسحاق: (أن عتبة بن ربيعة – وكان سيداً ذا بصيرة ورأي في قومه – قال في نادي قريش : يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله – ﷺ – فقال: يا بن أخي، إنك منا حيث علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم. فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له رسول الله – ﷺ — قل: يا أبا الوليد أسمع.

قال يا بن أخي : إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك[1] علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فقال له رسول الله – ﷺ – : أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم. قال فاسمع مني، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ **حم. تَنْزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ**

[1] – أي جعلناك سيدا ورئيسا علينا.

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ.وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوه وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ ثم مضى رسول الله في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قول الله تعالى ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾[فصلت الآية:1-13].فأمسك عتبة بفيه وناشده أن يكف عن القراءة، وذلك خوفا مما تضمنته الآية من تهديد، ثم عاد عتبة إلى أصحابه، فلما جلس بينهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني سمعت قولا ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم .

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأي فاصنعوا ما بدا لكم).[1]

تخير رسول الله – ﷺ– هذه الآيات من الوحي المبارك ليعرِّف محدثه حقيقة الرسالة والرسول.

إن محمدا – عليه الصلاة والسلام – يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه يهديهم من ضلال وينقذهم من خبال. وهو – قبل غيره – مكلف بتصديقه والعمل به والنزول عند أحكامه. فإذا كان الله يطلب من عباده أن يستقيموا إليه ويستغفروه فمحمد – عليه الصلاة والسلام – ألهج الناس بالاستغفار وألزمهم للاستقامة، وما يطلب ملكا ولا مالا ولا جاها، لقد أمكنه الله من هذا كله فعفَّ عنه، وترفع أن يمد يده إليه.

[1] – فقه السيرة ص 106- 108. قال الشيخ الألباني في تخريج الكتاب نفسه: هذه القصة أخرجها ابن إسحاق في المغازي بسند حسن عن محمد بن كعب القرظي مرسلا، ووصله عبد بن حميد وأبو يعلى والبغوي من طريق أخرى من حديث جابر رضي الله عنه، كما في تفسير ابن كثير وسنده حسن.

وبسط العطاء مما سيق إليه من خيرات، فأنفق واديا من المال في ساعة من نهار، وترك الحياة غير معقِّب لذريته درهما.

إن عتبة – باسم قريش– يريد أن يترك محمد – عليه الصلاة والسلام – الدعوة إلى الله وإقامة العدالة بين الناس.

ماذا تصير إليه الحياة لو أن صخرة من الأرض انخلعت عنها وصعدت إلى دارات الفلك تطلب من الشمس أو أي كوكب آخر أن يقف مسيره وإشعاعه، ويحرم الوجود من ضيائه وحرارته!!؟

ألا ما أغرب هذا الطلب؟ وما أجدر صاحبه أن يرتد إلى مكانته لا يعدوها!

ولذلك بعدما استمع عتبة إلى آيات القرآن توقظ ما كان نائما من فكره، استمع إلى الوعيد يهدر فيحرك ما كان هاجعا من عاطفته: ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾ لقد وضع عتبة يده على جنبه وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش يقترح عليها أن تدع محمدا وشأنه!![1]

أجل، فهذا النبي العظيم رجل رسالة ربانية لن تقهره العروض المغرية مهما تكن كما كانت تظن قريش، كما أن العقيدة لا يمكن التنازل عن بعضها ناهيك عن كلها، فهي لا تساوم ودونها النفس وكل غال. قال تعالى مخاطبا نبيه: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ، مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾[الكافرون: 1-6]. وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴾ [الأنعام الآية:56-57].

---

[1] - نفس المرجع السابق ص 108.

ولما احتار المشركون في أمر الرسول – ﷺ –، و لم يكونوا على استعداد في تصديقه أنه رسول من عند الله، ليس لأنهم يكذبونه، وإنما عنادًا وكفرًا، كما قال تعالى: ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ** ﴾[الأنعام الآية:33].[1]

ولهذا رأى المشركون أن يحاربوا النبي – ﷺ – بمطالبته بمعجزات خارقة حتى يؤمنوا به، وما كان طلبهم ذاك إلا من باب السخرية ومحاولة التعجيز، وقد طالبوا النبي – عليه الصلاة والسلام –:

أ– أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا: أي يجري لهم الماء عيونًا جارية.

ب– أو تكون له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تفجيرًا، أي تكون له حديقة فيها النخل والعنب، والأنهار تتفجر بداخلها.

ج– أو يسقط السماء كسفًا: أي يسقط السماء قطعًا كما سيكون يوم القيامة.

د– أو يأتي بالله والملائكة قبيلا.

هـ– أو يكون له بيت من زخرف: أي ذهب.

ش– أو يرقى في السماء: أي يتخذ سلمًا يرتقي عليه ويصعد إلى السماء.
ز– إنزال كتاب من السماء يقرؤونه، يقول مجاهد: أي مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفة،هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه.

---

[1]- أخرج البيهقي في الدلائل 207/2 عن المغيرة بن شعبة قال : إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول اللهﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل : يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله ، فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن تشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك . فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل علي فقال : والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعني شيء . إن بني قصي قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا اللواء ، فقلنا : نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منا نبي ، أنا ندرك نحن ذلك ، والله لا أفعل.

ح- طلبوا من رسول الله - ﷺ - أن يدعو لهم فيسير لهم الجبال، ويقطع الأرض، ويبعث من مضى من آبائهم من الموتى.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه التعنتات والرد عليها في قوله سبحانه: ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً، وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً، قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً، قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** ﴾ [الإسراء الآية: 90-96].

ونزل قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل للهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾ [الرعد الآية: 31].

إن الحكمة في أنهم لم يجابوا لما طلبوا، لأنهم لم يسألوا مسترشدين وجادين، وإنما سألوا متعنتين ومستهزئين، وقد علم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما طلبوا لما آمنوا، وللجُّوا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم وضلالهم يترددون، قال سبحانه: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ، وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ** ﴾[الأنعام الآية:109-111].

وليس أدل على أن القوم كانوا متعنتين وساحرين، ومعوقين لا جادين، من أن عندهم القرآن وهو آية من الآيات، وبينة البينات، ولذلك لما سألوا ما اقترحوا من هذه الآيات وغيرهم رد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ **وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآَيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ، أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [العنكبوت الآية: 50-52].[1]

فعن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما-: (قالت قريش للنبي – ﷺ -: ادعُ لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا ونؤمن بك، قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، قال: فدعاه: فأتاه جبريل فقال: إن ربك -عز وجل- يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة، والرحمة، فقال: بل باب التوبة والرحمة، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآَيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآَيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا**﴾ [الإسراء: 59]).[2]

إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ:

روى محمد ابن إسحاق: (أن أبا جهل اعترض رسول الله – ﷺ – عند الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه رسول الله – ﷺ –.. ومولاة لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا

---

[1] – باختصار السيرة النبوية عرض وفائح وتحليل أحداث 336/1إلى338.
336-337 .وانظر سيرة ابن هشام 345/1-346.

[2]– قال الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية لابن كثير ص153 : "في المسند(1/ 345) وإسناده جيد كما قال المؤلف، بل هو صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير عمران أبي الحكم السلمي، واسم أبيه الحارث، فهو من رجال مسلم". وانظر أيضا صحيح السيرة النبوية للعلي ص64-65.

تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادٍ لقريش عند الكعبة فجلس معهم، و لم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل مُتوشِّحاً قوسه، راجعاً من قنصٍ له، وكان صاحبَ قنصٍ يرميه ويخرج له، فكان إذا رجع من قنصه لم يرجع إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لا يمرُّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة، وكان يومئذ مشركا على دين قومه، فلما مرَّ بالمولاة وقد قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فرجع إلى بيته، قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك من أبي الحكم آنفاً قبيل، وجده هاهنا فآذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمد، فاحتمل حمزةَ الغضبُ لما أراد الله –عز وجل– به من كرامته، فخرج سريعا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت معدا لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس وضربه بها ضربه، شجَّهُ بها شجَّةً مُنكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت! قال حمزة: وما يمنعني منه، وقد استبان لي منه ذلك؟ وأنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فو الله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله – ﷺ – من قوله. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله – ﷺ – قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولون منه.[1]

هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة:

فلما رأى رسول الله – ﷺ – ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه

[1] – وانظر سيرة ابن هشام (1/291-292). وانظر تاريخ الطبري 2/333-334.وصحيح السيرة النبوية للعلي ص 60.

من البلاء قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه).

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - ﷺ- إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.[1]

وقد هاجر من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار فبلغهم أن قريشا أسلمت وكان هذا الخبر كذبا، فرجعوا إلى مكة فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعة فلقوا من قريش أذى شديدا، وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود.

ثم أذن لهم في الهجرة ثانيا إلى الحبشة فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا إن كان فيهم عمار، فإنه يشك فيه، ومن النساء ثمان عشرة امرأة، فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال، فبلغ ذلك قريشا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة في جماعة ليكيدوهم عند النجاشي فرد الله كيدهم.[2]

محاولة قريش إعادة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة:

عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي - ﷺ - قالت: (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا، و لم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا

---

[1]- سيرة ابن هشام 1/358-359.

[2] - زاد المعاد 1/ 97-98.

إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار وخير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لنردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت: و لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم. فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا هايم الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله -ﷺ- فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض:ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا: نقول: والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا -ﷺ- كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ليسألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له: أيها الملك

كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمر بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، – قالت: فعدد عليه أمور الإسلام –، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت: فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه علي. فقرأ عليه صدرا من﴿ **كهيعص**﴾[مريم الآية:1]. قالت فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد. قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا أعيبهم عنده ثم أستأصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم – عليهما السلام – عبد. قالت: ثم غدا عليه الغد فقال له: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت أم سلمة: فأرسل إليهم يسألهم عنه. قالت: ولم يترل بنا مثلها. فاجتمع القوم فقال

بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول: والله فيه ما قال الله سبحانه وتعالى، وما جاء به نبينا – ﷺ – كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – نقول فيه الذي جاء به نبينا – ﷺ – هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده على الأرض، فأخذ منها عودا ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فناخرت[1] بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي– والسيوم الآمنون – من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبر ذهب وأني آذيت رجلا منكم – والدبر بلسان الحبشة الجبل – ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع فيَّ الناس فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار. قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به، يعني من ينازعه في ملكه، قالت: فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت: فقال أصحاب رسول الله – ﷺ – من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام – رضي الله عنه – : أنا. قالت: وكان من أحدث القوم سنا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: ودعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه،

[1] – أي مدوا الصوت بالنفس الخارج من الأنف دليل عدم الرضا.

والتمكين له في بلاده، واستوثق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير مترل حتى قدمنا على رسول الله – ﷺ – وهو بمكة).[1]

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان عمر – رضي الله عنه – قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للمسلمين، حتى أنه كان يشارك في تعذيبهم ليردهم عن دينهم، قال سعيد بن زيد – رضي الله عنه –: (والله لقد رأيتني، وإن عمر لموثقي على الإسلام، قبل أن يسلم).[2]

ورغم ذلك فإن قلبه لم يعدم الرحمة، وكانت تباشير إسلامه تكاد تتضح من خلال معاملته لبعض المسلمين الذين كانوا على أهبة الهجرة إلى الحبشة، فعن أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: (والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليَّ وهو على شركه – وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا، وشدة علينا — فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟ فقلت: نعم، والله لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجا. فقال: صحبكم الله. ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه – فيما أرى – خروجنا. فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم. قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب. قالت: يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام).[3]

---

[1]– رواه أحمد في مسنده رقم 180/3 وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقال العلي في صحيح السيرة النبوية ص76: رواه أحمد من طريق ابن إسحاق بسند صحيح عن زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الهيثمي في المجمع 6/ 24- 27 : رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع فالحديث بهذا صحيح، وبذلك قال الشيخ الألباني في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي ص115.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3862.

[3] – سيرة ابن هشام 380/1.قال العمري في السيرة النبوية الصحيحة 178/1: بإسناد فيه عبد الرحمن بن الحارث صدوق له أوهام، وعبد العزيز بن عبد الله تابعي كبير، ترجم له البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا...وانفرد ابن حبان بتوثيقه، وهو يروي الخبر عن أمه وهي شاهدة عيان.

أسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله – ﷺ – وبحمزة حتى عازوا[1] قريشا، وكان عبد الله بن مسعود يقول:(ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة، حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه). وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله – ﷺ – إلى الحبشة).[2]

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: (لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي. فغدا عليه. قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كلما رأيت حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد .قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش – وهم في أنديتهم حول الكعبة – ألا إن ابن الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلِح[3]، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم. فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى

---

[1] – أي غلبوا.

[2] – سيرة ابن هشام1/379-380.قال العمري في السيرة النبوية الصحيحة 1/177: " لم تصح رواية في تحديد وقت إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدقة، ولكن ابن اسحاق جعل إسلام عمر بعد هجرة الحبشة وذكر من وجه آخر أنه عقب هجرة الحبشة الأولى، وتحدد رواية الواقدي إسلامه في ذي الحجة السنة السادسة من البعثة وهو ابن ست وعشرين سنة، كما تحدد روايات الواقدي أن عدد المسلمين كان أربعين أو خمسين أو ستا وخمسين منهم عشر نسوة أو إحدى عشرة ".

ورجح الأستاذ عبد السلام بن محسن آل عيسى في كتابه " دراسة نقدية " ص 127 أن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في السنة السادسة أو السابعة من البعثة.

[3] – أي أعيا.

وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صبأ عمر. قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون، أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبة من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك، أي بُنَيَّ، العاص بن وائل السهمي).[1]

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال:(ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر).[2]

أما قصة استماعه – أي عمر رضي الله عنه – القرآن يتلوه الرسول – صلى الله عليه وسلم – في صلاته قرب الكعبة وعمر مستخف بأستارها، وكذلك قصته مع أخته فاطمة حين لطمها لإسلامها وضرب زوجها سعيد بن زيد، ثم اطلاعه على صحيفة فيها آيات وإسلامه، فلم يثبت شيء من هذه القصص من طريق صحيحة.[3]

مقاطعة قريش لبني هاشم وبني المطلب:

أسلم حمزة عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وعمر بن الخطاب، وجماعة كثيرون، وفشا الإسلام في مكة، وبدأ الناس خارجها يسمعون بالدين الجديد، وصاحب الرسالة النبي – ﷺ –.

فلما رأت قريش ذلك ساءها، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله – ﷺ –، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة...وانحاز إلى الشعب بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب لعنه الله فإنه ظاهر قريشا.

---

[1] – سيرة ابن هشام 386/1–387. وقال ابن كثير في البداية والنهاية 79/2: إسناده جيد قوي.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3863.

[3] – السيرة النبوية الصحيحة للعمري 180/1. وانظر دراسة نقدية ص 128 وما بعدها.

وبقوا على تلك الحال لا يدخل عليهم أحد نحوا من ثلاث سنين...ثم سعى في نقض تلك الصحيفة أقوام من قريش فكان القائم في أمر ذلك هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث مشى في ذلك إلى مطعم بن عدي وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، وأخبر رسول الله – ﷺ – قومه أن الله قد أرسل على تلك الصحيفة الأرضة فأكلت جميع ما فيها إلا ذكر الله عز وجل.

فكان كذلك ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة وحصل الصلح برغم من أبي جهل عمرو بن هشام.[1]

وفاة أبو طالب:

كانت وفاة أبي طالب بعد مغادرة بني هاشم شعبه، وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث، وقد كان أبو طالب يحوط النبي– ﷺ – ويغضب له، وينصره، وكانت قريش تحترمه، وعندما حضرته الوفاة جاء زعماء الشرك وحرضوه على الاستمساك بدينه وعدم الدخول في الإسلام قائلين: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وعرض عليه رسول الله – ﷺ – الإسلام قائلاً: (قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة) فقال أبو طالب: لولا تعيرني بها قريش، يقولون: إنما حمله عليها الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله: ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[القصص الآية: 56].[2]

كانت أفكار الجاهلية راسخة في عقل أبي طالب، ولم يتمكن من تغييرها، فهو شيخ كبير يصعب عليه تغيير فكره وما ألفه عن آبائه، وكان أقرانه حاضرين وقت احتضاره، فأثروا عليه خوفًا من شيوع خبر إسلامه وتأثير ذلك على قومه.[3]

---

[1]- الفصول في سيرة الرسول باختصار 102- 104. وانظر مختصر سيرة الرسول 121-130. وسيرة ابن هشام 388/1– 391.

[2] – صحيح الترمذي رقم 3188.للألباني وصححه.

[3]- السيرة النبوية الصحيحة للعمري 183/1-184.

وفاة خديجة الطاهرة:

ثم توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة أبي طالب في نفس السنة، فتتابعت على رسول الله - ﷺ - مصيبتان هلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، وكان رسول الله - ﷺ - يسكن إليها.[1]

هجرة الرسول ﷺ إلى الطائف:

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف، يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله - عز وجل - فخرج إليهم وحده[2].

روى ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال: (لما انتهى رسول الله - ﷺ - إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم رسول الله - ﷺ - فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم: هو يمرط[3] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك. وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

---

[1] - عيون الأثر 226/1-227.وانظر مختصر سيرة ابن هشام 79-80.و السيرة النبوية الصحيحة للعمري 175/1.

[2] - وجاء عند ابن سعد في الطبقات 180/1 من رواية ضعيفة عن الواقدي أن زيد بن حارثة كان معه.

[3] - أي يمزق.

فقام رسول الله – ﷺ – من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكره رسول الله – ﷺ – أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم[1] ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد إلى ظل حبلة[2] من عنب فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله – ﷺ – المرأة التي من بني جمح فقال لها : ماذا لقينا من أحمائك؟).[3]

النبي ﷺ يناجي ربه عز وجل:

وعن عبد الله بن جعفر قال: (لما توفي أبو طالب خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الطائف ماشياً على قدميه يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس، أرحم الراحمين أنت، أرحم الراحمين، إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يترل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله).[4]

---

[1] – أي يثيرهم ويجرؤهم.

[2] – أي سقيفة مصنوعة من القضبان يتدلى منها العنب.

[3] – سيرة ابن هشام 32/2 إلى 33.وانظر صحيح السيرة النبوية ص 98. والحديث صحيح مرسل، وقد ذكرناه من باب الاستئناس، فقد ثبت ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف من خلال الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وسيأتي ذكره.

[4]– قال الهيثمي في مجمع الزوائد 38/6: رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. قال في بغية الرائد 38/6:"رواه الطبراني في الكبير من قطعة لم تطبع بعد، وقد عنعنه ابن إسحاق". وانظر سيرة ابن هشام33/2-34. وجاء فيها الدعاء بهذه الصيغة: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني

قال محمد بن كعب القرظي: (فلما رآه ابنا ربيعة، عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاما لهما نصرانيا، يقال له عداس فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله – ﷺ – ثم قال له: كُلْ. فلما وضع رسول الله – ﷺ – فيه يده قال: باسم الله. ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك ؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله – ﷺ –: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله – ﷺ –: ذاك أخي، كان نبيا وأنا نبي. فأكب عداس على رسول الله – ﷺ – يقبل رأسه ويديه وقدميه. قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه).[1]

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت

على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك".وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم 2933.وهذا الدعاء مشهور في السيرة ذكره العلماء ونقلوه في كتبهم ولم نر بأسا من ذكره.

[1] – نفس المصدر السابق 34/2-35. والحديث مرسل.

رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله – عز وجل – قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين.[1] فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا).[2]

إسلام الجن ودعوتهم قومهم:

لما انصرف النبي – صلى الله عليه وسلم – من الطائف راجعًا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تعالى، وكانوا سبعة نفر من جن أهل نصيبين، فاستمعوا لتلاوة الرسول – ﷺ –، فلما فرغ من صلاته، ولَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله تعالى خبرهم على النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنْذِرِينَ ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأحقاف: 29-30].[3]

هبط هؤلاء الجن على النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهو يقرأ ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: ﴿ **أَنْصِتُوا** ﴾ هذه الدعوة التي رفضها المشركون بالطائف، تنتقل إلى عالم آخر هو عالم الجن، فتلقوا دعوة النبي – ﷺ –، ومضوا بها إلى قومهم، كما مضى بها أبو ذر الغفاري إلى قومه، والطفيل بن عمرو إلى قومه، وضماد

---

[1] – وهما جبلا مكة : أبو قبيس والجبل الذي يُقَابله.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3231. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1795.

[3] – سيرة ابن هشام 35/2. وانظر السيرة النبوية للصلابي 417/1. والسيرة النبوية لأبي شهبة 418/1-419.

الأزدي إلى قومه، فأصبح في عالم الجن دعاة يبلغون دعوة الله تعالى: ﴿ **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الأحقاف: 31].

وأصبح اسم محمد – ﷺ – تهفو إليه قلوب الجن، وليس قلوب المؤمنين من الإنس فقط، وأصبح من الجن حواريون، حملوا راية التوحيد، ووطنوا أنفسهم دعاة إلى الله. ونزل في حقهم قرآن يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا ، وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا، وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادوهُمْ رَهَقًا، وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا، وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا، وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا، وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا، وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا** ﴾ [الجن: 1-13].

وبعد عدة أشهر من لقاء الوفد الأول من الجن برسول الله – ﷺ – جاء الوفد الثاني متشوقًا لرؤية الحبيب المصطفى – ﷺ– والاستماع إلى كلام رب العالمين.

فعن علقمة قال: (سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله – ﷺ – ليلة الجن؟ قال: لا، ولكننا كنا مع رسول الله – ﷺ – ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطِير أو اغتيل، قال: فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فقلنا: يا رسول الله،

فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا شر ليلة بات بها قوم، فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن. قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله – ﷺ –: فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم).[1]

ولما انصرف رسول الله – ﷺ – عن أهل الطائف، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته صار إلى حراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير. فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب. فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله – ﷺ– أن ادخل فدخل رسول الله – ﷺ – فطاف بالبيت وصلى عنده).[2]

وقد حفظ النبي – ﷺ – صنيع المطعم بن عدي بعد ذلك فقال في أسارى بدر: (لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له).[3]

معجزة الإسراء والمعراج:

قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** ﴾ [الإسراء: 1].وقبل الهجرة[4] أكرم الله – عز وجل – رسوله – ﷺ – بالإسراء والمعراج، إذ أسرى به جسدا وروحا من المسجد الحرام إلى بيت

---

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 450. أنظر السيرة النبوية عرض وفائع وتحليل أحداث باختصار ص 419/1.

[2] – سيرة ابن هشام419/1.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3139.

[4] – اختلف علماء السيرة في السنة التي حدثت فيه الإسراء والمعراج واتفقوا انها وقعت بعد البعثة وقبل الهجرة، وفد قال القاضي عياض في الشفا 108/1 انها وقعت قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة، ورجح النووي أنها وقعت ليلة سبع وعشرين من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة. أنظر هامش دلائل النبوة 355/2.

المقدس راكبا البراق في صحبة جبريل – عليه السلام –، ثم صلى فيه بالأنبياء إماما، ثم عرج به من هناك إلى السماء الدنيا حتى وصل السماء السابعة ثم إلى سدرة المنتهى.

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة – رضي الله عنهما : (أن نبي الله – ﷺ – حدثهم عن ليلة أسري به فقال: بينما أنا في الحطيم –وربما قال في الحجر–[1] مضطجعا إذ أتاني آت فقد قال: وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه. فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به ؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته. وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته. فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة. قال أنس: نعم. يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحُملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل، من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء. ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه. فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال:

---

[1] – قال ابن حجر في الفتح 204/7: " هو شك من قتادة كما بينه أحمد عن عفان عن همام ولفظه " بينا أنا نائم في الحطيم , وربما قال قتادة : " في الحجر " والمراد بالحطيم هنا الحجر ، وأبعد من قال المراد به ما بين الركن والمقام أو بين زمزم والحجر ، وهو وإن كان مختلفا في الحطيم هل هو الحجر أم لا كما تقدم قريبا في " باب بنيان الكعبة " لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع ذلك فيها ، ومعلوم أنها لم تتعدد لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها ، وقد تقدم في أول بدء الخلق بلفظ " بينا أنا عند البيت " وهو أعم ، ووقع في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر " فرج سقف بيتي وأنا بمكة " وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب ، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها قال " ففقدته من الليل فقال إن جبريل أتاني " والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ ، وبيتها عند شعب أبي طالب ، ففرج سقف بيته – وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه – فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس ، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق . وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق = =أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق ، وهو يؤيد هذا الجمع . وقيل الحكمة في نزوله عليه من السقف الإشارة إلى المبالغة في مفاجأته بذلك ، والتنبيه على أن المراد منه أن يعرج به إلى جهة العلو ".

مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما. فسلمت، فردا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به، فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه. فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إلى إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه. فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه. فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه. فسلمت عليه فرد ثم قال :مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكى قيل: له ما يبكيك ؟ قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي. ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: نعم. قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه. قال: فسلمت عليه فرد السلام. قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي

الصالح. ثم رفعت إليَّ سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر[1] وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. قال: هذه سدرة المنتهى. وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل ؟ قال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات. ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت، فمررت على موسى فقال: بما أمرت ؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك. فرجعت فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت، فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت، فوضع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أُمرت ؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي).[2]

لم تكن هذه المعجزة الباهرة مجردة رحلة للترويح والتنفيس فقط عن النبي – ﷺ – بعد سنوات من المعاناة مع قومه الذين أبوا اتباع الحق الذي جاءهم به، أو تعزية له لفقد عمه الذي حماه من بطش المشركين، وفقد زوجه الحنون خديجة أم المؤمنين التي رعته وساندته في مهمته التي كُلف بها.

---

[1] – قلال هجر: يضرب بها المثل لكبرها، وهجر قرية في البحرين والقلة: الجرة الكبيرة.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3598.

ولم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط رأى فيه رسول الله – ﷺ – الآيات الكبرى، وتجلى له ملكوت السماوات والأرض مشاهدة وعيانًا، بل زيادة إلى ذلك، اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معانٍ دقيقة كثيرة، وشارات حكيمة بعيدة المدى: فقد ضمت قصة الإسراء، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه تسميان " الإسراء "، " النجم " أن محمدا – ﷺ – هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلى بالأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانًا بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه، وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان، وأفادت هذه السورة الكريمة تعيين شخصية النبي– ﷺ – ووصف إمامته وقيادته وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وآمنت به، وبيان رسالته ودورها الذي ستمثله في العالم، ومن بين الشعوب والأمم.[1]

لما أصبح رسول الله – ﷺ – في قومه –بعد هذه الرحلة المعجزة– أخبرهم بما أراه الله – عز وجل – من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستضرارهم عليه، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له، حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئًا، وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا نفورًا، وأبى الظالمون إلا كفورًا.[2]

فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله – ﷺ– يقول: (لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه).[3]

---

[1] – السيرة النبوية للندوي 149.

[2] – زاد المعاد 38/3-39.وانظر الرحيق المختوم ص99. والدلائل للبيهقي 356/1-364.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3886. ومسلم في المسند الصحيح رقم 170.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – ﷺ –: (لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة فظعت بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي، فقعد معتزلا حزينا، قال: فمر عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء ؟ فقال رسول الله – ﷺ –: نعم. قال: ما هو ؟ قال: إنه أسري بي الليلة. قال: إلى أين ؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال: نعم. قال: فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني ؟ فقال رسول الله – ﷺ –: نعم. فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله – ﷺ –: إني أسري بي الليلة. قالوا: إلى أين ؟ قلت: إلى بيت المقدس. قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال: نعم. قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه، متعجبا للكذب زعم، قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد، فقال رسول الله – ﷺ –: فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال أو عقيل فنعته وأنا أنظر إليه. قال: وكان مع هذا نعت لم أحفظه. قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب).[1]

وهكذا استطاع رسول الله – ﷺ – أن يقيم الحجة على قومه، ولم يفلح أبو جهل في حيلته، وثبت بعد هذه المعجزة من صدق في إيمانه، وافتتن من كان في قلبه مرض، فكانت سببا لتصفية الصف، وتهيئة لإنشاء المجتمع المؤمن في المدينة المنورة بعد ذلك.

---

[1] – رواه أحمد في مسنده 293/4 وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وصححه السيوطي في الخصائص الكبرى 160/1. والألباني في السلسلة الصحيحة رقم 3021.

وأما أبو بكر فعندما أخبر الخبر، صدقه دون تردد، قائلا: (والله لئن كان قاله لقد صدق، وما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار، فهذا أبعد مما تعجبون منه. ثم أقبل على النبي – ﷺ – يسأله عن وصفه، وكلما ذكر شيئا قال: صدقت، أشهد إنك رسول الله...فقال النبي – ﷺ –: وأنت يا أبا بكر الصديق. فيومئذ سماه الصديق).[1]

فرض عبادة الصلاة في السماء:

لقد فرض الله – عز وجل – عبادة الصلاة على نبيه – ﷺ –، وعلى أمته، في السماء السابعة، إشارة إلى مترلتها العظيمة، ومكانتها الرفيعة، بين العبادات الأخرى، فهي ركن الإسلام الثاني بعد شهادة أن لا إله إلا اله وأن محمدا رسول الله، وكانت قرة عين النبي – عليه الصلاة والسلام –، فعن أَنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: (حبب إلي النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة).[2]

وكان – ﷺ – يكثر من الصلاة ويطيلها حتى انتفخت قدماه الشريفتان بسبب ذلك، فعن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه –: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صلى حتى انتفخت قدماه. قيل له: أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال: أفلا أكون عبدا شكورا).[3]

---

[1] – أخرجه الحاكم في المستدرك 3/62-63 . وقال:" حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه على المستدرك".أنظر السير النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 237. وانظر أيضا السيرة النبوية الصحيحة للعمري 1/192.

[2] – صحيح النسائي رقم 3950 للألباني وصححه.

[3] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2819.

وكان يصدر من صدره صوتا كصوت الرحى من شدة بكائه في صلاته التي كان يجد فيها راحته وسلواه، فعن عبد الله بن الشخير قال : (رأيت رسول الله – ﷺ – يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء صلى الله عليه وسلم).[1]

زواج النبي ﷺ بسودة وعائشة رضي الله عنهما:

تزوج سَوْدة بنت زَمْعَة القُرشية، وهي التي وهبت يومها لعائشة. ثم تزوج بعدها أمَّ عبد اللّه عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، المبرَّأة من فوق سبع سماوات، حبيبة رسول اللّه – ﷺ – عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق، وعرضها عليه المَلَكُ قبل نكاحها في سَرَقَةٍ[2] من حرير وقال: (هذه زوجتك)[3] تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهِجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، وما نزل عليه الوحي في لِحاف امرأة غيرها، وكانت أحبَّ الخلق إليه، ونزل عذرُهَا مِن السماء، واتفقت الأمة على كفر قَاذِفها، وهي أفقه نسائه وأعلمُهن، بل أفقهُ نساءِ الأمّة وأعلمهُنَّ على الإِطلاق، وكان الأكابرُ مِنْ أصحاب النبي – ﷺ – يرجعون إلى قولها ويستفتونها.[4]

النبي ﷺ يواصل الدعوة:

– دعوة القبائل:

---

[1] – صحيح أبي داود رقم 904 للألباني وصححه.

[2] – أي قطعة.

[3] – روى البخاري في الجامع الصحيح رقم 3895 ومسلم في المسند الصحيح رقم 2438 عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها : (أريتك في المنام مرتين، أي أنك في سرقة من حرير، ويقال: هذا امرأتك، فاكشف عنها، فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يمضه).

[4] – زاد المعاد1/105-106. وانظر أسد الغابة7/205إلى209. والإصابة8/16إلى20.

كان رسول الله – ﷺ – يعرض نفسه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه، ويبين لهم ما بعثه الله به.[1]

فعن ربيعة بن عباد – وكان جاهليا فأسلم – قال: (رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بصر عيني في سوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدا يقول شيئا، وهو لا يسكت يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا. إلا أن وراءه رجلا وضيء الوجه ذو غديرتين[2] يقول: إنه صابئ كاذب. فقلت: من هذا ؟ قالوا: محمد بن عبد الله. وهو يذكر النبوة. قلت: ومن هذا الذي يكذبه. قالوا عمه أبو لهب. قلت–أي ابن أبي الزناد–: إنك كنت يومئذ صغيرا. قال: لا والله، إني يومئذ لأعقل).

وفي رواية: قال: (إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيء ذو جمة، يقف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على القبيلة ويقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به.

فإذا فرغ رسول الله – ﷺ – من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن، بني مالك بن

---

[1] – سيرة ابن هشام 35/2–36، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد 168/1.

[2] – أي ضفيرتين.

أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا ؟ قال: هذا عمه أبو لهب.).[1]

ومن القبائل الذين أتاهم رسول الله – ﷺ –، ودعاهم وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صَعْصَعَة، ومُحَارِب بن خَصَفَة، وفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعَبْس، وبنو نصر، وبنو البَكَّاء، وكندة، وكلب، والحارث بن كعب، وعُذْرَة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد.[2]

وقد تمثلت ردود فعل القبائل فيما يلي:

1- الرفض التام بدون سبب مثل كندة وكلب.

2- الرفض بسبب عدم إسلام قريش مثل بني عبس وبني سليم ومحارب وغسان قالوا: عشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك.

3- الرفض بسبب كراهية الملوك مثل بني شيبان.

4- الموافقة بشرط الحصول على الزعامة من بعده مثل بني عامر.[3]

– دعوة غير أهل مكة:

---

[1] – رواه أحمد في المسند 491/3-492-493، 341/4، وسنده حسن، وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني216/20 : سنده جيد رواه البيهقي والطبراني. وله شاهد من حديث طارق بن عبد الله المحاربي، أخرجه أبو بكر بن شيبة، أنظر المطالب العالية:4277، قال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح، وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والنسائي وابن ماجة مختصرا، صحيح ابن حبان 1683. والطبراني في الكبير 4583. وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند:342/4 وقال الهيثمي في المجمع 22/6: رواه أحمد وابنه، والطبراني في الكبير نحوه، والأوسط باختصار وبأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد رجاله ثقات.(أنظر صحيح السيرة النبوية 66-67).

[2] – مختصر سيرة الرسول للنجدي ص170. وانظر الرحيق المختوم ص 91.

[3] – أنظر العلاقات العامة في عصر النبوة ص 61، والسيرة الحلبية 2/2-5.

كما كان الرسول – ﷺ – لا يسمع برجل من قادة الرأي أو زعماء القبائل أولي المكانة في القبيلة أو من ذوي الرياسة والشرف إلا دعاه إلى الإسلام رجاء إسلامه فيؤثر في قومه فيسلمون كما حدث مع[1]:

– سويد بن الصامت:

وكان شاعراً محسناً كثير الحكم في شعره وكان قومه يدعونه الكامل لحكمة شعره وشرفه فيهم .

لقي النبي – ﷺ – بسوق ذي المجاز من مكة في حجة حجها سويد على ما كانوا يحجون عليه في الجاهلية وذلك في أول مبعث النبي – ﷺ – ودعائه إلى الله – عز وجل – فدعاه رسول الله – ﷺ – إلى الإسلام فلم يرد عليه سويد شيئاً و لم يظهر له قبول ما دعاه إليه وقال له: لا أبعد ما جئت به. ثم انصرف إلى قومه بالمدينة، فيزعم قومه أنه مات مسلماً وهو شيخ كبير قتلته الخزرج في وقعة كانت بين الأوس والخزرج.[2]

– أبو ذر الغفاري:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – قال: قال أبو ذر: (كنت رجلا من غفار، فبلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل وكلمه، وائتني بخبره. فانطلق فلقيه، ثم رجع، فقلت: ما عندك ؟ فقال: والله، لقد رأيت رجلا يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقلت له: لم تشفني من الخبر، فأخذت جرابًا وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد. قال: فمر بي عليّ. فقال: كأن الرجل غريب ؟ قال: قلت: نعم. فقال: فانطلق إلى المترل. فانطلقت معه لا يسألني عن

[1] – العلاقات العامة في عصر النبوة ص 61.

[2] – أنظر الإصابة في تميز الصحابة 305/3. وسيرة ابن هشام 39/2-40.

شيء ولا أسأله ولا أخبره. فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء. قال: فمر بي عليّ فقال: أما نال للرجل يعرف مترله بعد ؟ قال: قلت: لا. قال: فانطلق معي، قال: فقال: ما أمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ قال: قلت له: إن كتمت عليّ أخبرتك. قال: فإني أفعل. قال: قلت له: بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه نبي الله، فأرسلت أخي يكلمه فرجع و لم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه. فقال له: أما إنك قد رشدت. هذا وجهي إليه، ادخل حيث أدخل فإني إن رأيت أحدًا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي، وامض أنت. فمضى ومضيت معه حتى دخل، ودخلت معه على النبي – ﷺ –. فقلت له: اعرض عليّ الإسلام. فعرضه، فأسلمت مكاني، فقال لي: يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل. فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم. فجئت إلى المسجد، وقريش فيه، فقلت: يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ. فقاموا، فضربت لأموت، فأدركني العباس فأكب عليّ، ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم تقتلون رجلا من غفار ؟ ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عني. فلما أن أصبحت الغد، رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فصُنع بي ما صُنع بالأمس، فأدركني العباس، فأكب عليّ وقال مثل مقالته بالأمس).[1]

– طُفَيل بن عمرو الدَّوْسي:

كان رجلا شريفًا، شاعرا لبيبًا، رئيس قبيلة دوس، وكانت لقبيلته إمارة أو شبه إمارة في بعض نواحي اليمن، قدم مكة في عام 11 من النبوة، فاستقبله أهلها قبل وصوله إليها، وبذلوا له أجل تحية وأكرم تقدير، وقالوا له: (يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه ،

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3522.

وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئًا.

يقول طفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا، ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا[1]؛ فرقًا[2] من أن يبلغني شيء من قوله. قال: فغدوت إلى المسجد فإذا هو قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريبًا منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر؛ ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فعرضت عليه قصة مقدمي، وتخويف الناس إياي، وسد الأذن بالكرسف، ثم سماع بعض كلامه، وقلت له: اعرض عليّ أمرك، فعرض عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن. فوالله ما سمعت قولًا قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت له: إني مطاع في قومي، وراجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، فدعا).

وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نورًا في وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم في غير وجهي، أخشى أن يقولوا: هذه مثلة، فتحول النور إلى سوطه، فدعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما، وأبطأ عليه قومه في الإسلام، لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق، ومعه سبعون أو ثمانون بيتًا من قومه، وقد أبلى في الإسلام بلاء حسنًا، وقتل شهيدًا يوم اليمامة .[3]

– ضِمَاد الأزدي:

---

[1]– أي القطن.

[2] – أي خوفا.

[3] – سيرة ابن هشام1/420-422-423. وقال ابن كثير في البداية والنهاية2/98: مرسل وله شاهد في الحديث الصحيح. وانظر الإصابة 3/521 إلى 522. وأسد الغابة 3/76-77-78.

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: (قدم ضماد الأزدي مكة فرأى رسول الله – ﷺ – وغلمان يتبعونه فقال: يا محمد إني أعالج من الجنون. فقال رسول الله – ﷺ –: إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، قال: فقال: رد علي هذه الكلمات قال: ثم قال: لقد سمعت الشعر والعيافة[1] والكهانة فما سمعت مثل هذه الكلمات، لقد بلغن قاموس البحر وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فأسلم، فقال له رسول الله – ﷺ – حين أسلم: عليك وعلى قومك. قال: فقال: نعم علي وعلى قومي. قال: فمرت سرية من أصحاب النبي – ﷺ – بعد ذلك بقومه فأصاب بعضهم منهم شيئا إداوة[2] أو غيرها فقالوا: هذه من قوم ضماد ردوها. قال: فردوها).[3]

وفد من يترب في مكة:

كانت نيران العداوة مشتعلة في يثرب بين الأوس والخزرج، وكان الأوس أقل عددًا من الخزرج، فجاءت جماعة من الأوس إلى مكة راغبين في الحلف مع قريش على قومهم من الخزرج، وذلك قبيل حرب بعاث في أوائل سنة 11 من النبوة؛ فلما علم رسول الله – ﷺ – بوجودهم اتصل بهم ليبلغهم دعوة الإسلام. فعن محمود بن لبيد قال: (لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع، مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله – ﷺ – فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له: وما ذاك ؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل علي الكتاب. قال: ثم ذكر لهم الإسلام،

---

[1] – العيافة: زجر الطير.

[2] – الإداوة: إناء صغير من جلد.

[3] – رواه أحمد في المسند 264/4 وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وتلا عليهم القرآن. قال: فقال: إياس بن معاذ، وكان غلاما حدثا: أي قوم هذا، والله خير مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع، حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس وقام رسول الله - ﷺ - عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج . قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما).[1]

بدء إسلام الأنصار:

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، ولما أراد الله إظهار دينه، وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله - ﷺ - في الموسم الذي لقيه في النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا.[2]

وكانوا ستة هم:

1- أسعد بن زُرَارة [من بني النجار] .

2 - عوف بن الحارث بن رفاعة ابن عَفْراء [من بني النجار] .

3 - رافع بن مالك بن العَجْلان [من بني زُرَيْق] .

4 - قُطْبَة بن عامر بن حديدة [من بني سلمة] .

---

[1] - سيرة ابن هشام40/2. قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة167/1: رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا وهو من صحيح حديثه لكن رواه زياد البكائي عن ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بدل الحصين والأول أرجح أشار إلى ذلك البخاري في تاريخه.

[2] - البداية والنهاية 146/2. وانظر سيرة ابن هشام 42/2. والروض الأنف 43/4. وطبقات ابن سعد 185/1. وسبل الهدى والرشاد 267/3.

5 – عُقْبَة بن عامر بن نابي [من بني حَرَام بن كعب] .

6 – جابر بن عبد الله بن رِئاب [من بني عبيد بن غَنْم] .[1]

قال ابن إسحاق: (لما لقيهم رسول الله – ﷺ – قال لهم: من أنتم ؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود ؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله – عز وجل– وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن، قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله – ﷺ – أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله – ﷺ – راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا).[2]

---

[1] – سيرة ابن هشام 42/2-43-44. وعيون الأثر 263/1. والرحيق المختوم ص95.

[2] – سيرة ابن هشام 42/2.قال العلي في صحيح السيرة النبوية ص 105:" وإسناده حسن رجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث".وحسنه أيضا الشيخ الألباني في فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 146.

بيعة العقبى الأولى:

حتى إذا كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة وهم :

1 – معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بني النجار [من الخزرج].

2 – ذَكْوَان بن عبد القيس من بني زُرَيْق [من الخزرج].

3 – عبادة بن الصامت من بني غَنْم [من الخزرج].

4 – يزيد بن ثعلبة من حلفاء بني غنم [من الخزرج].

5– العباس بن عُبَادة بن نَضْلَة من بني سالم [من الخزرج].

6 –أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهَان من بني عبد الأشهل [من الأوس].

7 – عُوَيْم بن ساعدة من بني عمرو بن عَوْف [من الأوس].

فبايعوا رسول الله – ﷺ – على بيعة النساء (أي بنود بيعة العقبة الأولى هي نفس البنود التي بايع الرسول – ﷺ – عليها النساء فيما بعد، ولذلك عُرفت باسم بيعة النساء).[1]

فعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – : (أن رسول الله – ﷺ – قال: تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفَّ منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فأمره إلى الله؛ إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه. قال: فبايعته ـــ وفي نسخة: فبايعناه ـــ على ذلك).[2]

---

[1] – سيرة ابن هشام 2/44-45-46. وانظر عيون الأثر 1/263-264. والطبقات الكبرى1/187. والرحيق المختوم ص100.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3892.

مصعب بن عمير سفير الدعوة:

فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله – ﷺ – معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى "المقرئ"، وكان مترله على أسعد بن زرارة.[1]

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير:

وقد استطاع مصعب – رضي الله عنه – في ظرف زمني قصير أن ينشر الإسلام في يثرب، ويعلم أهلها القرآن، ويؤثر بحسن عرضه للدين الجديد الذي جاء به محمد –ﷺ –، في شخصيات كثيرة مثل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا قومهما من بني عبد الأشهل.

وذكر ابن إسحاق : (أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر. قال ابن هشام : واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس – قالا : على بئر يقال لها : بئر مرق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه. فلما سمعا به قال: سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدما، قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته. ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال فوقف عليهما. متشتما، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان

[1] – سيرة ابن هشام 47/2-48. وانظر أسد الغابة 190/4 إلى 193. والإصابة 123/6.

ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره. قال: أنصفت. ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا: فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله. ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي، قال له سعد: ما فعلت ؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك.[1] قال: فقام سعد مغضبا مبادرا، تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتما، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره – وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب جاءك والله سيِّد مَنْ وراءَه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان – قال: فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم

[1] – الإخفار: نقض العهد والغدر.

ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير. قال: فلما رآه قومه مقبلا، قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة. ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله، وهم من الأوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وهو صيفي، وكان شاعرا لهم قائدا يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله – ﷺ – إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق) .[1]

بيعة العقبة الثانية:

وكثر الإسلام بالمدينة وظهر، ثم رجع مصعب – رضي الله عنه – إلى مكة — في الموسم الثاني بعد بيعة العقبة الأولى– ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين، والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معرور – رضي الله عنه – فلما كانت ليلة العقبة الثلث الأول منها تسلل إلى رسول الله – ﷺ – ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، فبايعوا رسول الله – ﷺ – خفية من قومهم ومن كفار مكة.[2]

[1] – سيرة ابن هشام 49/2 إلى 51. حديث حسن وهو مرسل كما قال العلي في صحيح السيرة النبوية ص 107.

[2] –الفصول في سيرة الرسول ص 111–112. وانظر سيرة ابن هشام 52/2، والسيرة النبوية للندوي 159.

فعن كعب بن مالك – وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله – ﷺ – بها– قال: (خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور، سيدنا وكبيرنا، فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت رأيا، فوالله ما أدري، أتوافقونني عليه أم لا ؟ قال: قلنا: وما ذاك ؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البَنِيَّة مني بظهر يعني الكعبة، وأن أصلي إليها. قال: فقلنا، والله ما بلغنا أن نبينا – صلى الله عليه وسلم – يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه. قال: فقال: إني لمصل إليها. قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل. قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام، وصلى إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة. قال: وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك. فلما قدمنا مكة قال لي: يا بن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله – ﷺ – حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي شيء منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه. قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله – ﷺ– وكنا لا نعرفه، و لم نره قبل ذلك، فلقينا رجلا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله – ﷺ — فقال: هل تعرفانه ؟ فقلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال: قلنا: نعم.– قال: وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا — قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد، فإذا العباس جالس ورسول الله – ﷺ – جالس معه فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال: رسول الله – ﷺ — للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور، سيد قومه وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله – ﷺ–: الشاعر ؟ قال: نعم. قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا، وقد هداني الله للإسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها. قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله

– ﷺ – وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم.

ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله – ﷺ – بالعقبة من أوسط أيام التشريق. قال: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله – ﷺ– لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم مَنْ معنا مِن قومنا مِنَ المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله – ﷺ – إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيبا. قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله – ﷺ – نتسلل تسلل القطا[1] مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وهي أم منيع.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله – ﷺ – حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج — قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار : الخزرج، خزرجها وأوسها – : إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد

---

[1] – نوع من أنواع الطيور.

الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومَنَعة من قومه وبلده، قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال: فتكلم رسول الله – ﷺ –. فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم[1] على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنا[2] فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة[3] ورثناها كابرا عن كابر. قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله – ﷺ –، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا، وإنا قاطعوها – يعني اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله – ﷺ – ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم.

وقد كان قال رسول الله – ﷺ –: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس).[4]

---

[1] – وقد روى ذلك الإمام أحمد 322/3 بإسناد حسن وصححه الحاكم 624/2 وابن حبان 7012 عن جابر رضي الله عنه: قلنا : يا رسول الله، علام نبايعك ؟ قال :

(على السمع والطاعة في النشاط والكسل .

وعلى النفقة في العسر واليسر .

وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم .

وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة). أنظر الرحيق المختوم ص 104.

[2] – أي نساءنا.

[3] – أي السلاح.

[4] – سيرة ابن هشام 52/2 إلى 56. رواه ابن اسحاق وصححه الشيخ الألباني في فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 150. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 42/6-45: رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. أنظر صحيح السيرة النبوية ص 112.

فتم اختيارهم في الحال، وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وهاك أسماءهم :

نقباء الخزرج:

1 – أسعد بن زُرَارَة بن عدس .

2 – سعد بن الرَّبِيع بن عمرو .

3 – عبد الله بن رواحة بن ثعلبة .

4 – رافع بن مالك بن العَجْلان .

5 – البراء بن مَعْرُور بن صَخْر .

6 – عبد الله بن عمرو بن حَرَام .

7 – عبادة بن الصامت بن قيس .

8 – سعد بن عبادة بن دُلَيْم .

9 – المنذر بن عمرو بن خُنَيْس .

نقباء الأوس:

10– أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِمَاك .

11– سعد بن خَيْثَمَة بن الحارث .

12– رفاعة بن عبد المنذر بن زبير.[1]

الشيطان يسعى لتنبيه قريش، والأنصار مستعدون للمواجهة:

لما بايع الأنصار رسول الله –ﷺ – اكتشف الشيطان اللعين هذا الاجتماع المبارك فصرخ بأعلى صوته محاولا تنبيه المشركين من قريش، فقد روى كعب بن مالك – رضي الله عنه – قال: (فلما بايعنا رسول الله – ﷺ – صرخ الشيطان من

[1] – الرحيق المختوم ص106. أنظر سيرة ابن هشام 56/2 إلى 85. وإمتاع الأسماع 1/ 54-55. وصحيح السيرة النبوية للعلي ص 113.

رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباجب – والجباجب : المنازل – هل لكم في مذمم والصباة معه، قد اجتمعوا على حربكم. قال: فقال رسول الله – ﷺ –: هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب، أتسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك.

قال: ثم قال رسول الله – ﷺ –: ارفضُّوا[1] إلى رحالكم.

قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ؟ قال: فقال رسول الله – ﷺ –: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم. قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا).[2]

وفي الصباح جاءهم جمع من كبار قريش، يسألونهم عما بلغهم من بيعتهم للنبي – ﷺ – ودعوتهم له للهجرة، فحلف المشركون من الخزرج والأوس بأنهم لم يفعلوا والمسلمون ينظرون إلى بعضهم.[3]

وقد اكتشفت قريش الأمر بعد رحيل الأنصار عن مكة، و لم يظفر مشركوها إلا بسعد بن عباد الذي ضربوه بشدة حتى أنقذه منهم مطعم بن عدي وحارث بن حرب، لأنه كان يجير قوافلهما التجارية المارة بالمدينة، فعاد إلى أهله بعد هذه المحنة.

إذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة:

وبعد العقبة الثانية أذن النبي – ﷺ– للمسلمين، الذين كانوا بمكة يفتنون في دينهم ويعذبون بصنوف الأذى حتى تحوَّل وطنهم جحيما، في الهجرة إلى يثرب واللحوق بإخوانهم هناك.[4] فعن عائشة — رضي الله عنها – قالت : (قال رسول الله – ﷺ – للمسلمين: " إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابَتَيْن ".

[1] – أي تفرقوا.

[2] – سيرة ابن هشام 2/60-61. رواه ابن إسحاق وهو صحيح كما تقدم تخريجه من قبل.

[3] – ابن هشام 2/16-62. وانظر: السيرة النبوية الصحيحة للعمري 1/201.

[4] – رحمة للعالمين للمنصورفوري 1/84.

ـــ وهما الحرتان ـــ فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة..).[1]

فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله – ﷺ – أبو سلمة بن عبد الأسد – بسين ودال مهملتين.[2]

ابتلاءات ومحن في طريق الهجرة:

لم تكن هجرة المسلمين من مكة هينة سهلة تسمع بها قريش وتطيب بها نفسا، بل كانوا يصنعون العراقيل في سبيل الانتقال من مكة إلى المدينة، ويمتحنون المهاجرين بأنواع المحن، وكان المهاجرون لا يعدلون عن هذه الفكرة، ولا يؤثرون البقاء في مكة مهما دفعوه من قيمة.[3]

محنة أسرة مسلمة مهاجرة:

قالت أم سلمة – رضي الله عنها –: (لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره، ثم حملني عليه، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبْتَنَا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها إلى البلاد ؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة. قالوا: لا، والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففرق بيني وبين زوجي، وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريباً منها، حتى مرّ بي رجل من بني

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2297.

[2] – ابن سعد في الطبقات192/1. وانظر سيرة ابن هشام82/2.

[3] – السيرة النبوية للندوي ص 160.

عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله. قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت، حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار. فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد ؟ قالت: فقلت: لا والله إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك.

فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المترل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت عنه أستأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني فقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقاد بي حتى يترل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلاً، فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة).[1]

ربح صهيب..ربح صهيب:

وحين أراد صهيب – رضي الله عنه – الهجرة قال له كفار قريش: (أتيتنا صعلوكا حقيرا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك

[1] – سيرة ابن هشام 82/2-83. رواه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع وسند رجاله ثقات فالحديث صحيح. انظر صحيح السيرة النبوية للعلي ص117.

ونفسك، والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسول الله – ﷺ – فقال: ربح صهيب، ربح صهيب).[1]

تواعد عمر وعياش وهشام على الهجرة:

قال ابن إسحاق: (ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدما المدينة. فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: اتَّعدتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل السهمي، التناضب من أضاة بني غفار، فوق سَرِف، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام وفتن فافتتن فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله – ﷺ – بمكة فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها، فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: فقال: أبر قسم أمي، ولي هنالك مال فآخذه. قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى علي إلا أن يخرج معهما؛ فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له: أما إذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها. فخرج

---

[1] – سيرة ابن هشام 91/2. قال الشيخ الألباني في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 157 : حديث صحيح، ذكره ابن هشام معلقا مرسلا، وقد وصله الحاكم 398/3 من حديث ثابت عن أنس ومن حديث أيوب عن عكرمة مرسلا، نحوه وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وهو كما قال وله شاهد من حديث صهيب نفسه، ورواه الطبراني كما في المجمع 60/6، والبيهقي كما في البداية 173/3-174.

عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا بن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال: بلى. قال: فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن. قال ابن إسحاق: فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا.

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع عن عبد الله بن عمر، عن عمر في حديثه قال: فكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم، قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدم رسول الله – ﷺ – المدينة، أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ، وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الزمر:53-55]، قال عمر بن الخطاب : فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاصي قال: فقال هشام بن العاصي: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها. قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه فلحقت برسول الله – ﷺ– وهو بالمدينة).[1]

[1] – سيرة ابن هشام 87/2-88-89. رواه ابن إسحاق بإسناد حسن لذاته حيث صرح بالتحديث ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الحاكم في مستدركه 235/2 وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي. أنظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري 206/1. وقال العلي في صحيح السيرة النبوية ص 118: حديث صحيح.

أما ما روي من إعلان عمر لهجرته وتهديده من يلحق به بثكل أمه فلم يصح. أنظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري 206/1. وانظر دفاع عن الحديث النبوي والسيرة للألباني ص 143.

لقد هاجر كل من استطاع الهجرة من المسلمين إلى المدينة إلا بعض المستضعفين الذين لم يتمكنوا من الخروج بسبب حبسهم كرها أو غلبوا على أمرهم.

كما بقي علي –رضي الله عنه– وأبو بكر الذي طلب منه النبي – ﷺ – التروي وعدم الهجرة حتى يجعل الله بعد ذلك أمرا.

قالت عائشة – رضي الله عنها –: (...وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله – ﷺ–: على رِسْلِك، فإني أرجو أن يؤذن لي. فقال له أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله – ﷺ – ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمَر – وهو الخَبَطُ – أربعة أشهر).[1]

هجرة رسول الله ﷺ :

فلما رأى المشركون أصحاب رسول الله – ﷺ – قد تجهزوا، وخرجوا، وحملوا، وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج، وعرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل حلقة وشوكة وبأس، فخافوا خروج رسول الله – ﷺ – إليهم ولحوقه بهم، فيشتد عليهم أمره، فاجتمعوا في دار الندوة، ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجا منهم ليتشاوروا في أمره، وحضرهم وليهم وشيخهم إبليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد مشتمل الصماء في كسائه، فتذاكروا أمر رسول الله – ﷺ – فأشار كل أحد منهم برأي، والشيخ يرده ولا يرضاه، إلى أن قال أبو جهل:

(قد فرق لي فيه رأي ما أراكم قد وقعتم عليه. قالوا: ما هو ؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاما نهدا جلدا، ثم نعطيه سيفا صارما، فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك كيف

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3905.

تصنع، ولا يمكنها معاداة القبائل كلها، ونسوق إليهم ديته. فقال الشيخ: لله در الفتى، هذا والله الرأي).

فتفرقوا على ذلك، واجتمعوا عليه، فجاءه جبريل بالوحي من عند ربه تبارك وتعالى، فأخبره بذلك، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة.[1]

وسجل القرآن الكريم ما دار في اجتماع المشركين، فقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال الآية:30].

قالت عائشة – رضي الله عنها –: (فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله – ﷺ – متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله – ﷺ – فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي – ﷺ – لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله. قال: فإني قد أُذن لي في الخروج. فقال أبو بكر الصحابة بأبي أنت يا رسول الله. قال رسول الله – ﷺ –: نعم. قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله – ﷺ –: بالثمن.

قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما

[1] – زاد المعاد 50/3-51. وانظر سيرة ابن هشام 94/2-95-96. وطبقات ابن سعد193/1-194. ودلائل النبوة للبيهقي 467/2-468.

عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر رجلا من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي، هاديا خريتا – والخريت الماهر بالهداية – قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل).[1]

لم يعلم بخروج رسول الله – ﷺ – أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر.

أما علي فإن رسول الله – ﷺ – أمره أن يتخلف، حتى يؤدي عن رسول الله – ﷺ – الودائع، التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله – ﷺ – وليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته.[2]

لقد مكث الرسول – ﷺ – وصاحبه أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – في الغار ثلاث ليال، مختفيين عن أعين الراصدين، وقد اقتفى المشركون أثرهما حتى وصولوا أمام الغار، ولكن الله – عز وجل– حال بينهم وبين النبي – ﷺ – وصاحبه بحفظه وتدبيره. فعن أبي بكر الصديق — رضي الله عنه – قال: (قلت للنبي – ﷺ – وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟).[3] وفي رواية: (اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما).

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3905.

[2] – سيرة ابن كثير 234/2. وانظر سيرة ابن هشام 99/2.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3653.

وسجل الله – عز وجل- هذه اللحظات الخطيرة في حياة الدعوة والداعية فقال: ﴿ **إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة الآية:40].

ثم ارتحل رسول الله – ﷺ – وأبو بكر – رضي الله عنه – وارتحل معهما عامر بن فُهَيْرة، وأخذ بهم الدليل- عبد الله بن أريقط – على طريق السواحل-كما ذكرنا من قبل-.

وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غربًا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس، اتجه شمالًا على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقًا لم يكن يسلكه أحد إلا نادرًا .[1]

يروي أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – قائلا: (أسرينا ليلتنا ومن الغد، حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد، فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل، لم تأت عليه الشمس، فنزلنا عنده، وسويت للنبي – ﷺ – مكانا بيدي ينام عليه، وبسطت فيه فروة، وقلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براع مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت: لمن أنت يا غلام، فقال: لرجل من أهل المدينة أو مكة، قلت: أفي غنمك لبن ؟ قال: نعم، قلت: أفتحلب، قال: نعم، فأخذ شاة، فقلت: انفض الضرع من التراب والشعر والقَذَى، ... فحلب في قعب كُثْبة من لبن، ومعي إداوة حملتها للنبي- ﷺ – يرتوي منها، يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي – ﷺ – فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ، فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله،

[1] - الرحيق المختوم ص116.

فقلت: اشرب يا رسول الله، قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال : ألم يأن الرحيل. قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعد ما مالت الشمس).[1]

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (أقبل نبي الله – ﷺ – إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، ونبي الله شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك، فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله، هذا فارس قد لحق بنا. فالتفت نبي الله – ﷺ – فقال: اللهم اصرعه. فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبي الله، مرني بما شئت، قال: فقف مكانك، لا تتركن أحدا يلحق بنا. قال: فكان أول النهار جاهدا على نبي الله – ﷺ –، وكان آخر النهار مسلحة له).[2]

وكان هذا الرجل الذي كان يتبع النبي – ﷺ – وأبا بكر الصديق – رضي الله عنه – سراقة بن مالك، وقد حاول القبض عليهما من أجل الحصول على المكافأة التي قدرها مائة من الإبل بدل كل واحد منهما وعدت بها قريش من يأتي بهما إلى مكة حيين أو ميتين.

قال سراقة – رضي الله عنه –: (جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله – ﷺ – وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلِج، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني رأيت آنفًا أسْوِدَة بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه. قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3615.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3911.

تخرج فرسي، وهي من وراء أَكَمَة، فتحبسها عَلَيّ، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فخَطَطْتُ بزُجِّهِ الأرض، وخَفَضْتُ عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرَفَعْتُها تُقَرِّب بي حتى دنوت منهم، فعَثَرَتْ بي فرسي فخررت عنها، فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها، أضُرُّهُمْ أم لا ؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي – وعصيت الأزلام – تُقَرّبُ بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات – سَاخَتْ يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تَكَدْ تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمْرُ رسول الله – ﷺ –، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية. وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يَرْزَأني، و لم يسألاني إلا أن قال: أَخْفِ عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمْنٍ، فأمر عامر بن فُهَيْرة، فكتب لي في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله –ﷺ –).[1]

وفي رواية عن أبي بكر– رضي الله عنه – قال : (ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا منهم أحد غير سراقة بن مالك بن جُعْشُم، على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: ﴿ **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا** ﴾[التوبة: 40]).[2]

وهكذا انطلق إليهما في الصباح جاهداً في قتلهما، وعاد في المساء يحرسهما ويصرف الناس عنهما.

وعن خالد بن خنيس الخزاعي – رضي الله عنه –: (أن رسول الله – ﷺ – حين خرج من مكة، وخرج منها مهاجراً إلى المدينة، هو وأبو بكر – رضي الله

---

[1]– رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3906.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3652.

عنه – ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة – رضي الله عنه – ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط، مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت برزة[1] جلدة[2] تحتبي[3] بفناء القبة ثم تسقي وتطعم، فسألوهما لحماً وتمراً، ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مُرْمِلين[4] مسنتين[5] فنظر رسول الله – ﷺ – إلى شاة في كسر الخيمة[6] فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت: خلفها الجهد عن الغنم، قال: فهل بها من لبن ؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين أن أحلبها ؟ قالت: بلى بأبي أنت وأمي، نعم، إن رأيت بها حلباً فاحلبها.

فدعا بها رسول الله – ﷺ – فمسح بيده ضرعها، وسمى الله – عز وجل–، ودعا لها في شاتها، فتفاجت[7] عليه، ودرت[8] واجترت[9] ودعا بإناء يُرْبِض[10] الرهط، فحلب فيها ثجا[11] حتى علاه البهاء[12] ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم – صلى الله عليه وسلم – ثم أراضوا[13]، ثم حلب فيها ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها، وارتحلوا عنها. فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافاً[14] يتساوكن هُزلا[15] ضحى، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازب

[1] – برزة: كهلة كبيرة السن، لا تحتجب احتجاب الشواب.

[2] – جلدة: قوية صلبة وقيل عاقلة.

[3] – تحتبي: أي تجلس وتضم يديها إحداهما إلى الأخرى، على ركبتيها، وتلك جلسة الأعراب.

[4] – مرملين: نفذ زادهم.

[5] – مسنتين: أي داخلين في أسَنَة وهي الجدب والمجاعة والقحط.

[6] – كسر الخيمة: بفتح الكاف وكسرها، وسكون المهملة: أي جانبها.

[7] – تفاجت: فتحت ما بين رجليها للحلب.

[8] – درت: أرسلت اللبن.

[9] – واجترت: من الجرة وهي ما تخرجها البهيمة من كرشها تمضغها.

[10] – يربض: يرويهم حتى يثقلوا فيربضوا، أي يقعوا على الأرض للنوم والراحة.

[11] – ثجا: لبنا كثيراً سائلا.

[12] – علاه البهاء: أي أعلا الإناء بهاء اللبن.

[13] – أراضوا: أي رووا، فنقعوا بالري، يريد شربوا مرة بعد مرة.

[14] – عجافا: ضد السمن، وهو جمع عجفاء وهي المهزولة.

[15] – يتساوكن هزلا: يتمايلن من الضعف.

حيال[1] ولا حلوبة في البيت ؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك، من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة[2]، أبلج الوجه[3]، حسن الخلق، لم تعبه نحلة[4] ولا تزر به صعلة[5] وسيم[6]، في عينيه دعج[7]، وفي أشفاره وطف[8]، وفي صوته صهل[9] وفي عنقه سطع[10] وفي لحيته كثاثة، أزج[11]، أقرن[12]، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما[13] وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا هذر ولا نزر[14]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربع[15] لا يأس من طول[16] ولا تقتحمه العين من قصر[17] غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود[18]، محشود[19]، لا عابس ولا مُفنَّد[20].

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد

---

[1] – عازب: بعيدة المرعى لا تأوي إلى البيت إلا في الليل، حيال: لا تحمل.

[2] – ظاهر الوضاءة: ظاهر الجمال والحسن.

[3] – أبلج الوجه: مشرق الوجه مضيئه.

[4] – نحلة: من النحول والدقة والضمور، أي أنه ليس نحيلا.

[5] – صعلة: صغر الرأس وهي تعني الدقة والنحول في البدن.

[6] – وسيم: الوسيم المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له سمة.

[7] – دعج: شديد سواد العين في شدة بياضها.

[8] – في أشفاره وطف: الشعر النابت على الجفن فيه طول.

[9] – صهل: كالبحة وهو ألا يكون حاد الصوت.

[10] – سطع: طول العنق.

[11] – أزج: دقيق شعر الحاجبين مع طولهما.

[12] – أقرن: متصل ما بين حاجبين من الشعر، أو مقرون الحاجبين.

[13] – سما: علا برأسه، أو بيده وارتفع.

[14] – لا هذر ولا نذر: الهذر من الكلام ما لا فائدة فيه والنزر: القليل.

[15] – رَبْع: ليس بالقصير ولا بالطويل.

[16] – لا يأس من طول: لا يجاوز الناس طولا.

[17] – لا تقتحمه العين من قصر: لا تزدريه ولا تحتقره.

[18] – محفود: مخدوم.

[19] – محشود: يجتمع الناس حواليه.

[20] – لا عابس ولا مفند: ليس عابس الوجه ولا مفند: ليس منسوباً إلى الجهل وقلة العقل.

همت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً).[1]

---

[1] – انظر: الهجرة النبوية المباركة (ص 104-106) والهوامش منه ببعض تصرف. نقلا عن السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث 508/1إلى511.

وللإشارة فإن قصة أم معبد وردت من عدة طرق ، قال الدكتور أكرم ضياء العمري في هامش كتاب " السيرة النبوية الصحيحة . 213/1 – 214 : أخرجها ابن إسحاق بإسناد معضل كما في " دلائل النبوة " للبيهقي (493/2) من رواية يونس بن بكير عنه .

– وابن خزيمة كما ذكر ابن حجر في الإصابة . ولم أقف على سنده .

– والطبراني : المعجم الكبير (56/4) بإسناد فيه مكرم بن محرز انفرد ابن حبان بتوثيقه (الثقات 207/9) ، ولم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحا ولا تعديلا (الجرح والتعديل 443/8) وفيه محرز بن مهدي مجهول ، وهشام بن خنيس مجهول الحال . وقال الهيثمي : وفي إسناده جماعة لم أعرفهم (مجمع الزوائد 58/6) .

– وأخرجه الطبراني من طريق آخر فيه عبد العزيز بن يحيى المديني نسبه البخاري وغيره إلى الكذب وفيه مجاهيل أيضا كما يقول الهيثمي (مجمع الزوائد 279/8 ، وانظر ميزان الاعتدال 573/3 ، والضعفاء للعقيلي 74/4) .

– وأخرجه ابن سعد : الطبقات 230/1 بإسناد واهٍ فيه سليمان بن عمرو النخعي ، وقد دلس اسمه عبد الملك بن وهب المذحجي وهو كذاب (الكامل لابن عدي 1096/3)

– وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير 84/1/2 وفي إسناده عبد الملك بن وهب الدحجي كذاب (التاريخ الكبير 28/2/2) وشك البخاري في انقطاع السند .

– وأخرجه البزار بإسنادين أحدهما فيه عبد الرحمن بن عقبة مجهول الحال ويعقوب بن محمد الزهري صدوق كثير الوهم والرواية عن الضعفاء (كشف الأستار 301/2) ومن اختلاف متنه قوله " نزلا بأبي معبد " وذكره إسلام أبي معبد آنذاك .

وهذه الرواية من حديث قيس بن النعمان أخرجها الطبراني بسند صحيح وسياق أتم فيما ذكر ابن حجر (الإصابة 506/5) . وساقها الحاكم في المستدرك 9/3 من حديث هشام بن حبيش مجهول الحال . وساقها من طريق قيس بن النعمان 8/3 – 9 ، ولم يصرح باسم الراعي .

وأخرجه البغوي وابن شاهين وابن مندة من طريق حزام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه (السيوطي : الخصائص الكبرى 309/1) وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني بسنده من حديث هشام بن حبيش (دلائل 282).

وأخرجه ابن سيد الناس من طريق أبي بكر الشافعي بإسناد فيه الكديمي وعبد العزيز بن يحيى متهمان (عيون الأثر 188/1) . وبإسناد فيه ابن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر معضلاً . وبإسناد فيه هشام بن حبيش مجهول الحال ، وأضاف ابن سيد الناس إلى أسانيد أبي بكر الشافعي سندا فيه سيف بن عمر التميمي وهو متروك .

وساق ابن كثير الخبر من طريق ابن أبي ليلى ، وليس فيه التصريح بأم معبد أو بأبي معبد ، فسنده منقطع . كما ساقها من رواية البزار بالسند الذي فيه عبد الرحمن بن عقبة (البداية والنهاية 189/3) . ثم ساقها ابن كثير بواسطة البيهقي وفي إسناده عبد الملك بن وهب المذحجي كذاب (البداية والنهاية 190/3) ويرى ابن كثير أن قصة أم معبد مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضا (البداية والنهاية 188/3) . =

وعن عروة بن الزبير: (أن رسول الله – ﷺ – لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله – ﷺ – وأبا بكر ثيابَ بياضٍ).[1]

وصوله ﷺ إلى قباء:

وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله – ﷺ – من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهودٍ على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبَصُرَ برسول الله وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله – ﷺ – بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله – ﷺ – صامتًا، فطفق من جاء من

= ثم إن الحافظ ابن حجر ذكر أن ابن مندة ساقها من طريق عبد الرحمن بن عقبة (الإصابة 169/6) وقد سبق أنه مجهول الحال . وذكر الحافظ ابن حجر أيضا (الإصابة 306/8 – 307) أن ابن السكن أخرجها من طريقين :

طريق ابن الأشعث حفص بن يحيى التيمي ولم أقف على ترجمته ، ومن طريق آخر بسند لم يذكر ابن حجر سائر رجاله لكن متن روايتي ابن السكن مخالف لمتون الروايات الأخرى .

كذلك أخرج القصة ابن عبد البر في الاستيعاب (1958) بإسناد فيه الحكم بن أيوب الخزاعي انفرد ابن حبان بتوثيقه (لسان الميزان 478/1) وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (245/2) فلم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وفيه محمد بن سليمان بن الحكم الخزاعي ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 269/7 ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، ولكنه كتب عنه فيبدو أنه – على الأقل – يُعتبر بحديثه . وفيه عبد الله بن محمد بن عيسى بن حكيم لم أقف على ترجمته .

وكذا لا يخلو من طريق من طرقها من العلل القادحة ، وهي بمجموع طرقها لا تصلح للاحتجاج بها في موضوعات المعجزات . ولكن حديثي التابعي الكبير عبد الرحمن بن أبي ليلى والصحابي جابر بن عبد الله هما أمثل طرق قصة أم معبد يعتضدان إلى الحسن لغيره . لكنهما لا يقويان على مناهضة حديث قيس بن النعمان من طريق الطيالسي فإنه حسن لذاته بل يرى ابن حجر أنه صحيح .ا.هـ

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3906.

الأنصار ممن لم ير رسول الله – ﷺ – يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله – ﷺ –، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله – ﷺ – عند ذلك، فلبث رسول الله – ﷺ – في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله – ﷺ –.[1]

قال الله – عزوجل– في شأن مسجد قباء الذي أسسه النبي – ﷺ–: ﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ، أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[التوبة الآية:108-109].

دخول النبي ﷺ المدينة:

ولما عزم رسول الله – ﷺ – أن يدخل المدينة[2] أرسل إلى زعماء بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم.

وكان عدد الذين استقبلوه خمسمائة من الأنصار، فأحاطوا بالرسول – ﷺ – وبأبي بكر وهما راكبان، ومضى الموكب داخل المدينة، وقيل في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله – ﷺ–.

---

[1] – نفس المصدر السابق.

[2] – تقع المدينة على بعد نحو من ثلاثمائة ميل شمال مكة، وكان اسمها الغالب عليها في الجاهلية يثرب، وهي تقع بين حرتين، وأرضها تشتهر بالخصب من قديم...وقيل: إن نشأتها يرجع إلى نحو سنة ستمائة وألف قبل الميلاد، وكان يسكنها العماليق في بادئ الأمر، ثم ارتحل إليها بعض اليهود لما تعرضوا لموجات من الاضطهاد والقتل والأسر على يد بختنصر البابلي وغيره، فأقاموا بها، حتى نزل بعد انهيار (سد مأرب) بعض القبائل العربية الجنوبية، وهما قبيلتا الأوس والخزرج...وأصبح لهما الزعامة بيثرب. وقد استمرت الحال على هذا حتى مجئ الإسلام، وسارعت إليه القبيلتان، وعرفتا فيما بعد بـــ (الأنصار)...وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طيبة وطابة بعد أن كانت تسمى يثرب، وحرمها كما حرم إبراهيم مكة. انظر السيرة النبوية لأبي شهبة 55/1-56.

وقد صعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان في الطرق ينادون: يا محمد يا رسول الله، يا محمد يا رسول الله.

قال البراء بن عازب – رضي الله عنه –: (ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله).[1]

وأقبل رسول الله – ﷺ – يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب الأنصاري فتساءل: أي بيوت أهلنا أقرب ؟ فقال أبو أيوب – رضي الله عنه –: أنا يا نبي الله، هذه داري، وهذا بابي[2]، فنزل في داره.[3]

الرسول ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري:

قال أبو أيوب الأنصاري – رضي الله عنه –: (لما نزل عليَّ رسول الله – ﷺ– في بيتي، نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي، فاظْهَر أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل. فقال: يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا، أن نكون في سفل البيت. قال: فكان رسول الله – ﷺ – في سفله وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حُبّ[4] لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، ما لنا لحاف غيرها، ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر على رسول الله – ﷺ – منه شيء فيؤذيه. قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلا أو ثوما، فرده رسول الله – ﷺ – ولم أر ليده فيه أثرا. قال: فجئته فزعا، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، رددت عشاءك، ولم أر فيه موضع يدك، وكنت إذا رددته علينا، تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك، نبتغي بذلك

---

[1]– رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2925.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3911.

[3] – السيرة النبوية الصحيحة (بشيء من الاختصار) ص 219/1.

[4] – الجرة الضخمة.

البركة؛ قال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه. قال: فأكلناه، و لم نصنع له تلك الشجرة بعد).[1].

المهاجرون والواقع الجديد:

واستوخم[2] الصحابة جو المهجر الذي آواهم، ثم أخذت تستيقظ غرائز الحنين إلى الوطن المفقود.

وكان النبي – ﷺ – يصبِّر الصحابة على احتمال الشدائد، ويطالبهم بالمزيد من الجهد والتضحية لنصرة الإسلام، وقال: (لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً).[3]

وهذا ضرب من جمع القلوب على المهجر الجديد حتى تطيب به وتنفر من مغادرته.

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (لما قدم النبي – عليه الصلاة والسلام – المدينة وعك أبو بكر وبلال، فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ وكان أبو بكر إذا أخذته الحمّى يقول:

كل امرئ مصبّح في أهله

والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول:

---

[1] - سيرة ابن هشام 2/112-113. رواه ابن اسحاق وقال العمري: بإسناد صحيح. أنظر السيرة النبوية الصحيحة ص 220.

[2] – أي استثقل الصحابة جو المدينة، و لم يوافق هواؤها بدنهم .

[3] – رواه مسلم في الصحيح المسند رقم 1378.

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة

بوادٍ، وحولي إذخر وجليل

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنّة

وهل يبدوَنْ لي شامة وطفيل؟[1]

قالت عائشة: فجئت رسول الله – ﷺ – فأخبرته، فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة).[2]

وعن أنس – رضي الله عنه – قال رسول الله – ﷺ –: (اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَي ما جعلت بمكة من البركة).[3]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى النبي – ﷺ –. فإذا أخذه رسول الله – ﷺ – قال: اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة، بمثل مادعاك لمكة. ومثله معه. قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر).[4]

بهذا التشويق والإقبال ارتفع الروح المعنوي بين المسلمين، واتجهت القوى الفتية إلى البناء، متناسية الماضي وما يضم من ذكريات.[5]

وقد تم تدوين التاريخ في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث جُعلت "الهجرة" بداية التاريخ الإسلامي.

---

[1] – جبال في مكة.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3926.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1885. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1369.

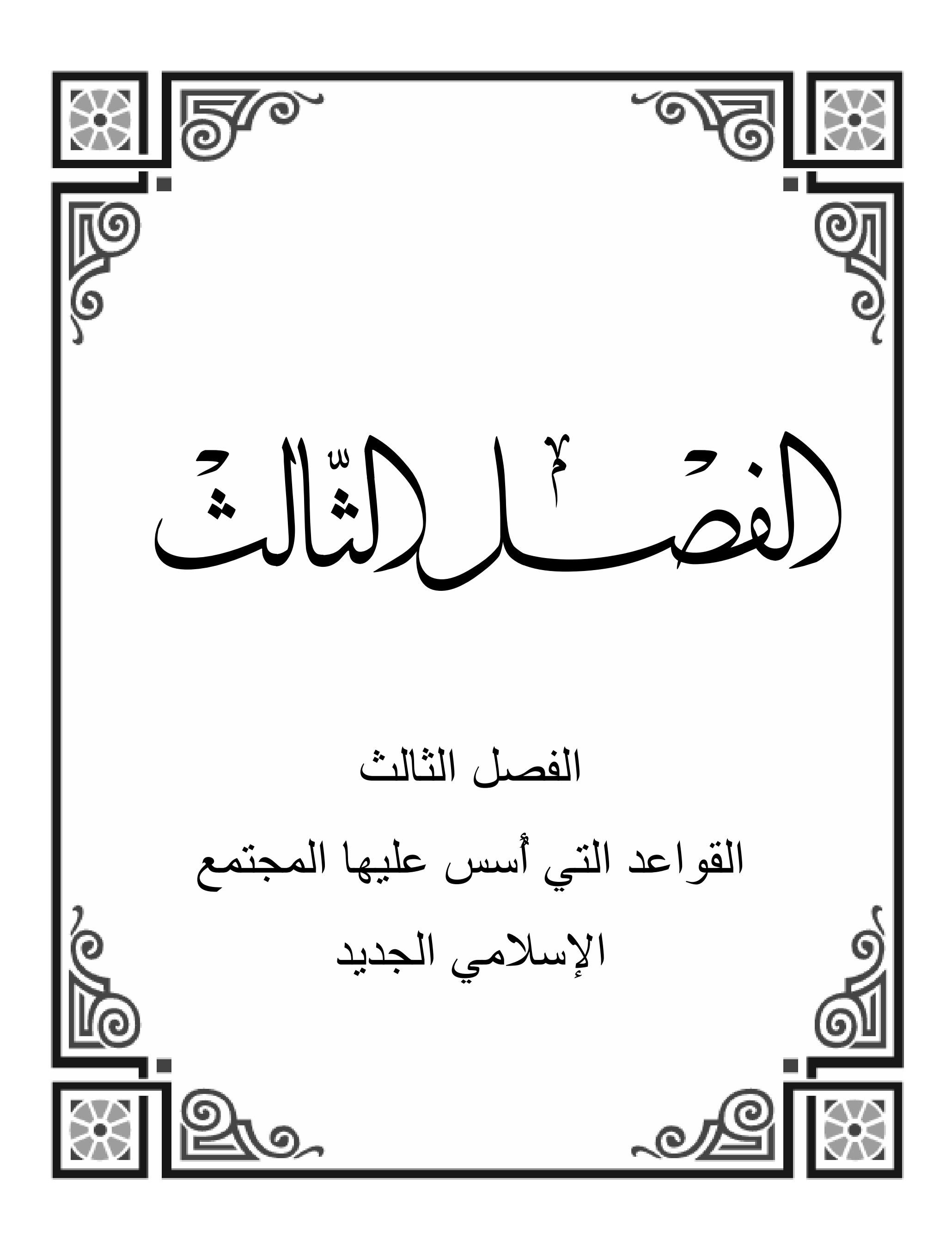
[4] – رواه مسلم في المسند الصحيح 1373.

[5] – أنظر فقه السيرة للغزالي ص 172-174.

قال ابن حجر العسقلاني:

(وإنما أخروه من ربيع الأول إلى محرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في محرم، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة، وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ).[1]

[1] - فتح الباري 268/7.



الفصل الثالث

القواعد التي أسس عليها المجتمع الإسلامي الجديد

لقد كانت هجرة الرسول – ﷺ – إلى المدينة، تعني نشأة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف منشئها الأول محمد – ﷺ – .

ولذا فقد كان أول عمل قام به الرسول – ﷺ –، أن أقام الأسس الهامة لهذه الدولة.

ولقد كانت هذه الأسس ممثلة في هذه الأعمال الثلاثة التالية:

أولاً : بناء المسجد.

ثانياً : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار خاصة والمسلمين عامة.

ثالثاً : كتابة وثيقة (دستور) حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم، وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة، واليهود بصورة خاصة.[1]

1- بناء المسجد:

بركت ناقة النبي – ﷺ – موضع مسجده وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين، وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار، كانا في حجر أسعد بن زرارة، فساوم رسول الله – ﷺ – الغلامين بالمربد، ليتخذه مسجدا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى رسول الله – ﷺ –، فابتاعه منهما بعشرة دنانير، وكان جدارا ليس له سقف، وقبلته إلى بيت المقدس، وكان يصلي فيه ويجمع أسعد بن زرارة قبل مقدم رسول الله – ﷺ –، وكان فيه شجرة غرقد وخرب ونخل وقبور للمشركين، فأمر رسول الله – ﷺ – بالقبور فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل والشجر فقطعت، وصفت في قبلة المسجد، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، والجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل

[1] – فقه السيرة النبوية للبوطي 142.

أساسه قريبا من ثلاثة أذرع، ثم بنوه باللبن، وجعل رسول الله - ﷺ - يبني معهم، وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والـــمهاجرة

وكان يقول:

هذا الحمال لا حـــمال خيبر

هـــذا أبـــر ربـــنا وأطـــهر

وجعلوا يرتجزون، وهم ينقلون اللبن، ويقول بعضهم في رجزه:

لئن قعدنا والرسول يعمـــل

لذاك مـــنا العمـــل المضلل

وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: بابا في مؤخره، وبابا يقال له: باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه رسول الله - ﷺ -، وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد، وقيل له: ألا تسقفه، فقال: لا، عريش كعريش موسى.

وبنى إلى جنبه بيوت أزواجه باللبن، وسقفها بالجريد والجذوع، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد قبليه، وهو مكان حجرته اليوم، وجعل لسودة بنت زمعة بيتا آخر.[1]

إذن، كان أول عمل عمله النبي – ﷺ – في المدينة، هو بناء المسجد فيها.

[1] - زاد المعاد 62/3-63. وانظر سيرة ابن هشام 109/2-110. ومختصر سيرة الرسول للنجدي ص 198 إلى 200. والرحيق المختوم ص 128. والسيرة النبوية الصحيحة للعمري 222/1. وذكره الزهري من حديث مرسل لكنه أكثر تفصيلا من الناحية التاريخية، وقد روى البخاري عن عروة بن الزبير في الجامع الصحيح رقم 3906 قريبا منه، وكذا من حديث أنس رضي الله عنه عند في البخاري رقم 428، ومسلم رقم 524.

وهذا يدلنا على أهمية المسجد في الإسلام، وعبادات الإسلام كلها تطهير للنفس، وتزكية للأخلاق، وتقوية لأواصر التعاون بين المسلمين، وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين، مظهر قوي من مظاهر اجتماع المسلمين، ووحدة كلمتهم، وأهدافهم، وتعاونهم على البر والتقوى، لا جرم أن كان للمسجد رسالة اجتماعية وروحية عظيمة الشأن في حياة المسلمين، فهو الذي يوحد صفوفهم، ويهذب نفوسهم، ويوقظ قلوبهم وعقولهم، ويحل مشاكلهم، وتظهر فيه قوتهم وتماسكهم.

ولقد أثبت تاريخ المسجد في الإسلام أنه منه انطلقت جحافل الجيوش الإسلامية لغمر الأرض بهداية الله، ومنه انبعثت أشعة النور

والهداية للمسلمين وغيرهم، وفيه ترعرعت بذور الحضارة الإسلامية ونمت، وهل كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وخالد، وسعد، وأبو عبيدة وأمثالهم من عظماء التاريخ الإسلامي إلا تلامذة المدرسة المحمدية التي كان مقرها المسجد النبوي.[1]

لقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – منهمكون في بناء المسجد، وكان عمار بن ياسر أكثرهم انهماكا ونشاطا في هذا العمل المبارك، قال سعيد الخدري – رضي الله عنه –: (كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي – ﷺ – ومسح عن رأسه الغبار، وقال : ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار).[2]

- الأخوة بين المسلمين (المهاجرين والأنصار):

ثم آخى رسول الله – ﷺ – بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك – رضي الله عنه –، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى

---

1 – السيرة النبوية دروس وعبر ص 85-86.

2 – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2812.

حين وقعة بدر، فلما أنزل الله – عز وجل –: ﴿ **وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﴾[الأنفال الآية: 75]. رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة.[1]

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: (﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ** ﴾ [النساء الآية:33].قال: ورثة: ﴿ **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾[النساء الآية:33]. قال: كان المهاجرون لما قدموا إلى المدينة، يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه، للأخوة التي آخى النبي – ﷺ – بينهم، فلما نزلت: ﴿ **وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ** ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿ **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ إلا النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصي له).[2]

لقد وفد الخيرون على الخيرين، فألف الله بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخوانا، فاستحق المهاجرون أعظم درجة عند الله تعالى حيث قال : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [التوبة الآية: 20].

واستحق الأنصار مدح الله — عز وجل– لهم بما قدموه في سبيله بنفوس راضية مؤمنة حيث قال: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر الآية: 9].

وقال تعالى في السابقين من المهاجرين والأنصار: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة الآية: 100].

---

[1] – زاد المعاد 63/3.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2292، 4580.

نماذج من أثر المؤاخاة:

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (قالت الأنصار للنبي – ﷺ – أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا. فقالوا: تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا).[1]

– وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (دعا النبي – ﷺ – الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال : إمَّا لا، فاصبروا حتى تلقوني، فإنه ستصيبكم بعدي أثرة).[2]

– وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، فآخى النبي – ﷺ – بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق. فربح شيئا من أقط وسمن، فرآه النبي – ﷺ – بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبي – ﷺ –: مهيم يا عبد الرحمن. قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار. قال: فما سقت فيها ؟ فقال: وزن نواة من ذهب. فقال النبي – ﷺ –: أولم ولو بشاة).[3]

– وعن أنس – رضي الله عنه – قال: (لما قدم النبي – ﷺ– المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال النبي – ﷺ –: لا ! ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم بالأجر عليهم).[4]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2719.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم3794.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3937.

[4] – صحيح الترمذي رقم 2487.للألباني وصححه.

- كتابة وثيقة بين المسلمين وغيرهم (الدستور):

ونظم النبي– عليه الصلاة والسلام – العلاقات بين سكان المدينة، وكتب في ذلك كتاباً أوردته المصادر التاريخية واستهدف هذا الكتاب أوالصحيفة توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة– مسلمين ويهودا–، وتحديد الحقوق والواجبات، وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب والصحيفة، وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظ (الدستور).[1]

وقد جاء في هذه الوثيقة[2] ما يلي:

1- هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش (وأهل يثرب)، ومن تبعهم فَلَحق بهم وجاهد معهم.

2- إنهم أمة واحدة من دون الناس.

---

[1] – السيرة النبوية الصحيحة للعمري ص 272/1.

[2] – إن أقدم من أورد نص الوثيقة هو ابن إسحاق بدون إسناد، أنظر سيرة ابن هشام 215/2-218. قال الدكتور العمري في السيرة النبوية الصحيحة ص 275/1- 276 باختصار: " الوثيقة لا ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة...ولكن نصوصا من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة، وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي أحاديث صحيحة، وقد احتج الفقهاء بها وبنوا عليها أحكامهم، كما أن بعضها ورد في مسند أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة والترمذي. وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي أوردت منها الوثيقة...وتصلح أساسا–الوثيقة–للدراسة التاريخية التي لا تطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية خاصة أن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة...ثم إن التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة وأساليب كتب النبي ﷺ الأخرى يعطيها توثيقا آخر.". وقال الدكتور مهدي رزق الله أحمد في السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية ص 316: " الخلاصة: إن جميع فقرات الصحيفة لها شواهد من صحيح السنة والقرآن الكريم...أما ما جاء في الصحيفة عن الصلح مع اليهود والمشركين بغير الجزية فهو منسوخ بآية: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:29]، وكان ذلك في سنة تسع، ومن المعروف أن سورة التوبة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري ".

ومن أراد التفصيل أكثر فليعد إلى المرجعين المذكورين.

3- المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

4- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

5- وبنو الحارث (بن الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

6- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

7- وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

8- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

9- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

10- بنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

11- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين.

12- وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا بينهم أن يعطوه بالمعروف من فداء أو عقل، أن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

13- وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[1] ظلم أو إثماً أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

---

[1] - أي دفع ظلم.

14- ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

15- وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

16- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

17- وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

18- وإن كل غازية غزت يعقب على بعضها بعضا.

19- وإن المؤمنين يبيء[1] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

20- وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش، ولا نفساً ولا يحول دون على مؤمن.

21- وإنه من اعتبط[2] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل)، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

22- وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يُؤويه، وإن من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

23- وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ.

24- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

25- وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأَثِم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

---

[1] – أي يمنع ويكف.

[2] – أي قتله دون جناية أو سبب يوجب قتله.

26- إن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

27- وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

28- وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

29- وإن ليهود بن جُشَم مثل ما ليهود بني عوف.

30- وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

31- وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يتوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

32- وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

33- وإن لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الإثم.

34- وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

35- وإن بطانة يهود كأنفسهم.

36- وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد - ﷺ-.

37- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

38- وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم.

39- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

40- وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

41- وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

42- وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

43- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله، وإلى محمد رسول الله - ﷺ -، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

44- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

45- أ- وإذا دعوا إلى الصلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه أو يلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

ب- على كل أناس حقهم من جانبهم الذي قبلهم.

46- وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على ما أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

47- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، إنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله - ﷺ-[1]

إن الصحيفة تدل بوضوح وجلاء على عبقرية الرسول - ﷺ -، في صياغة موادها وتحديد علاقات الأطراف بعضها ببعض، فقد كانت موادها مترابطة وشاملة، وتصلح لعلاج الأوضاع في المدينة آنذاك، وفيها من القواعد والمبادئ ما يحقق العدالة المطلقة، والمساواة التامة بين البشر، وأن يتمتع بنو الإنسان على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأديانهم بالحقوق والحريات بأنواعها.[2]

مشروعية الأذان...النداء الخالد:

وقد كان رسول الله - ﷺ - حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة فهمّ رسول الله - ﷺ - حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة.[3]

---

[1]- انظر: مجموعة الوثائق السياسية، ص1 إلى 7. وانظر السيرة النبوية للصلابي 617/1 وما بعدها.

[2] - دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ص 420.نقلا عن السيرة النبوية للصلابي 625/1.

[3] - سيرة ابن هشام 112/2. وانظر مختصر السيرة للنجدي ص202. إمتاع الأسماع 70/1.

ولكن الله — عز وجل- أراد أن يكون النداء للصلاة هو الوسيلة الجامعة للمسلمين في اليوم خمسة مرات، خلافا لليهود والنصارى، فعن ابن عمر – رضي الله عنه – كان يقول: (كان المسلمون حين قدموا المدينة، يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادى لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى. وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود. فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة. فقال رسول الله – ﷺ -: يا بلال، قم فناد بالصلاة).[1]

وعن عبد الله بن زيد بن عبد ربه – رضي الله عنه – قال: (لما أمر رسول الله – ﷺ – بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت: يا عبد الله أتبيع الناقوس ؟ قال: وما تصنع به ؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ فقلت له: بلى. قال: فقال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: ثم استأخر عني غير بعيد، ثم قال: وتقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فلما أصبحت أتيت رسول الله – ﷺ – فأخبرته بما رأيت، فقال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك. فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به. قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 604. ومسلم في المسند الصحيح رقم 377.

بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى. فقال رسول الله – ﷺ –: فلله الحمد).[1]

تحديات في وجه الكيان الجديد:

ولقد ظهر للدولة اليثربية خصوم في داخلها وفي خارجها.[2] و لم يمضِ وقت كبير حتى اتفقت مصلحة الخصوم في الداخل والخارج. وتضافرت جهودهم على سحق قوة المدينة والقضاء عليها، وخنق الدين الجديد الذي قامت الدولة على أساسه، ومحاولة القضاء على صاحب هذا الدين حتى تعود الحالة إلى ما كانت عليه من قبل.

و لم يكن خطر الخصوم الداخليين بأقل أثرًا من خطر الخصوم الخارجيين؛ بل إنه أحيانًا يكون أشد على الدولة. فإنه يربك داخليتها ويفكك جبهتها ويجعلها عرضة للسقوط أمام أي هجوم خارجي. وقد تمثل هذا الخطر في طائفتين من طوائف يثرب:[3]

– اليهود:

فأما الطائفة الأولى فهم اليهود الذين رحبوا بالنبي – ﷺ – أول الأمر ظنًّا منهم أنهم يستطيعون استمالته إلى جانبهم ليستفيدوا منه في تقوية مركزهم في

---

[1]– رواه أبو داود في سننه رقم 499 وغيره ، وقال المحدث الشيخ الألباني في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 190:" أخرجه أبوداود والدارمي وابن ماجة والدارقطني والبيهقي وأحمد كلهم من طريق ابن اسحاق، وأخرجه الترمذي مختصرا. وقال: حديث حسن صحيح. وصححه جماعة من الأئمة ذكرتهم في كتابي صحيح سنن أبي داود رقم 512. ".

[2] – لم تكن قريش تغض الطرف عن التحول الذي شهدته يثرب بعد هجرة النبي ﷺ، بل كانت تدرك جيدا أنها مهددة من طرف قوة تتنامى بسرعة، ولهذا كانت تتحين الفرص وتتحالف مع كل من يناصب النبي ﷺ العداء للقضاء على الدعوة والداعية.

[3] – مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص 333.

يثرب وتدعيم مصالحهم بها؛ ولكن النبي – ﷺ – كان صاحب هدف أكبر من الأغراض المحلية.

ومن هنا بدأ تعارض المصالح واضحًا بين الطرفين، فأخذ اليهود يكيدون للدين الجديد وللوحدة الجديدة التي أقامها النبي – ﷺ – بين عرب يثرب، ثم اتصلوا بالعدو الخارجي ونظموا معه قوة كبيرة لسحق المدينة.[1]

فقد كان اليهود من أشد الناس حسدا وبغضا للنبي – ﷺ –، وتكذيبا لرسالته، رغم أنهم كانوا يعرفون أنه النبي الموعود والمذكور في كتابهم.

وكان بالمدينة من أحياء اليهود:

- بنو قينقاع.
- وبنو النضير.
- وبنو قريظة.[2]

وهذه القبائل هي التي كانت تثير الحروب بين الأوس والخزرج منذ أمد بعيد، وقد ساهمت بأنفسها في حرب بُعَاث، كل مع حلفائها.[3]

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله – ﷺ – المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء يترع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء يترع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله – ﷺ –: خبرني بهن آنفا جبريل. قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله – ﷺ –: أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله

[1] – نفس المصدر السابق ص 333
[2] – خاتم المرسلين لأبي زهرة 668/1.
[3] – الرحيق المختوم ص 126.

أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها. قال: أشهد أنك رسول الله. ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله – ﷺ –: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا. فقال رسول الله – ﷺ –: أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه).[1]

– المنافقون:

وأما الطائفة الثانية فكانوا جماعة من الأوس والخزرج دخلوا في الإسلام مراعاة لدخول عشائرهم، لكنهم كانوا مسلمين في الظاهر يستخفون بالكفر في باطنهم، وكان على رأس هذه الجماعة بعض الزعماء الذين فاتتهم مصالح عاجلة، وعجزوا عن مقاومة الوضع الجديد، وكان وجود هذه الجماعة غير المخلصة أمرًا بالغ الخطورة في كيان الدولة؛ لكن النبي – صلى الله عليه وسلم – عالج الموقف بالحكمة والأناة، وَوَكَل أمر هذه الجماعة إلى عشائرها وقد ظل يتقي خطرها حتى ضعف أمرها شيئًا فشيئًا.[2]

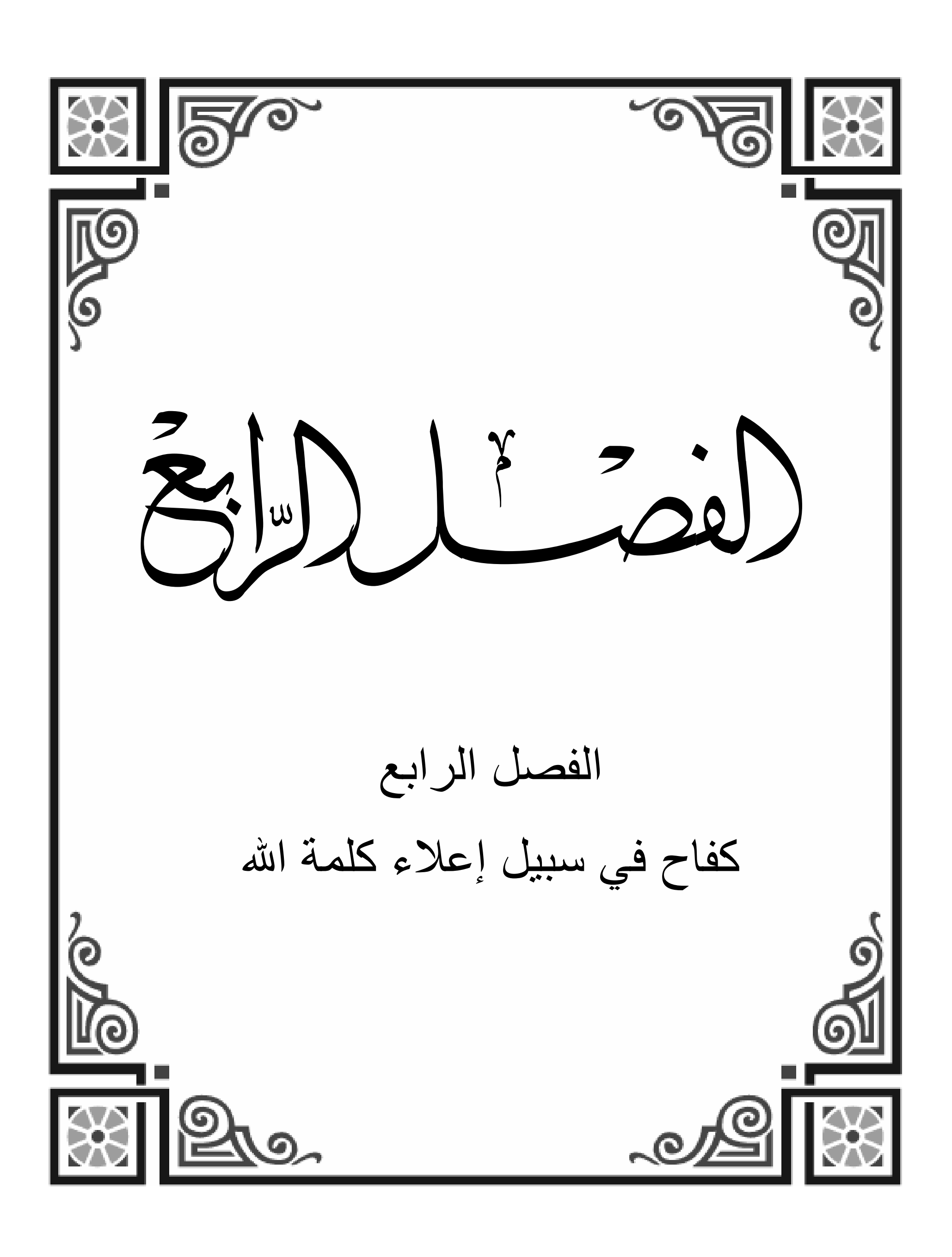
وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن أبي، فقد كانت الأوس والخزرج اجتمعوا على سيادته بعد حرب بُعَاث – ولم يكونوا اجتمعوا على سيادة أحد قبله – وكانوا قد نظموا له الخَرْز، ليُتَوِّجُوه ويُمَلِّكُوه، وكان على وشك أن يصير ملكًا على أهل المدينة إذ باغت بمجيء رسول الله – ﷺ –، وانصراف قومه عنه إليه، فكان يرى أنه استلبه الملك، فكان يبطن شديد العداوة ضده، ولما رأى أن الظروف لا تساعده

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3329.

[2] – مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص333.

على شركه، وأنه يحرم الفوائد الدنيوية أظهر الإسلام بعد بدر، ولكن بقي مستبطنًا الكفر، وكان لا يجد مجالًا للمكايدة برسول الله – ﷺ – وبالمسلمين إلا ويأتي بها، وكان أصحابه – من الرؤساء الذين حرموا المناصب المرجوة في ملكه – يساهمونه ويدعمونه في تنفيذ خططه، وربما كانوا يتخذون بعض الأحداث، وضعاف العقول من المسلمين عملاء لهم لتنفيذ خططهم.[1]

[1] – الرحيق المختوم ص 124-125.وانظر سيرة ابن هشام196/2 إلى 200. والسيرة النبوية للندوي ص 202-203-204. وللتفصيل ارجع إلى كتاب سيرة الرسول لدروزة 72/2 وما بعدها من الصفحات.(فصل في المنافقين في المدينة).



الفصل الرابع

كفاح في سبيل إعلاء كلمة الله

قد عُلم مما تقدم أن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – لم يقاتـــل أحـــدًا على الدخول في الدين، بل كان الأمر قاصرًا على التبشير والإنـــذار، وكـــان الله سبحانه يترل عليه من الآي ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقيه من أذى قريش، ومن ذلك قوله في سورة الأحقاف: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُـــلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ** ﴾ [الأحقاف الآية:35]، وكان كثيرًا ما يقص الله عليه أنباء إخوانـــه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده.[1]

الإذن بالقتال:

ولما ازداد طغيان أهل مكة ألجئوه إلى الخروج من داره بعد أن ائتمروا على قتله، فكانوا هم البادئين بالعِداء على المسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق، فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة الحج: ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾[الحج الآية:39- 40]، ثم أمرهم بذلك في قوله في سورة البقرة: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ، فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[البقرة: 190-193].

وبذلك لم يكن الرسول يتعرض إلا لقريش دون سائر العرب، فلما تمالأ على المسلمين غيرُ أهل مكة من مشركي العرب، واتحدوا عليهم مع الأعداء، أمر الله

[1] – نور اليقين ص 73.

بقتال المشركين كافة بقوله في سورة التوبة: ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** ﴾[التوبة الآية: 36].[1]

غزوات وسرايا:

بدأ رسول الله – ﷺ – بعد أن أذن الله – عز وجل– بالقتال يرسل بعض السرايا للاستطلاع وتنفيذ عمليات محدودة، من أجل:

1– إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم.

ذلك الضعف الذي مكن قريشاً في مكة من مصادرة عقائدهم وحرياتهم واغتصاب دورهم وأموالهم، ومن حق المسلمين أن يعنوا بهذه المظاهرات العسكرية على ضآلة شأنها، فإن المتربصين بالإسلام في المدينة كثُرٌ، ولن يصدهم عن النيل منه إلاّ الخوف وحده.

وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿ **تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾[الأنفال الآية: 60].[2]

2– إنذار قريش عقبى طيشها.

فقد حاربت الإسلام ولا تزال تحاربه، ونكلت بالمسلمين في مكة، ثم ظلت ماضية في غيها، لا تسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله، ولا تسمح لهذا الدين أن يجدد قراراً في بقعة أخرى من الأرض، فأحب الرسول – ﷺ– أن يشعر حكام مكة بأن هذه الخطة الجائرة ستلحق بهم الأضرار الفادحة، وأنه قد

---

[1] – نفس المرجع السابق ص 73-74.وانظر سيرة ابن هشام 202/2. ومختصر سيرة الرسول للنجدي ص206-207. وإمتاع الأسماع 70/1-71.

[2] – فقه السيرة للغزالي ص 213.

مضى – إلى غير عودة – ذلك العصر الذي كانوا يعتدون فيه على المؤمنين وهم بمأمن من القصاص...

1- سرية سيف البحر:

في رمضان سنة 1 هـــ، الموافق مارس سنة 623م، أمر رسول الله – ﷺ- على هذه السرية حمزة بن عبد المطلب، وبعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يعترضون عيراً لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فلبغوا سيف البحر من ناحية العيص[1]، فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجني ــ وكان حليفاً للفريقين جميعاً ــ بين هؤلاء وهؤلاء حتى جحز بينهم فلم يقتتلوا.

وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله – ﷺ –، وكان أبيض، وحمله أبو مرثد كَناز بن حصين الغَنَوي .

2- سرية رابغ :

في شوال سنة 1 من الهجرة، الموافق أبريل سنة 632م، بعث رسول الله – ﷺ – عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين رجلاً من المهاجرين، فلقي أبا سفيان – وهو في مائتين – على بطن رابغ، وقد ترامى الفريقان بالنبل، و لم يقع قتال.

وفي هذه السرية انضم رجلان من جيش مكة إلى المسلمين، وهما المقداد بن عمرو البهراني، وعتبه بن غزوان المارني، وكانا مسلمين، خرجا مع الكفار، ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين، وكان لواء عبيدة أبيض، وحامله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف.

---

[1] – العيص – بالكسر– مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر.

3- سرية الخرار:[1]

في ذي العقدة سنة 1 هــ، الموافق مايو سنة 623م، بعث رسول الله - ﷺ - سعد بن أبي وقاص في عشرين راكبا يعترضون عيراً لقريش، وعهد إليه ألا يجاوز الخرار، فخرجوا يكمنون بالنهار، ويسيرون بالليل، حتى بلغوا الخرار صبيحة خمس، فوجدوا العير قد مرت بالأمس.

وكان لواء سعد - رضي الله عنه - أبيض، وحمله المقداد بن عمرو.

4- غزوة الأبواء أو ودان:[2]

في صفر سنة 2 هــ، الموافق أغسطس سنة 623م، خرج رسول الله - ﷺ — بنفسه، بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عبادة، في سبعين رجلاً من المهاجرين خاصة، يعترض عيراً لقريش، حتى بلغ ودان، فلم يلق كيداً.

وفي هذه الغزوة عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشي الضمري، وكان سيد بني ضمرة في زمانه، وهاك نص المعاهدة :

(هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله، ما بل بحر صوفة، وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه) .

وهذه أول غزوة غزاها رسول الله - ﷺ -، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة، وكان اللواء أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب.

---

[1] - الخرار- بالفتح فالتشديد- موضع بالقرب من الجحفة.

[2] - ودان — بالفتح فالتشديد — موضع بين مكة والمدينة، بينه وبين رابغ مما يلي المدينة تسعة وعشرون ميلا، والأبواء موضع بالقرب من ودان.

5- غزوة بواط:

في شهر ربيع الأول سنة 2 هـ الموافق سبتمبر سنة 623م، خرج رسول الله - ﷺ - في مائتين من أصحابه، يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواطا من ناحية رضوى[1] ولم يلق كيدا .

واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سعد بن معاذ، واللواء كان أبيض، وحامله سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -.

6- غزوة سفوان:

في شهر ربيع الأول سنة 2 هـ، الموافق سبتمبر سنة 623م، أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي، فخرج رسول الله - ﷺ - في سبعين رجلاً من أصحابه لمطاردته، حتى بلغ وادياً يقال له : سفوان من ناحية بدر، ولكنه لم يدرك كرزاً وأصحابه، فرجع من دون حرب، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى.

واستخلف في هذه الغزوة على المدينة زيد بن حارثة، وكان اللواء أبيض، وحامله علي بن أبي طالب.

7- غزوة ذي العشيرة:

في جمادى الأولى، وجمادى الآخرة سنة 2 هـ، الموافق نوفمبر وديسمبر سنة 623هـ، خرج رسول الله - ﷺ - في خمسين ومائة ويقال: في مائتين، من المهاجرين، ولم يكره أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، يعترضون عيراً لقريش، ذاهبة إلى الشام، وقد جاء الخبر بفصولها من مكة، فيها

---

[1] - بواط – بالضم – ورضوى، جبلان فرعان أصلهما من جبال جهينة مما يلي طريق الشام، بينه وبين المدينة نحو أربعة برد.

أموال لقريش، فبلغ ذا العشيرة[1]، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، فصارت سبباً لغزوة بدر الكبرى.

وكان خروجه - ﷺ - في أواخر جمادى الأولى، ورجوعه في أوائل جمادى الآخرة، على ما قاله ابن إسحاق، ولعل هذا هو سبب اختلاف أهل السير في تعيين شهر هذه الغزوة.

وفي هذه الغزوة عقد رسول الله - ﷺ - معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة.

واستخلف على المدينة في هذه الغزوة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكان اللواء أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه -.

8- سرية نخلة:

في رجب سنة 2 هـ، الموافق يناير سنة 624م، بعث رسول الله - ﷺ - عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثني عشر رجلا من المهاجرين، كل اثنين يتعقبان على بعير.

وكان رسول الله - ﷺ - كتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه. فسار عبد الله، ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه : (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكلة والطائف، فترصد بها عير قريش، وتعلم لنا من أخبارهم) . فقال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومن كره فليرجع، وأما أنا فناهض، فنهضوا كلهم، غير أنه لما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا في طلبه.

---

[1] - العشيرة - مصغرا - ويقال: العشيراء بالمد، وقيل: العسيرة بالمهملة: موضع بناحية ينبع.

وسار عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة، وفيها عمرو بن الخضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة. فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم اجتمعوا على اللقاء، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أول خمس كان في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام .

وأنكر رسول الله – ﷺ – ما فعلوه، وقال : (ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام) وتوقف عن التصرف في العير والأسيرين.

ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله، وكثر في ذلك القيل والقال، حتى نزل الوحي حاسماً هذه الأقاويل، وأن ما عليه المشركون أكبر وأعظم مما ارتكبه المسلمون: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾[البقرة الآية:217].

فقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مساغ لها، فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام، واضطهاد أهله، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة؟ لا جرم أن الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون دعاية تبتني على وقاحة ودعارة.

وبعد ذلك أطلق رسول الله – ﷺ – سراح الأسيرين، وأدى دية المقتول إلى أوليائه. [1]

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة:

روى ابن إسحاق وابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والستة، وأبو داود في ناسخه، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني والبيهقي عن البراء بن عازب — رضي الله عنه –، وابن إسحاق وابن أبي شيبة وأبو داود والنحاس في ناسخهما، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، وأبو داود في ناسخه عن أبي العالية مرسلا، ويحي بن الحسن العلوي في أخبار المدينة عن رافع بن خديج – رضي الله عنه –، والإمام مالك وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود في ناسخه والنسائي ويحيي بن الحسن عن عثمان بن محمد بن الأخنس، وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة، والزبير بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن، وابن سعد عن محمد بن عبد الله بن جحش، وابن جرير عن مجاهد، يزيد بعضهم على بعض: (أن أول ما نُسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله – ﷺ – كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه).

وقال ابن جريج، كما عند ابن جرير: (صلى النبي – ﷺ– أول ما صلى إلى الكعبة ثم صُرف إلى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر).

[1] – أخذت تفاصيل هذه السرايا والغزوات من الرحيق المختوم ص137-138-139. وصرح الشيخ المباركفوري أنه أخذ هذه التفاصيل من زاد المعاد 83/2، وابن هشام 161 إلى 605. ورحمة للعالمين 115/1-116، 215/2-216-268-469-470. قال: "وفي المصادر اختلاف في ترتيب هذه الغزوات والسرايا، وفي تعين عدد الخارجين فيها، واعتمدنا في ذلك على تحقيق العلامة ابن القيم والعلامة المنصورفوري".

ولما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله سبحانه وتعالى أن يستقبل بيت المقدس، فعرَّض اليهود بذلك...وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، لأن اليهود قالوا: (خالفنا محمد ويتبع قبلتنا).

وقال – ﷺ – لجبريل: (وددت أن الله – عز وجل– صرفني عن قبلة يهود إلى غيرها. فقال جبريل – عليه السلام –: إنما أنا عبد مثلك لا أملك لك شيئا إلا ما أمرت به، فادع الله تعالى).

فكان رسول الله ﷺ يدعو الله تعالى ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله.

وخرج رسول الله – ﷺ – زائرا أم بشر بن البراء بن معرور، في بني سَلمة، فصنعت له طعاما، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله – ﷺ – بأصحابه في مسجد هناك الظهر، فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار إليه أن صلِّ إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت، فاستدار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الكعبة، واستقبل الميزاب، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فهي القبلة التي قال الله تعالى فيها: ﴿ **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ﴾[البقرة الآية:144].فسُمِّي ذلك المسجد مسجد القبلتين، وكان الظهر يوم يومئذ أربعا: اثنتان إلى بيت المقدس واثنتان إلى الكعبة، فخرج عباد بن بشر – رضي الله عنه –، وكان صلى مع رسول الله – ﷺ –، فمر على قوم من الأنصار ببني حارثة، وهم راكعون في صلاة العصر، فقال: (أشهد بالله لقد صلَّيت مع رسول الله – ﷺ – قِبَل البيت).فاستداروا.

قال رافع بن خديج: (وأتانا آتٍ ونحن نصلي في بني عبد الأشهل فقال: إن رسول الله – ﷺ – قد أُمِر أن يوجه إلى الكعبة، فأدارنا إمامنا إلى الكعبة ودُرنا معه).

وقال ابن عمر: (وبينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت–قال ابن طاهر المقدسي هو عباد بن بشر أيضا–فقال: إن رسول الله – ﷺ – قد أُنزل عليه

قرآن، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة).

وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان رسول الله - ﷺ - يُصلِّي قِبَل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولَّى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك، وقال المنافقون: (حنَّ محمد إلى أرضه). وقال المشركون: (أراد أن يجعلنا قبلة له ووسيلة، وعرف أن ديننا أهدى من دينه، ويوشك أن يكون على ديننا). وقالت اليهود للمؤمنين: (ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الأنبياء ؟ والله إن أنتم إلا قوم تفتنون). وقال المؤمنون: (لقد ذهب منا قوم ماتوا وما ندري أكنا نحن وهم على قبلة أو لا ؟!).وأتى رسول الله - ﷺ - رفاعة بن قيس، وكردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، والربيع وكنانة ابنا الربيع بن أبي الحُقَيق، فقالوا: (يا محمد ما ولاَّك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك). وإنما كانوا يريدون بذلك فتنته عن دينه، فأنزل الله – عز وجل-:﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ، قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا**

يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة الآية: 142-150]...).[1]

---

[1] - سبل الهدى والرشاد 3/537-538-539. قال الصالحي منبها في نفس المصدر السابق 3/541-442:

- اختلف أي صلاة كانت ذلك ؟ ففي الصحيح عن البراء أن أول صلاة صلاها -أي متوجها - صلاة العصر .

والأكثر على أنها صلاة الظهر.

قال: الحافظ: والتحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر، وأما الصبح فهو لأهل قباء.

- قال الحافظ: اختلف في تاريخ تحويل القبلة، فقال البراء بن عازب كما عند البخاري: كان على راس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وقال ابن عباس كما عند ابن اسحاق وأبي داود في ناسخه سبعة عشر شهرا، وكذا قال عمرو بن عوف كما عند البزار والطبراني، وقال ابن عباس أيضا كما عند ابن أبي شيبة وأبي داود في ناسخه، والطبراني والزهري كما عند البيهقي، وسعيد بن المسيب كما عند الإمام مالك وأبي داود فيه، وابن جرير وقتادة كما عند عبد بن حميد، وابن المنذر " على رأس ستة عشر شهرا ". وقال أنس بن مالك كما عند البزار، وابن جرير تسعة عشر شهرا، وطريق الجمع بين رواية ستة عشر وسبعة عشر شهرا ورواية الشك في ذلك، أن من جزم ستة عشر لفق من شهر التحويل وشهر القدوم شهرا وألغى الأيام الزائدة، ومن جزم بسبعة عشرة شهرا عدهما معا، ومن شك تردد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل بعد الزوال في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس، وقول ابن حبان: سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام مبني على أن القدوم كان في ثاني عشر ربيع الأول. =

من تشريعات الإسلام:

– تشريع فريضة الصيام:

فُرض صوم رمضان في اثنتين من الهجرة، وجُعل صوم شهر واحد ركنا رابعا من أركان الإسلام الخمسة[1]. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة الآية: 183].

– تشريع زكاة الفطر:

وأمر رسول الله – ﷺ –، في هذه السنة بزكاة الفطر، وذلك قبل أن تفرض الزكاة في الأموال،[2] قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما — (فرض رسول الله – ﷺ – زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات).[3]

– صلاة العيد:

وصلى–أي في السنة الثانية– رسول الله – ﷺ – صلاة العيد يوم الفطر بالمصلى قبل الخطبة، وصلى العيد يوم الأضحى، وأمر بالأضحية.[4]

– تشريع الزكاة في الأموال:

وفي السنة الثانية للهجرة شرع الله الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام، وكان ذلك بعد شهر رمضان؛ لأن تشريع الزكاة العامة كان بعد زكاة الفطر،

= قال الحافظ: وأسانيد رواية ثلاثة عشر وثمانية عشر وتسعة عشر وعشرة أشهر، ورواية شهرين، ورواية سنتين، هي أسانيد ضعيفة والاعتماد على الثلاثة الأول.

[1] – رحمة للعالمين للقاضي المنصورفوري 243/1.

[2] – طبقات ابن سعد214/1.

[3] – صحيح سنن أبي داود رقم 1609 .للألباني وحسنه.

[4] – طبقات ابن سعد 214/1.

وزكاة الفطر كانت بعد فرض صيام رمضان قطعاً، يدل على هذا ما رواه الأئمة أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: (أمرنا رسول الله – ﷺ – بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، ثم نزلت فريضة الزكاة، فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله).[1] قال الحافظ ابن حجر: (إسناده صحيح وجمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أن مشروعية الزكاة إنما كانت بالمدينة في السنة الثانية).[2]

[1] – صحيح سنن النسائي رقم 2506 للألباني وصححه.

[2] – السيرة النبوية لأبي شهبة 89/2.

غزوة بدر
من معارك الإسلام الكبرى

سببها:

في رمضان من السنة الثانية للهجرة، بلغ رسول الله – ﷺ – خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلا، وفيها أموال عظيمة لقريش.

فندب رسول الله – ﷺ – الناس للخروج إليها قائلا: (هذه عير قريش، فيها أموالهم؛ فاخرجوا إليها؛ لعل الله ينفلكموها). [1]

خروج المسلمين لاعتراض العير:

وأمر من كان ظهره حاضرا بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالا بليغا، لأنه خرج[2] مسرعا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان: فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيرا يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله – ﷺ– وعلي، ومرثد ابن أبي مرثد الغنوي، يعتقبون بعيرا[3]، وزيد بن حارثة، وابنه، وكبشة مولى

[1] – سيرة ابن هشام 219/2. رواه ابن إسحاق بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهم كما قال الألباني في تخريج فقه السيرة ص 218.

[2] – قال ابن هشام 244/2: خرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان. وذكر القسطلاني في المواهب اللدنية 258/2: أن خروج النبي ﷺ كان يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا.

[3] – أنظر سيرة ابن هشام 225/2. وفي مسند أحمد من حديث ابن مسعود رض الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير،كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ، قال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما". حسنه الألباني في فقه السيرة ص 219. كما حسنه الوادعي في الجامع المسند رقم 841. =

رسول الله – ﷺ –، يعتقبون بعيرا، وأبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن ابن عوف، يعتقبون بعيرا، واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء[1] رد أبا لبابة بن عبد المنذر، واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة، وسار، فلما قرب من الصفراء[2]، بعث بسبس بن عمرو الجهني، وعدي ابن أبي الزغباء إلى بدر يتجسسان أخبار العير.

نجاة العير واستعداد قريش للمواجهة:

وأما أبو سفيان، فإنه بلغه مخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقصده إياه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخا لقريش بالنفير إلى عيرهم، ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، وأوعبوا[3] في الخروج، فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلا كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، و لم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد، وخرجوا من ديارهم كما قال تعالى: ﴿ **بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ** ﴾ [الأنفال الآية: 47]، وأقبلوا بحدهم وحديدهم، على حمية، وغضب، وحنق على رسول الله – ﷺ – وأصحابه، لما يريدون من أخذ عيرهم، وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي، والعير التي كانت معه، فجمعهم الله على غير ميعاد كما قال

= وذكر ابن إسحاق أن زميلي رسول الله ﷺ هما علي ابن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، قد يكون بعد أن أعاد الرسول ﷺ أبا لبابة إلى المدينة وهذا احتمال وارد، فذكر ابن إسحاق اللّذين ركبا معه أكثر الطريق .

[1] – بفتح الراء وسكون الواو: قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة.

[2] – قرية بين جبلين.

[3] – يقال: أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ، وَلَكِنْ لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً** ﴾ [الأنفال الآية: 42].

النبي ﷺ يستشير أصحابه:

ولما بلغ رسول الله – ﷺ- خروج قريش، استشار أصحابه، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيا، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، قال له المقداد: (لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿ **اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا** ﴾ [المائدة: 24]، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك). فأشرق وجهه الرسول – ﷺ – وسرَّه[1]، وفي رواية: قال المقداد: (يا رسول الله، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ **فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ ولكن امضِ ونحن معك، فكأنه سري عن رسول الله –ﷺ–).[2]

ثم استشارهم ثالثا، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ، فقال: (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال – ﷺ –: أجل. قال: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله). فسر رسول الله ﷺ بما سمع من أصحابه.

ثم قال: (سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مصارع القوم).[3]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رقم 3952.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رقم 4609.

[3] – سيرة ابن هشام227/2.قال العلي في صحيح السيرة النبوية ص 168: بإسناد صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وأخرجه الطبراني وإسناده حسن كما في مجمع الزوائد 73/6، والبيهقي في دلائل النبوة=

ولم يكن بعض الصحابة رضي الله عنهم راغبين في المواجهة لأنهم حين خرجوا لم يكونوا مستعدين للقتال، فقد كانوا يظنون أنهم خارجون للإغارة على عير قريش ثم العودة بالغنائم، ولكن الله أراد غير ذلك، أرادها مواجهة، دون أن يتوقع أحد أن الأمر سيتحول إلى معركة حامية الوطيس بين الكفر والإيمان، وقد صور القرآن الكريم حالة المؤمنين الكارهين للمواجهة غير المنتظرة في قوله تعالى: ﴿ **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُّحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾[الأنفال الآية: 5- 8].

فسار رسول الله - ﷺ- ومن معه من المسلمين إلى بدر بعد أن أجمع غالبيتهم على مواجهة المشركين.

نجاة العير ويصمم أبو جهل على المواجهة:

وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا، وأحرز العير، كتب إلى قريش: (أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم).

فأتاهم الخبر، وهم بالجحفة، فهموا بالرجوع، فقال أبو جهل — فرعون هذه الأمة -: (والله لا نرجع حتى نقدم بدرا، فنقيم بها، ونطعم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك، فأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع، فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرا زهري، وأرادت بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو جهل، وقال: (لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع فساروا معهم وهم كارهون).

= 3 /32، وقال ابن كثير في البداية 262/3-263 هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله وله شواهد من وجوه كثيرة من رواية البخاري والنسائي وأحمد.

في بدر.. الاستكشاف والتخطيط للمعركة:

وسار رسول الله – ﷺ – حتى نزل عشيا أدنى ماء من مياه بدر، فقال: (أشيروا علي في المنزل. فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله؛ أنا عالم بها وبقلبها، إن رأيت أن نسير إلى قلب قد عرفناها، فهي كثيرة الماء، عذبة، فنترل عليها ونسبق القوم إليها ونغور ما سواها من المياه).[1]

وسار المشركون سراعا يريدون الماء، وبعث عليا وسعدا والزبير إلى بدر يلتمسون الخبر.

قال علي – رضي الله عنه –: (سار رسول الله – ﷺ – إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلا من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول له : كم القوم فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذ قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي – ﷺ– فقال له: كم القوم ؟ قال: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجهد النبي – ﷺ – أن يخبره كم هم فأبى، ثم إن النبي – ﷺ – سأله :كم ينحرون من الجزور ؟ فقال: عشرا كل يوم. فقال رسول الله – ﷺ – : القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها.

ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله – ﷺ – يدعو ربه – عز وجل– ويقول: اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد).[2]

---

[1] – رغم أن قصة إشارة الحباب بن المنذر مشهورة ومذكورة في كتب السيرة إلا أنها لم تثبت من طريق يعتد به، فما ورد سنده ضعيف. وقد روى ذلك ابن إسحاق بسند مرسل موصول عن عروة، وابن شهين بإسناد ضعيف من طريق أبي الفضل كما ذكر ابن حجر في الإصابة 10/2. وانظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري 360/2.

[2] – رواه أحمد في المسند 193/2. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

لقد أنزل الله – عز وجل– في تلك الليلة مطرا واحدا، فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب به الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المترل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله – ﷺ – وأصحابه إلى الماء، فترلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله – ﷺ – وأصحابه على الحياض.

وبُنِيَ لرسول الله – ﷺ – عريش يكون فيها على تل يشرف على المعركة، ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده يقول: (هذا مصرع فلان غدا، إن شاء الله). قال عمر: (فوالذي بعثه بالحق ! ما أخطؤا الحدود التي حد رسول الله – ﷺ–).[1]

وفي لفظ: قال رسول الله – ﷺ– (هذا مصرع فلان) قال: ويضع يده على الأرض، ها هنا وها هنا. قال: فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله – ﷺ –).[2]

حين التقى الجمعان:

فلما طلع المشركون، وتراءى الجمعان، قال عمر – رضي الله عنه –: (لما كان يوم بدر، نظر رسول الله – ﷺ – إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا. فاستقبل نبي الله – ﷺ – القبلة. ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: " اللهم، أنجز لي ما وعدتني. اللهم، آت ما وعدتني. اللهم، إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض". فما زال يهتف بربه، مادا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه،

---

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2873.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1797.

ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله ! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك).[1]

واستنصر المسلمون الله، واستغاثوه، وأخلصوا له، وتضرعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿ **أنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ، سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ** ﴾[الأنفال الآية: 12]

وأوحى الله إلى رسوله: ﴿ **أنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال الآية: 9][2]

---

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1763.

[2] – فائدة وتحقيق:

فإن قيل: هاهنا ذُكر أنه أمدهم بألف، وفي سورة "آل عمران" قال: ﴿إذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى، إنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 124-125]، فكيف الجمع بينهما ؟

قيل: قد اختلف في هذا الإمداد الذي بثلاثة آلاف، والذي بالخمسة على قولين:

أحدهما: أنه كان يوم أحد، وكان إمدادا معلقا على شرط، فلما فات شرطه، فات الإمداد، وهذا قول الضحاك ومقاتل، وإحدى الروايتين عن عكرمة.

والثاني : أنه كان يوم بدر، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

والرواية الأخرى عن عكرمة، اختاره جماعة من المفسرين. وحجة هؤلاء أن السياق يدل على ذلك، فإنه سبحانه قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُم تَشْكُرونَ، إذْ تَقُولُ لِلْمُؤمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى، إن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ إلى أن قال: ﴿وما جَعَلَهُ اللهُ ﴾ [آل عمران: 123-126] أي: هذا الإمداد ﴿إلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾ [آل عمران: 126].قال هؤلاء: فلما استغاثوا، أمدهم بتمام ثلاثة آلاف، ثم أمدهم بتمام خمسة آلاف لما صبروا واتقوا، فكان هذا التدريج، ومتابعة الإمداد، أحسن موقعا، وأقوى لنفوسهم، وأسر لها من أن يأتي به مرة واحدة، وهو بمنزلة متابعة الوحي ونزوله مرة بعد مرة.

وقالت الفرقة الأولى: القصة في سياق أحد، وإنما أدخل ذكر بدر اعتراضا في أثنائها، فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أن تَفْشَلا واللهُ وَلِيُّهُما، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾ [آل عمران: 121-122]، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾ [آل عمران: 123] فذكَّرهم نعمتَه عليهم لمَّا نصرهم ببدر، وهم أذلة، =

وبات رسول الله – ﷺ – يصلي إلى جذع شجرة هناك، وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة المباركة.

بدء القتال:

فلما أصبحوا، أقبلت قريش في كتائبها، واصطف الفريقان، فمشى حكيم بن حزام، وعتبة بن ربيعة في قريش، أن يرجعوا ولا يقاتلوا، فأبى ذلك أبو جهل.

وعدَّل رسول الله – ﷺ – الصفوف، ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر، وقام سعد بن معاذ في قوم من الأنصار على باب العريش، يحمون رسول الله – ﷺ –.

قال عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه –: (بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما[1]، فغمزني[2] أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا بن أخي ؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله – ﷺ –، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مثلها.

=ثم عاد إلى قصةِ أُحُد، وأخبر عن قول رسوله لهم: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴾ [آل عمران: 124]، ثم وعدهم أنهم إن صبرُوا واتَّقُوا، أمدَّهم بخمسة آلاف، فهذا من قول رسولِهِ، والإمداد الذي ببدر من قوله تعالى، وهذا بخمسة آلاف، وإمدَادُ بدر بألف، وهذا معلَّق على شرط، وذلك مطلق، والقصة في سورة "آل عمران" هي قصة أُحُد مستوفاة مطوَّلة، وبدر ذُكرت فيها اعتراضاً، والقصة في سورة "الأنفال" قصة بدر مستوفاة مطوَّلة، فالسياق في "آل عمران" غير السياق في "الأنفال".

يوضح هذا أن قوله: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ [آل عمران: 125]، قد قال مجاهد: إنه يومُ أُحد، وهذا يستلزِمُ أن يكون الإمدادُ المذكور فيه، فلا يَصِحُّ قولُه: إن الإمداد بهذا العدد كان يومَ بدر، وإتيانُهم من فورهم هذا يومَ أُحُد.. والله أعلم. أنظر زاد المعاد 3/177- 178.

[1] – أضلع: أقوى وأعظم وأشد.

[2] – غمزني: قرصني.

قال: فلم أنشب[1] أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله – ﷺ – فأخبراه، فقال: أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: كلاكما قتله. وقضى بسَلَبـــه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح).[2]

وفي حديث أنس – رضي الله عنه –: (قال رسول الله – ﷺ – يوم بدر: من ينظر ما صنع أبو جهل ؟ انطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا العفراء حتى برد، فقال: آنت أبا جهل ؟ قال ابن علية: قال سليمان: هكذا قالها أنس، قال: أنت أبا جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتلتموه. قال سليمان: أو قال: قتله قومه. قال: وقال أبو مجلز: قال أبو جهل: فلو غير أكار[3] قتلني).[4]

ولما رأى المنافقون ومن في قلبه مرض قلة حزب الله وكثرة أعدائه، ظنوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة، وقالوا: ﴿ **غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ** ﴾[الأنفال الآية:49]، فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة، ولا بالعدد، والله عزيز لا يغالب، حكيم ينصر من يستحق النصر، وإن كان ضعيفا، فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة عليه.

واستفتح أبو جهل في ذلك اليوم، فقال: (اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**،

---

[1] – أنشب: ألبث.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3141 .

[3] – وهو : الزرّاع يقال : أكرت الأرض أي حفرتها وبه سمي الأكار ويراد هنا احتقاره.

[4] – رواه البخاري في الصحيح الجامع رقم 4020. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1800.

وَإِن تَنْتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِىَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً ولَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤمِنِينَ ﴾[الأنفال الآية: 19]). [1]

وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، يطلبون المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عبد الله بن رواحة، وعوف ومعوذ ابنا عفراء، فقالوا لهم: من أنتم ؟ فقالوا: من الأنصار. قالوا: أكفاء كرام، وإنما نريد بني عمنا. فبرز إليهم علي وعبيدة بن الحارث وحمزة، فقتل علي قرنه الوليد، وقتل حمزة قرنه عتبة، وقيل: شيبة واختلف عبيدة وقرنه ضربتين، فكر علي وحمزة على قرن عبيدة، فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، فلم يزل ضمنا، حتى مات بالصفراء.

وكان علي يقسم بالله: لنزلت هذه الآية فيهم: ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ** ﴾ [الحج الآية:19].

وقام رسول الله – ﷺ – في الناس، فوعظهم، وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات من النصر، والظفر العاجل، وثواب الله الآجل، وقال رسول الله – ﷺ–: (لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه. فدنا المشركون فقال رسول الله – ﷺ –: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض قال: عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض. قال: نعم. قال بخ بخ. فقال رسول الله –ﷺ –: ما يحملك على قولك بخ بخ قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل). [2]

---

[1] – سيرة ابن كثير 2/431-432. وقال ابن كثير في نفس المصدر: أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن ثعلبة، وذكره ابن إسحاق في السيرة، ورواه النسائي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري، ورواه الحاكم من حديث الزهري أيضا، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأخرجه الأموي عن مطرف.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح عن أنس رضي الله عنه رقم 1901.

وعن أبي أسيد – رضي الله عنه – قال: (قال لنا رسول الله – ﷺ – يوم بدر : إذا أكثبوكم– يعني أكثروكم — فارموهم، واستبقوا نبلكم).[1]

ثم حمى الوطيس، واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله – ﷺ – في الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه – عز وجل–، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق، وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك.

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، وأخذ القوم النعاس في حال الحرب، ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: (أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع).[2]

وأخذ رسول الله – ﷺ – ملء كفه من الحصباء، فرمى بها وجوه العدو، فلم تترك رجلا منهم إلا ملأت عينيه، وشغلوا بالتراب في أعينهم، وشغل المسلمون بقتلهم، فعن ابن عباس– رضي الله عنهما — (أن النبي – ﷺ – قال لعلي – رضي الله عنه –: ناولني كفا من حصى. فناوله فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء فنزلت: ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى** ﴾ [الأنفال الآية: 17]).[3]

ولقي الزبير بن العوام – رضي الله عنه – عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج في السلاح لا يرى منه إلا الحدق، فحمل عليه الزبير بحربته، فطعنه في عينه فمات.

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3985.

[2] – رواه الأموي بسند حسن كما قال الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي ص226. وانظر السيرة النبوية الصحيحة 365/2.

[3] – رواه الطبراني بسند قال فيه الهيثمي 84/6 : رجاله رجال الصحيح.

قال الزبير – رضي الله عنه –: (لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى إلا عيناه وكان يكنى أبا ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، لقد وضعت رجلي عليه، فكان الجهد أن نزعتها، فاقد انثنى طرفها).[1]

وعن علي – رضي الله عنه – قال : (لقد رأيتنا في يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله – ﷺ – وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً).[2]

الملائكة تشترك في قتال المشركين:

وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم، قال ابن عباس – رضي الله عنهم –: (بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا، فنظر إليه، فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله – ﷺ–، فقال: صدقت، ذلك من مدد السماء الثالث).[3]

وقال أبو داود المازني– رضي الله عنه –: (إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري).[4]

ومن حديث علي – رضي الله عنه – قال: (جاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس: إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجها، على فرس أبلق، ما أراه في القوم، فقال الأنصاري:

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3998.

[2] – رواه أحمد وصحح إسناده أحمد شاكر. أنظر صحيح السيرة النبوية للعلي ص 180.

[3] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1763.

[4] –أخرجه أحمد من طريق ابن إسحاق بسند حسن.أنظر صحيح السيرة النبوية ص 181.

أنا أسرته يا رسول الله، فقال: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم. وأسر من بني عبد المطلب ثلاثة: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث).[1]

وجدنا ما وعدنا ربنا حقا:

وجاء النصر، وأيد الله رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسرا وقتلا، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وولى المشركون منهزمين...

وأسر عبدُ الرحمن بن عوف أميةَ بن خلف، وابنه عليا، فأبصره بلال، وكان أمية يعذبه بمكة، فقال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. ثم استوخى جماعة من الأنصار، واشتد عبد الرحمن بهما يحرزهما منهم، فأدركوهم، فشغلهم عن أمية بابنه، ففرغوا منه، ثم لحقوهما، فقال له عبد الرحمن: ابرك، فبرك فألقى نفسه عليه، فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه، وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف، وقد قال له أمية قبل ذلك: من الرجل المعلم في صدره بريشة نعامة ؟ فقال: ذلك حمزة بن عبد المطلب. فقال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. وكان مع عبد الرحمن أدراع قد استلبها، فلما رآه أمية قال له: أنا خير لك من هذه الأدراع، فألقاها وأخذه، فلما قتله الأنصار، كان يقول: يرحم الله بلالا، فجعني، بأدراعي وبأسيري.

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: (أصيب حارثة يوم بدر، وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي – ﷺ – فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع ؟ فقال: ويحك، أوهبلت أوجنة واحدة هي، إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس).[2]

---

[1] -أخرجه أحمد 117/1 وسنده صحيح كما قال محققا زاد المعاد 183/3.

[2]- رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3982.

الرسول ﷺ ينادي قتلى المشركين:

ثم أقبل رسول الله – ﷺ – حتى وقف على القتلى...ثم أمر بهم، فسحبوا إلى قليب بدر، فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم، فقال: فقال (يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا. فسمع عمر قول النبي – ﷺ – فقال: يا رسول الله، كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا ؟ قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا).[1]

ثم أقام رسول الله – ﷺ – بالعرصة، ثلاثا، وكان إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم، ثلاثا.

مجادلة حول الغنائم:

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: (خرجنا مع النبي – ﷺ – فشهدت معه بدرا، فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله – ﷺ – لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم. وقال الذين أحدقوا برسول الله – ﷺ –: لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله – ﷺ – وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ [الأنفال الآية:1]. فقسمها رسول الله – ﷺ – على فواق بين المسلمين.[2]

[1] – رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه في المسند الصحيح رقم 2874.

[2] – رواه أحمد في مسنده وقال الهيثمي في المجمع 29/7 رجاله ثقات. انظر صحيح السيرة النبوية 175.

في طريق العودة:

وبعدها ارتحل رسول الله – ﷺ – بجيشه المؤمن مؤيدا منصورا، قرير العين بنصر الله له، ومعه الأسرى والمغانم، فلما كان بالصفراء، قسم الغنائم، وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة، ثم لما نزل بعرق الظبية، ضرب عنق عقبة بن أبي معيط.

ودخل النبي – ﷺ – المدينة مؤيدا مظفرا منصورا قد خافه كل عدو له بالمدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهرا.

وجملة من حضر بدرا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قل عدد الأوس عن الخزرج، وإن كانوا أشد منهم، وأقوى شوكة، وأصبر عند اللقاء، لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة، وجاء النفير بغتة، وأمر النبي – ﷺ – أن لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضرا ، فاستأذنه رجال ظهورهم فى علو المدينة أن يستأني بهم حتى يذهبوا إلى ظهورهم، فأبى[1] ولم يكن عزمهم على اللقاء، ولا أعدوا له عدته، ولا تأهبوا له أهبته، ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا: ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس، وفرغ رسول الله – ﷺ – من شأن بدر والأسرى في شوال.[2]

---

[1]– روى مسلم في المسند الصحيح رقم 1901 عن أنس بن مالك رضي الله عنه فال: (... فخرج رسول الله ﷺ فتكلم . فقال: إن لنا طلبة، فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا. فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة. فقال: لا، إلا من كان ظهره حاضرا. فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر).

[2] – اعتمدنا في ذكر غزوة بدر الكبرى على زاد المعاد 181/3إلى188 بتلخيص وتصرف كبير وإضافات مهمة. ومن أراد التوسع أكثر فلينظر سيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، والروض الأنف، والبداية والنهاية، والمواهب اللدنية، وإمتاع الأسماع وغيرها من المصادر.

قضية الأسرى:

لقد استشار رسول الله – ﷺ– أصحابه – رضي الله عنهم – في شأن أسرى بدر فرأى بعضهم أن تؤخذ منهم الفدية مقابل إطلاق صراحهم، وكان أبو بكر – رضي الله عنه – مع هؤلاء، ورأى بعضهم الآخر أن يُقتلوا، وكان هذا رأي عمر – رضي الله عنه –، فعمل النبي – ﷺ – بمشورة أصحاب الرأي الأول، ولكن الله — عز وجل– عاتبهم على فعلهم هذا، لأن جماعة من الصحابة أسروا المشركين قبل أن يثخنوهم بالقتل ليأخذوا الأسرى وينالوا منهم الفداء ، كما أن الأسرى هم مجرموا حرب لا أسرى حرب.

فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – فيما حدثه به عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: (فلما أسروا الأسارى قال رسول الله – ﷺ – لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله – ﷺ –: ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان، نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وصناديدها. فهوي رسول الله – ﷺ – ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله – ﷺ – وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله – ﷺ –: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة. – شجرة قريبة من نبي الله ﷺ– وأنزل الله – عز وجل– : ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ**

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[الأنفال الآية: 67-69]، فأحل الله الغنيمة لهم).[1]

وأوصى النبي– ﷺ – بالأسرى خيرا، وقد بعث كل قوم يفدون أسيرهم عند المسلمين، وكان منهم:

– العباس بن عبد المطلب عم الرسول:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: (كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب، أبو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو، أحد بني سلمة، فقال له رسول الله – ﷺ –: كيف أسرته يا أبا اليسر ؟ قال لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل، هيئته كذا، هيئته كذا. قال: فقال رسول الله – ﷺ –: لقد أعانك عليه ملك كريم. وقال للعباس: يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث وحليفك عتبة بن جحدم.– أحد بني الحرث بن فهر– قال: فإني كنت مسلما قبل ذلك، وإنما استكرهوني. قال: الله أعلم بشأنك، إن يك ما تدعي حقا فالله يجزيك بذلك، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك. وقد كان رسول الله – ﷺ – قد أخذ معه عشرين أوقية ذهب فقال: يا رسول الله احبسها لي من فدائي. قال: لا ذلك شيء أعطانا الله منك. قال: فإنه ليس لي مال. قال: فأين المال الذي وضعته بمكة، حين خرجت، عند أم الفضل وليس معكما غيركما أحد فقلت إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا، ولقثم كذا، ولعبد الله كذا. قال: فوالذي بعثك بالحق ما علم به أحد من الناس غيري وغيرها، وإني أعلم أنك رسول الله.).[2] فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ**

---

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1763.

[2] – رواه أحمد في مسنده 105/5 وضعفه أحمد شاكر، وقال الهيثمي: فيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات. انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 115/6.وقد ذكرناه من باب الاستئناس.

لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، وَإِن يُّرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال الآية: 70-71].

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: (كان فداء كل واحد أربعين أوقية، فجعل على العباس مائة أوقية، وعلى عقيل ثمانين، فقال له العباس: أللقرابة صنعت هذا ؟ قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[الأنفال الآية:70]، فقال العباس: وددت لو كنت أخذت مني أضعافها لقوله تعالى : ﴿ **يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ** ﴾.[1]

– أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول ﷺ:

قالت عائشة – رضي الله عنها –: (لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، قالت: فلما رآها رسول الله – ﷺ – رق لها رقة شديدة، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها. فقالوا: نعم. وكان رسول الله – ﷺ – أخذ عليه أو وعده أن يخلي سبيل زينب إليه، وبعث رسول الله – ﷺ – زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار، فقال: كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها.).[2]

[1] – قال ابن حجر العسقلاني في الفتح 322/7: " أخرجه أبو نعيم في الدلائل بإسناد حسن".

[2] – صحيح سنن أبي داود رقم 2692. وحسنه الألباني.

– منٌّ رسول الله ﷺ على بعض الأسرى:

ومِنَ الأسرى الذين منَّ عليهم رسول الله – ﷺ – فأطلق صراحهم[1] بغير فداء: المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الجمحي، وقد قتله حين أسر مرة أخرى في أحد.[2]

– أسرى ليس لهم فداء:

قال ابن عباس – رضي الله عنه –: (كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله – ﷺ– فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء يوما غلام يبكي إلى أبيه فقال: ما شأنك ؟ قال: ضربني معلمي. قال: الخبيث يطلب بذحل[3] بدر والله لا تأتيه أبدا.).[4]

محاولة الانتقام باغتيال النبي ﷺ:

كان عمير شيطاناً من شياطين قريش، كان يؤذي رسول الله –صلى الله عليه وسلم –، وأصحابه، ويلقون منه عناءً وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر عمير أصحاب القليب ومصابهم، وكان معه صفوان بن أمية، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير. قال عمير: صدقت، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة ابني أسير في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان وقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء يعجز عنهم. فقال عمير: فاكتم شأني وشأنك. قال : أفعل.

---

[1]– لقد حفظ النبي ﷺ لمطعم بن عدي صنيعه حين أجاره بعد عودته من الطائف إلى مكة، فقال: " لو كان المطعم بن عدي حيا ، ثم كلمني في هؤلاء النتنى ، لتركتهم له ".رواه البخاري عن جبير بن مطعم في الجامع الصحيح رقم 3139.

[2] – مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 243.

[3] – أي ثأر.

[4] – رواه أحمد في المسند 47/4. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، وما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً السيف، فقال عمر: هذا الكلب عدو الله، والله ما جاء إلا لشر. ثم دخل عمر على رسول الله - ﷺ - فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب، وقد جاء متوشحاً سيفه. قال: فأدخله علي. فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها.

وقال لرجال من الأنصار: ادخلوا على رسول الله - ﷺ - فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله - ﷺ - ، فلما رآه رسول الله - ﷺ - قال: أرسله. فدعا عمير، فقال رسول الله - ﷺ -: فما جاء بك يا عمير ؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه-يعني ولده -.قال: فما بال السيف في عنقك ؟ قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال: اصدقني ما الذي جاء بك ؟ قال: ما جئت إلا لذلك.

قال رسول الله - ﷺ -: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم، قلت لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك.

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما يترل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق.

ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله - ﷺ -: فقّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره.).[1]

وقد فعل المسلمون ما أمرهم به رسول الله – ﷺ - وعاد عمير إلى مكة بعد أن أذن له النبي – عليه الصلاة والسلام – بذلك، ودعا إلى الإسلام، فأسلم على يديه أناس كُثُر.

[1] - سيرة ابن هشام 2/272-273-274.رواه بن اسحاق بسند صحيح مرسل. قال ابن حجر في الإصابة 4/728: " وجاء من وجه آخر موصولا أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزهر عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره...وأخرجه الطبراني من طريق محمد بن سهل بن عسكر عن عبد الرزاق بسنده فقال: لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك.".
قال صاحب صحيح السيرة النبوية ص 191: " وإسناد ابن منده ظاهره أنه حسن".

غزوات وسرايا ما بين معركة بدر وأحد

غزوة بني سليم:

كان فراغ رسول الله – ﷺ – من بدر في عقب شهر، في شوال.

ولما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم.

واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، أو ابن أم مكتوم الأعمى، فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش.[1]

غزوة السويق:[2]

وسببها أن فل[3] المشركين لما رجعوا إلى مكة موتورين[4] محزونين حرم أبو سفيان على نفسه الدهن، ونذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة، حتى يثأر[5] من رسول الله – ﷺ – وأصحابه بمن أصيب من المشركين يوم بدر، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له يتيب بالمدينة، على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى

---

[1] – السيرة النبوية لابن كثير539/2، وسيرة ابن هشام49/3. وزاد المعاد189/3، ومختصر سيرة الرسول للنجدي266.

[2] – السويق – بالسين والصاد لغة –: قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزود ويستف تارة بما يثرى به أو بسمن أو بعسل وسمن.

[3] – الفل – بفاء مفتوحة فلام مشددة –: القوم المنهزمون.

[4] – موتورين – بالمثناة الفوقية بين الواوين – بنقص عددهم.

[5] – يثأر: يطلب ثأره، أي يطلب بدم من قتل من المشركين يوم بدر.

حُيَيَّ بن أخطب فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه، فأذن له، فقراه وسقاه، وبطن له من خبر الناس، وخبر رسول الله - ﷺ -، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجلا من قريش، فأتوا ناحية منها يقال لها: العريض، فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما فقتلوهما...

فخرج رسول الله - ﷺ - في طلبهم يوم الأحد الخامس من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا، في مائتين من المهاجرين والأنصار...حتى بلغ قرقرة الكدر وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون للهرب فيلقون جرب السويق، وهي عامة أزوادهم، فيأخذها المسلمون، فسميت غزوة السويق و لم يلحقوهم.

وانصرف رسول الله - ﷺ - راجعا إلى المدينة، بعد أن غاب خمسة أيام.[1]

غزوة غطفان:

وهي غزوة ذي أمر - بفتح الهمزة والميم -، وسماها الحاكم غزوة أنمار، وهي بناحية نجد.

وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة.

وسببها أن جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي، - وسماه الخطيب غورث وغيره عورك -، وكان شجاعا، فندب رسول الله - ﷺ - المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين فارسا، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

---

[1] - سبل الهدى والرشاد 4/258-259.وانظر سيرة ابن هشام3/50-51. وزاد المعاد 3/189-190. ومختصر سيرة الرسول للنجدي266.

فلما سمعوا بمهبطه هبطوا في رؤوس الجبال فأصابوا رجلا منهم يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله – ﷺ –، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال.

وأصاب النبي – ﷺ – مطر، فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا: قد انفرد محمد فعليك به. فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه فقال: من يمنعك مني اليوم ؟ فقال – ﷺ –: الله. فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي – ﷺ – فقال: من يمنعك مني ؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، وأنزل الله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ** ﴾[المائدة الآية:11].[1] ويقال كان ذلك في ذات الرقاع. ثم رجع – ﷺ – ولم يلق كيدا. وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.[2]

غزوة بحران:

ثم غزوة رسول الله – ﷺ – بني سليم ببحران لستٍّ خلون من جمادي الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجره،، وبحران بناحية الفرع وبين الفرع والمدينة ثمانية برد، وذلك أنه بلغه أن بها جمعا من بني سليم كثيرا، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه واستخلف على المدينة ابن أم المكتوم، وأغذ السير حتى ورد

---

[1] – أصل القصة رواها البخاري في الجامع الصحيح رقم 2910 أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر : أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه ، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر ، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة وعلق بها سيفه ، ونمنا نومة ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، وإذا عنده أعرابي ، فقال : (إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتا ، فقال : من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ثلاثا) . ولم يعاقبه وجلس.

[2] – مختصر سيرة الرسول للنجدي 267.

بحران فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع و لم يلق كيدا، وكانت غيبته عشر ليال.[1]

سرية زيد بن حارثة إلى القردة:

وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله – ﷺ – فيها، حين أصاب عير قريش، وفيها أبو سفيان بن حرب على القردة، ماء من مياه نجد.

وكان من حديثها: أن قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلا من بني بكر بن وائل، يقال له فرات بن حيان يدلهم في ذلك على الطريق.

وبعث رسول الله – ﷺ – زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله – ﷺ–.[2]

غزوة بني قينقاع:

وكانت بعد بدر حيث غزى رسول الله – ﷺ – بني قينقاع يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من مهاجره، وكانوا قوما من يهود حلفاء لعبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغة فوادعوا النبي– ﷺ – فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة.[3]

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (لما أصاب رسول الله – ﷺ – قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع. فقال: يا معشر يهود،

---

[1] – طبقات ابن سعد32/2.

[2] – سيرة ابن هشام56/3-57. وذكر ابن سعد في طبقاته 32/2-33 أنها كانت لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرا من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان في العير صفوان بن أمية وحويطب بن العزى وعبد الله بن أبي ربيعة وأُسر فرات بن حيان ثم تركه النبي ﷺ .

[3] – طبقات ابن سعد26/2.

أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً. قالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا. فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ** ﴾[آل عمران الآية: 12-13]).[1]

ويمكن القول أن السبب الرئيسي في غزو بني قينقاع هو ظهور عدائهم للمسلمين ومصارحتهم بنية المواجهة، وإخلالهم بالأمن في المدينة، وإيذاء المسلمين والاعتداء عليهم كما حدث للمرأة المسلمة التي حاول أحد اليهود نزع ستر وجهها، فصرخت مستنجدة، وكان أحد المسلمين حاضرا في السوق، فقتل اليهودي، فاجتمع عليه رجال من اليهود فقتلوه، فوقع الشر بين المسلمين واليهود.[2]

فسار النبي – ﷺ – إليهم...فتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، فأقاموا على ذلك خمس عشرة ليلة، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله – ﷺ –...

ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله – ﷺ –، وكان لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي بن سلول، فجعلهم إلى رسول الله – ﷺ –، وتبرأ إلى الله تعالى ورسوله من حلفهم، وقال: يا رسول الله: أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الرجال، فقام إلى رسول الله – ﷺ – عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء

---

[1] – رواه أبو داود في سننه رقم 3001. وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري 332/7.

[2] – قصة اعتداء اليهود على المرأة المسلمة مشهورة في كتب السيرة رغم أنها وردت من طريق ضعيف، وقد ذكرتها من باب الاستئناس التاريخي فقط. أنظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري 300/1. والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 370.

الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله - ﷺ -، فقال: يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله - ﷺ - من خلفه، وكان يقال لها " ذات الفضول "، فقال له رسول الله - ﷺ -: ويحك أرسلني. وغضب رسول الله - ﷺ - حتى رأوا لوجهه ظُللًا، ثم قال: ويحك أرسلني. قال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي: أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال - ﷺ -: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

وتركهم من القتل، وأمر بهم أن يجلوا من المدينة، فخرجوا بعد ثلاث، وولى إخراجهم منها عبادة من الصامت، وقيل: محمد بن مسلمة، فلحقوا بأذرعات- بالشام-، فما كان أقل بقاءهم بها، وأخذ رسول الله - ﷺ - من سلاحهم ثلاث قسي: قوسا يدعى الكتوم كسرت بأحد، وقوسا يدعى الروحاء، وقوسا يدعى البيضاء، وأخذ درعين: درعا يقال له: الصغدية وأخرى فضة، وثلاثة أرماح، وثلاثة أسياف، سيف قلعي، وسيف يقال له: بتار، وآخر لم يسمَّ.

ووجد في منازلهم سلاحا كثيرا وآلة للصياغة، فأخذ رسول الله - ﷺ- صفية والخمس، وفض أربعة أخماسه على أصحابه، فكان أول خمس بعد بدر، وكان الذي قبض أموالهم محمد بن مسلمة، فأنزل الله تعالى في شأن عبد الله بن أبي وفي شأن عبادة بن الصامت.

﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** ﴾[المائدة الآية: 51-52] أي: عبد الله بن أبي وقوله: إني أخشى الدوائر ﴿ **يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ**

أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[المائدة الآية:52-55]. وذلك لتولي عبادة بن الصامت الله تعالى ورسوله والذين آمنوا، وتبرُّئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ** ﴾.[المائدة الآية:56].[1]

قتل كعب بن الأشرف اليهودي:

كان رجلا من اليهود، وأمه من بني النضير، وكان شديد الأذى لرسول الله – ﷺ –، وكان يشبب في أشعاره بنساء الصحابة، فلما كانت وقعة بدر، ذهب إلى مكة، وجعل يؤلب على رسول الله – ﷺ –، وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال،[2] فقال رسول الله – ﷺ — فيما رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: (من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله. فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال: نعم. قال: ائذن لي فلأقل.[3] قال: قل. فأتاه فقال له – وذكر ما بينهما– وقال: إن هذا الرجل[4] قد أراد صدقة وقد عنَّانا. فلما سمعه قال: وأيضا والله لتملُّنَّه. قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره — قال: – وقد أردت أن تسلفني سلفا. قال: فما ترهنني ؟ قال: ما تريد. قال: ترهنني نساءكم. قال: أنت أجمل العرب

---

[1]– باختصار سبل الهدى والرشاد 266/4-267-268. وانظر سيرة ابن هشام 53/3 إلى56 .وطبقات ابن سعد 26/2-27. وسيرة ابن كثير6/3-7.

[2]- زاد المعاد 191/3.

[3] – استأذن محمد بن سلمة النبي ﷺ أن يستعمل بعض الكلمات التي توهم كعب بن الأشرف أنه غير موافق للنبي عليه الصلاة والسلام حتى يخدع عدو الله كعبا.

[4] – يقصد بالرجل النبي ﷺ، وقد تكلم بهذا الأسلوب حتى يطمئن إليه عدو الله كعب بن الأشرف.

أنرهنك نساءنا ؟! قال له: ترهنوني أولادكم. قال: يسب ابن احدنا فيُقال رهن في وسقين من تمر. ولكن نرهنك اللامة – يعني السلاح — . قال: فنعم. وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر، قال: فجاءوا فدعوه ليلا، فترل إليهم، قال سفيان: قال غير عمرو، قالت له امرأته: إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم. قال: إنما هذا محمد بن مسلمة، ورضيعه وأبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب. قال: محمد إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم. قال: فلما نزل نزل وهو متوشح، فقالوا: نجد منك ريح الطيب. قال: نعم، تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب. قال: فتأذن لي أن أشم منه ؟ قال: نعم، فشم. فتناول فشم ثم قال: أتأذن لي أن أعود ؟ قال: فاستمكن من رأسه ثم قال: دونكم. قال: فقتلوه.).[1]

ولما علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب بن الأشرف دب الرعب في قلوبهم العنيدة، وعلموا أن الرسول – ﷺ – لن يتوانى في استخدام القوة حين يرى أن النصح لا يجدي نفعاً لمن يريد العبث بالأمن وإثارة الاضطرابات وعدم احترام المواثيق، فلم يحركوا ساكناً لقتل طاغيتهم، بل لزموا الهدوء، وتظاهروا بإيفاء العهود، واستكانوا، وأسرعت الأفاعي إلى جحورها تختبئ فيها.

وهكذا تفرغ الرسول – ﷺ – إلى حين– لمواجهة الأخطار التي كان يتوقع حدوثها من خارج المدينة، وأصبح المسلمون وقد تخفف عنهم كثير من المتاعب الداخلية التي كانوا يتوجسونها، ويشمون رائحتها بين آونة وأخرى.[2]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4037. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1801.

[2] – الرحيق المختوم 171–172.

غـزوة أحــد
معركة امتحن الله - عز وجل- فيها عباده المؤمنين

لما قتل الله أشراف قريش ببدر، وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها، ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم، وجاء كما ذكرنا إلى أطراف المدينة في غزوة السويق، ولم ينل ما في نفسه، أخذ يؤلب على رسول الله – ﷺ – وعلى المسلمين، ويجمع الجموع، فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش، والحلفاء، والأحابيش، وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا، وليحاموا عنهن، ثم أقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريبا من جبل أحد بمكان يقال له: عينين، وذلك في شوال من السنة الثالثة.[1]

التشاور في خروج لملاقاة العدو:

واستشار رسول الله – ﷺ – أصحابه أيخرج إليهم، أم يمكث في المدينة ؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصنوا بها، فإن دخلوها، قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي، وكان هو الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر، وأشاروا عليه بالخروج، وألحوا عليه في ذلك، وأشار عبد الله بن أبي بالمقام في المدينة، وتابعه على ذلك بعض الصحابة، فألح أولئك على رسول الله – ﷺ –، فنهض ودخل بيته، ولبس لأمته، وخرج عليهم، وقد انثنى عزم أولئك، وقالوا: أكرهنا رسول الله – ﷺ – على الخروج، فقالوا: يا رسول الله؛ إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل[2]، فقال رسول الله – ﷺ-: (إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل).[3]

---

[1] – زاد المعاد 192/3-193. وانظر سيرة ابن هشام 68/3-69-70.

[2] – زاد المعاد193/3. تاريخ الطبري 502/2-503.

[3] – قال الهيثمي في مجمع الزوائد 110/6: رواه أحمد–عن جابر رضي الله عنه–ورجاله رجال الصحيح.

رؤيا الرسول ﷺ:

وكان رسول الله - ﷺ - قد رأى رؤيا قبل الخروج إلى أحد فقال لأصحابه: (رأيت في سيفي ذي الفقار فَلًّا، فأولته فلًّا يكون فيكم، ورأيت أني مردف كبشا، فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة، فأولتها المدينة، ورأيت بقرا تذبح، فبقر والله خير، فبقر والله خير، فكان الذي قال رسول الله - ﷺ-.).[1]

خروج النبي ﷺ بجيشه:

فخرج رسول الله - ﷺ - في ألف من الصحابة، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة[2] وعقد - ﷺ - ثلاثة ألوية: لواء بيد أسيد بن حضير، ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب - وقيل بيد مصعب بن عمير - ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر - وقيل بيد سعد بن عبادة - وفي المسلمين مائة دارع. وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين، وأدلج — عليه الصلاة والسلام - في السحر.[3]

تخاذل المنافقين:

حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد، انخذل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس.!

---

1 - رواه أحمد في مسنده 146/4عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

2 - زاد المعاد 193/3.وانظر سيرة ابن هشام 70/3-71..

3 - مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 273-274 . وانظر إمتاع الأسماع 1/ 135. وسبل الهدى والرشاد277/4و283.

فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال.

فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه.[1]

حين ترك المنافقون جيش النبي – ﷺ – عائدين، دعا بعض الصحابة لقِتالهم، بينما ارتأت طائفة أخرى عدم مقاتلتهم، فأنزل الله فيهما : ﴿ **فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** ﴾[النساء الآية: 88].[2]

الجيش المؤمن يتهيأ للقتال:

وسار – ﷺ – فعسكر بالشيخين، وهما أُطُمان، وعرض رسول الله – ﷺ – عسكره، فاستصغر غلمانا فردهم.[3] وكان منهم عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأجاز من رآه مطيقا، وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، ولهما خمس عشرة سنة.[4]

ونفذ رسول الله – ﷺ – حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت تعبأ

---

[1] – سيرة ابن هشام 72/3. زاد المعاد 194/3.

2 – روى البخاري في الجامع الصحيح رقم 4050 عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد ، رجع ناس ممن خرج معه ، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين : فرقة تقول : نقاتلهم، وفرقة تقول : لا نقاتلهم ، فنزلت : { فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا }.

3 – سبل الهدى والرشاد 277/4 .

[4] - زاد المعاد 195/3.

للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسا، وجعل رسول الله – ﷺ – على الرماة، وكانوا خمسين رجلا، عبد الله بن جبير وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم).[1]

وفي رواية قال: (احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا).[2]

بتعين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله – ﷺ – الثلمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق.

أما بقية الجيش فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام، يسانده المقداد بن الأسود، وكان إلى الزبير مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، وجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة، والذين يوزنون بالآلاف .

ولقد كانت خطة حكيمة ودقيقة جداً، تتجلي فيها عبقرية قيادة النبي – ﷺ – العسكرية، وأنه لا يمكن لأي قائد مهما تقدمت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذا؛ فقد احتل أفضل موضع من ميدان المعركة، مع أنه نزل فيه بعد العدو، فإنه حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، وحمى ميسرته وظهره ـــ حين يحتدم القتال ـــ بسد الثلمة الوحيدة التي كانت توجد في جانب الجيش الإسلامي، واختار لمعسكره موضعا مرتفعا يحتمي به ـــ إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين ـــ ولا يلتجئ إلى الفرار، حتى يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطاردين وأسرهم، ويلحق مع ذلك خسائر فادحة بأعدائه إن أرادوا احتلال معسكره وتقدموا إليه، وألجأ أعداءه إلى

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح عن البراء رضي الله عنه رقم 3039.

[2] – رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنه 209/4. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

قبول موضع منخفض يصعب عليهم جداً أن يحصلوا على شيء من فوائد الفتح إن كانت الغلبة لهم، ويصعب عليهم الإفلات من المسلمين المطاردين إن كانت الغلبة للمسلمين، كما أنه عوض النقص العددي في رجاله باختيار نخبة ممتازة من أصحابه الشجعان البارزين.

وهكذا تمت تعبئة الجيش النبوي صباح يوم السبت السابع من شهر شوال سنة 3هـــ .[1]

النبي ﷺ يثير الحماس في نفوس المجاهدين:

ثم عرض النبي – ﷺ – على أصحابه سيفا وقال: (من يأخذ مني هذا ؟ فبسطوا أيديهم. كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. قال: فمن يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم. فقال سماك بن خرشة، أبو دجانة: أنا آخذه بحقه).[2] وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺأخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين.[3]

وكان يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول

---

[1] - الرحيق المختوم 180.

2 - رواه مسلم في المسند الجامع عن أنس رضي الله عنه رقم 2470.

3 - سيرة ابن هشام 3/74-75. وانظر تاريخ الطبري 2/511.

أضرب بسيف الله والرسول.[1]

تعبئة المشركين ومحاولات لصدع صف المسلمين:

أقبل المشركون على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، ولهم مجنبتان مائتا فارس، وعلى الخيل صفوان بن أمية، ويقال: عمرو بن العاص، وعلى رماهم – وكانوا مائة – عبد الله بن أبي ربيعة، ودفعوا لواءهم إلى طلحة بن أبي طلحة.[2]

وحاول أبو سفيان إيقاع الفرقة بين المسلمين، فأرسل رجلاً إلى الأنصار فقال لهم: يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم فإنه لا حاجة لنا بقتالكم، فرد عليه الأنصار رداً عنيفاً.[3]

وكان أول مَن بدر من المشركين أبو عامر الفاسق، واسمه عبد عمرو بن صيفي، وكان يسمى "الراهب"، فسماه رسول الله – ﷺ – الفاسق، وكان رأس الأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، شرق به، وجاهر رسول الله – ﷺ – بالعداوة، فخرج من المدينة، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله – ﷺ – ويحضهم على قتاله، ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه، ومالوا معه، فكان أول من لقي المسلمين، فنادى قومه، وتعرف إليهم، فقالوا له: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق، فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر.[4] ومعه عبيد قريش، فتراموا بالحجارة هم والمسلمون حتى ولى أبو عامر وأصحابه، وجعل نساء المشركين يضربن بالأكبار والدفوف والغرابيل ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن:

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق

---

[1] – سيرة ابن هشام77/3.و الروض الأنف311/5. وسبل الهدى والرشاد286/4.

[2] – إمتاع الأسماع 139/1. وانظر زاد المعاد 195/3.

[3] – تاريخ الطبري 511/2.

[4] – زاد المعاد 196/3. وانظر طبقات ابن سعد38/2.، ومختصر سيرة الرسول للنجدي 275.

إن تقبلوا نعانق   أو تــــدبروا نفارق

فراق غير وامق[1]

نشوب المعركة بين الجيشين:

وبدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وطلحة بن عثمان حامل لواء المشركين يوم أحد.

وقد خرج طلحة بن أبي طلحة، وكان بيده لواء المشركين لأن بني عبد الدار، كانوا أصحاب لواء المشركين، وطلب طلحة المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد. فقال: يا أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله تعالى يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار ؟ أو أعجله بسيفي إلى الجنة، كذبتم، واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليّ بعضكم.

فخرج إليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين، فقتله علي - رضي الله تعالى عنه -

وفي رواية: فالتقيا بين الصفين فبدره عليّ فصرعه أي قطع رجله ووقع على الأرض وبدت عورته. فقال: يا بن عمي أنشدك الله والرحم، فرجع عنه ولم يجهز عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه ؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفني عليه الرحم، وعرفت أن الله قد قتله.[2]

واقتتل الناس يومئذ قتالا شديدا، وحميت الحرب، وأبلى أبو دجانة الأنصاري، وطلحة بن عبيد الله، وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن النضر، وسعد بن الربيع، بلاء شديدا.

وأنزل الله تبارك وتعالى نصره على المسلمين، وصدقهم وعده، فحسوا المشركين بالسيف حتى كشفوهم عن العسكر، ونهكوهم قتلا، وقد حملت خيل

---

[1] - طبقات ابن سعد 38/2.

[2] - السيرة الحلبية 497/2، 498، وانظر تاريخ الطبري 509/2.

المشركين على المسلمين ثلاث مرات، كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة، وكانت الرماة تحمي ظهور المسلمين، ويرشقون خيل المشركين بالنبل، فلا يقع إلا في فرس أو رجل، فتولي هوارب.[1] وكان شعار المسلمين في أثناء المعركة: أمت أمت.

وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[آل عمران: 152].

الرماة يخالفون أمر النبي ﷺ:

حين تمكن المسلمون من التغلب على المشركين، فقتلوا منهم حاملي اللواء واحدا تلو الآخر، فر من أهل الشرك من تبقى منهم لينجو بحياته، وبدأ المسلمون في جمع الغنائم، فقال الرماة المكلفون بحراسة ظهور المسلمين لأميرهم عبد الله بن جبير – رضي الله عنه –: (الغنيمة الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله – ﷺ– ؟ قالوا: والله لنأتينَّ الناس فلنصيبنَّ من الغنيمة).[2]

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، فاستدار بسرعة خاطفة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عرف بها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد فانقلبوا على المسلمين، وأسرعت امرأة منهم– وهي عمرة بنت علقمة الحارثية – فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب، فالتف حوله

---

[1] – سبل الهدى والرشاد 287/4.

[2] – البخاري في الجامع الصحيح عن البراء رضي الله عنه رقم 3039.

المشركون ولاثوا به[1]، وتنادى بعضهم بعضاً، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف، ووقعوا بين شِقَّي الرحى.[2]

المسلمون وهول المفاجأة:

وبدأ المسلمون يقاتلون وقد اختلط عليهم الأمر من شدة المفاجأة حتى أن سيوف بعضهم امتدت إلى اليمان والد حذيفة – رضي الله عنهما – فقتلته خطأ، فبصر حذيفة – كما روت عائشة رضي الله عنها – فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: (أي عباد الله أبي أبي، قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة **:** يغفر الله لكم.).[3]

ولم ينفع بأس المسلمين وحرارة قتالهم ما دام لا تحكمه خطة منظمة، فأخذوا يتساقطون شهداء في الميدان، وقد فقد المسلمون اتصالهم بالرسول – ﷺ – وشاع أنه قد قتل.

وأُسقط في يد المسلمين، ففر كثيرون منهم من ميدان القتال، وانتحى بعضهم جانبا فجلس دون قتال، في حين آثر آخرون الموت على الحياة بعد فقد رسول الله – ﷺ –...وقد حكى القرآن خبر فرارهم والعفو عنهم فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[آل عمران: 155].

وكان أول من عرف بأن الرسول – ﷺ – حي هو كعب بن مالك فنادى في المسلمين يبشرهم، فأمره الرسول بالسكوت لئلا يفطن له المشركون.[4]

---

[1] – أي اجتمعوا وأقاموا حوله.

[2] – الرحيق المختوم186. وانظر مختصر سيرة الرسول للنجدي 276. وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية 412/2.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4065.

[4] – السيرة النبوية الصحيحة للعمري بتلخيص بسيط 385/2 إلى 287.

محاولة المشركين النيل من النبي ﷺ وصمود بعض أصحابه:

وتمكن بعض المشركين من الوصول إلى الرسول – ﷺ – وقد أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال: من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة ؟. فتقدم الواحد تلو الآخر للدفاع عنه حتى استشهد الأنصار السبعة، فقال النبي – ﷺ – لصاحبيه القريشيين: ما أنصفنا أصحابنا.[1]

وممن قاتل دون الرسول – ﷺ – قتالا عظيما سجله التاريخ: طلحة بن عبيد الله، حتى شلت يده التي وقى بها النبي – ﷺ – ،[2]وسعد بن أبي وقاص الذي كان الرسول – ﷺ – يناوله السهام ويقول: (يا سعد، ارم فداك أبي وأمي)،[3]وأبو طلحة الأنصاري، أمهر الرماة، والذي كان الرسول – ﷺ – إذا مر به أحد بجعبته نبل، يقول له: (انثرها لأبي طلحة. وعندما يشرف النبي – ﷺ – على القوم يقول له أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك).[4]وهو الذي قال عنه الرسول – ﷺ – معجبا به: (لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة).[5]

---

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1789..

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3724 عن قيس بن أبي حازم: " رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت ". وأبو طلحة رضي الله عنه هو الذي جلس تحت الرسول ﷺ ليرفعه على الصخرة من الجبل حين حصرهم الكفار في شعب أحد، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: " أوجب طلحة " أي وجبت له الجنة. رواه ابن إسحاق بإسناد حسن. ابن هشام 126/3. وقال عنه الرسول ﷺ: " من أحب ان ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ".قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 32/2: " رواه الأصبهاني بإسناد صحيح لشواهده.. ".

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4055 و4059.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4064. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1811.

[5] – رواه أحمد. الفتح الرباني 559/22. بإسناد رجاله ثقات. أنظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية باختصار طفيف 388-389.

وعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: (رأيت رسول الله – ﷺ – يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد)[1]، وفي رواية: قال: (جبريل وميكائيل).[2]

إصابة النبي ﷺ في المعركة:

وتكاثر المشركون على رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله.

رمى عتبة بن أبي وقاص – لعنه الله – رسول الله – ﷺ – بأربعة أحجار فكسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى.

قال الحافظ: (والمراد بكسر الرباعية – وهي السن التي بين الثنية والناب – أنها كسرت فذهب منها فلقة، و لم تقلع من أصلها).

وشجه عبد الله بن شهاب الزهري – وأسلم بعد ذلك – في وجهه، وسال الدم من الشجة حتى أخضل الدم لحيته الشريفة.

ورماه عبد الله بن قَمِئة فشج وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وعلاه بالسيف، وكان عليه درعان، فوقع – ﷺ – في حفرة أمامه على جنبه، وهي من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون...فأخذ علي بن أبي طالب بيده، ورفعه طلحة حتى استوى قائما فجحشت ركبتاه، و لم يصنع سيف ابن قمئة شيئا إلا وهن الضربة بثقل السيف، ومكث يجد وهن الضربة على عاتقه شهرا، أو أكثر من شهر.[3]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4054.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2306.

[3] – سبل الهدى والرشاد 294/4.وانظر سيرة ابن هشام 88/3-89. وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 422/2 إلى 424.

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه — قال: (قال: رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيهم – يشير إلى رباعيته – اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله – ﷺ –).[1]

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: (أن رسول الله – ﷺ – كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وشجوا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله ؟. فأنزل الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾[آل عمران: 128]).[2]

التحصن بشعب أُحد:

فلما عرف المسلمون رسول الله – ﷺ – نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين – رضوان الله عليهم –.[3]

فلما انتهى رسول الله – ﷺ – إلى فم الشعب كانت فاطمة بنت رسول الله – ﷺ – تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب الماء عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك.[4]

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: (لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي – ﷺ – قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4073، ومسلم في المسند الصحيح رقم 1793.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1791.

[3] – سيرة ابن هشام 93/3. وانظر الروض الأنف 333/5. وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 435/2.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4075. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1790.

خدم سوقهن تنقزان[1] القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متوهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم).[2]

وأنزل الله تعالى النعاس أمنة منه للمسلمين، فكان الإغفاء رغم وجود الخطر يُذهب عنهم الخوف ويزرع في قلوبه الطمأنينة، فعن أنس – رضي الله عنه – عن أبي طلحة – رضي الله عنه – قال: (رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته من النعاس).[3]

أما أهل النفاق فقد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية تخوف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة، فذكر الله – عز وجل– تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم.[4] فقال : ﴿ **ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾[آل عمران الآية: 154].

شماتة أبي سفيان وحواره مع عمر:

لقد علم المشركون أنه من الصعب الوصول إلى المسلمين المتحصنين بقمة جبل أحد للقضاء عليهم رغم بعض المحاولات التي قام بها بعضهم فوجدت مقاومة عنيفة من أهل الإيمان ردتها خاسرة، ولهذا اكتفوا بما حققوه في المعركة، وتقدم أبو

[1] – تنقزان: أي تحملان وتقفزان بها وثبا.
[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2880.
[3] – صحيح الترمذي رقم 3007 للألباني وصححه.
[4] – سيرة ابن هشام 127/3.

سفيان من الجبل فقال : (أفي القوم محمد ثلاث مرات ؟ فنهاهم النبي - ﷺ - أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا. فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك.

قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها و لم تسؤني.

ثم أخذ يرتجز: أعل هبل، أعل هبل.

قال النبي - ﷺ-: ألا تجيبوا له ؟.

قالوا: يا رسول الله ما نقول ؟.

قال: قولوا الله أعلى وأجل.

قال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزى لكم.

فقال النبي - ﷺ -: ألا تجيبوا له ؟.

قالوا يا رسول الله ما نقول ؟.

قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم.).[1]

الرسول ﷺ يشرف على دفن الشهداء والعودة إلى المدينة:

وحين غادر المشركون أرض المعركة أشرف رسول الله – ﷺ - على دفن شهداء أحد، وكانوا سبعين شهيدا،[2]وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا.[3]

---

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2812.
[2] - أنظر سيرة ابن هشام 140/3.
[3] - نفس المصدر 144/3.

فأمر رسول الله – ﷺ – أن يُدفن الشهداء بدمائهم حيث لقوا الله – عز وجل–، وأمر برد من أُخذ منهم ليُدفن بعيدا عن إخوانه الشهداء، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون دم، والريح ريح مسك).[1]

وعن جابر – رضي الله عنه –: (أن النبي – ﷺ – كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذًا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى واحد قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم بدمائهم، و لم يصل عليهم، و لم يغسلوا.).[2]

وتوجه النبي – ﷺ – بعد ذلك إلى الله بالدعاء والثناء ، فقال ﷺ: (اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم الغلبة، والأمن يوم الخوف، اللهم عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا نادمين ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسولك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق).[3]

ثم عاد النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أصحابه إلى المدينة المنورة.

---

[1] – نفس المصدر 109/3. قال الألباني في تخريج فقه السيرة ص270: أخرجه أحمد، وابن هشام كلاهما من طريق ابن اسحاق بسند صحيح.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4079.

[3] – مجمع الزوائد 121/6، 122 وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

ومر بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله – ﷺ – ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلَلٌ –تريد صغيرة–.[1]

ومن الذين استشهدوا وقتلوا في معركة أحد:

– حمزة ﷺ أسد الله ورسوله:

قال وحشي: (إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر. قال: فلما أن خرج الناس عام عينين – وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه واد – خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز ؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع، يا بن أم أنمار، مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله – ﷺ – ؟ قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّتِه[2]حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به.

فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رسولا، فقيل لي: إنه لا يهيج الرُّسُل.[3] قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله – ﷺ – فلما رآني قال: آنت وحشي ؟ قلت: نعم. قال: أنت قتلت حمزة ؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني ؟ قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله – ﷺ – فخرج، مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن

---

[1] – سيرة ابن هشام 3/110–111.رواه ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص وسنده حسن وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليسه.أنظر صحيح السيرة النبوية ص 235.

[2] – أي في عاتقه.

[3] – أي لا يصيبهم ما يكرهون.

إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة. قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق[1] ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.).[2]

وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال – بعد انتهاء المعركة –: (من رأى مقتل حمزة ؟ فقال رجل: أعزك الله أنا رأيت مقتله. فانطلق فوقف على حمزة فرآه قد شق بطنه وقد مثل به، فقال يا رسول الله: قد مُثِّل به. فكره رسول الله – ﷺ – أن ينظر إليه، ووقف بين ظهراني القتلى وقال: أنا شهيد على هؤلاء، لفُّوهم بدمائهم، فإنه ليس مجروح يجرح في سبيل الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يدما لونه لون الدم وريحه ريح المسك، قدموا أكثرهم قرآنا واجعلوه في اللحد.).[3]

وقال الزبير بن العوام – رضي الله عنها –: (إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى كادت تشرف على القتلى، قال: فكره النبي – ﷺ – أن تراهم، فقال: المرأة، المرأة. قال الزبير: فتوسمت أنها صفية، فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، فلدمت[4] في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك عني لا أرض لك. فقلت: إن رسول الله – ﷺ – عزم عليك. قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله، فكفنوه فيهما. قال: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فُعل به كما فُعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحنى أن يكفن

---

[1] – أي رمادي اللون.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3764.

[3] – قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 172/6.

[4] – أي دُفعت.

حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له).[1]

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما — (أن رسول الله – ﷺ – قدم يوم أحد فسمع نساء من بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهن، فقال: لكن حمزة لا بواكي له. فجئن نساء الأنصار يبكين على حمزة عنده، فاستيقظ رسول الله – ﷺ– وهن يبكين، فقال: يا ويحهنَّ أنتنَّ هاهنا تبكين حتى الآن، مروهنَّ فليرجعن، ولا يبكين على هالك بعد اليوم.).[2]

– مصعب بن عمير رضي الله عنه:

قال خباب – رضي الله عنه –: (هاجرنا مع النبي – ﷺ – نلتمس وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا، منهم مصعب بن عمير، ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها[3]، قتل يوم أحد، فلم نجد ما نكفنه إلا بردة، إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فأمرنا النبي – ﷺ – أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الإذخر.).[4]

ومن حديث عبد الرحمن بن عوف: (أنه أتي بطعام وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير، وكان خيرا مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة، أو رجل آخر، خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، لقد خشيت أن

---

[1]- رواه أحمد في مسنده 12/3.وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[2] – رواه أحمد في مسنده 43/8.وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وصحيح ابن ماجة رقم 1303 وقال الألباني: حسن صحيح.

[3] – يهدبها: أي يقطفها.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1276.

يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا. ثم جعل يبكي.).[1]

– سعد بن الربيع ﷺ:

روى ابن اسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أن رسول الله – ﷺ – قال: (من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد. فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله – ﷺ – أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله – ﷺ – عني السلام، وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم – ﷺ – ومنكم عين تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات، قال: فجئت رسول الله – ﷺ– فأخبرته خبره.).[2]

– عبد الله بن جحش ﷺ:

قال سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – فيما رواه ابن اسحاق: (إن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقّني رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه. فأمن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديدًا حرده، شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا، قلت: من جدع أنفك وأذنك ؟ فأقول: فيك وفي

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1274.

[2] – قال ابن حجر في الإصابة 3/58-59: رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد، قال أبو عمر في التمهيد لا أعرفه مسندا وهو محفوظ عند أهل السير وقد ذكره بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني قلت: وفي الصحيح من حديث أنس ما يشهد لبعضه وحكى ابن الأثير أن الرجل الذي ذهب إليه هو أبي بن كعب".

رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط.).[1]

– حنظلة بن أبي عامر ﷺ (غسيل الملائكة):

عن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – قال: (سمعت رسول الله – ﷺ – يقول عن قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله فقال رسول الله – ﷺ –: إن صاحبكم تغسله الملائكة فسألوا صاحبته. فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة[2] وهو جنب. فقال رسول الله – ﷺ –: لذلك غسلته الملائكة.).[3]

– عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ:

لقد طلب عبد الله بن حرام – رضي الله عنه – من ولده جابر – رضي الله عنه – أن يخلفه في بناته ويبقى معهن لأن نفسه تاقت للشهادة في سبيل الله. فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: (لما حضر أُحد، دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي – ﷺ –، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله – ﷺ –، فإن علي دينا، فاقض، واستوص بأخوتك خيرا. فأصبحنا، فكان أول قتيل، ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هنية، غير أذنه).[4]

---

[1] – رواه الحاكم في مستدركه _تحقيق الوادعي-96/2وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد 497/9.

[2] – صوت النفير للحرب.

[3] – السلسلة الصحيحة رقم 326 للألباني وحسنه.قال النووي في الخلاصة 933/2: روي مرسلا ومتصلا وإسناده جيد.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1351.

قال جابر – رضي الله عنه –: (جيء بأبي إلى النبي – ﷺ – وقد مُثِّل به، ووضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه، فنهاني قومي، فسمع صوت صائحة، فقيل: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، فقال: لم تبكي – أو: لا تبكي – ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها.).[1]

وعنه – رضي الله عنه – أن النبي– ﷺ – قال: (يا جابر ما لي أراك منكسرا ؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالا ودينا. قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجابه وأحيى أباك فكلمه كفاحا. فقال: يا عبدي تمنَّ عليَّ أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون. فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[آل عمران: 169].[2]

– عمرو بن الجموح ﷺ:

عن أبي قتادة – رضي الله عنه – قال: (أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله – ﷺ – فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة– وكانت رجله عرجاء– ؟ فقال رسول الله – ﷺ –: نعم.

فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر عليه رسول الله – ﷺ – فقال: كأني أنظر إليه يمشي برجله هذه صحيحة في الجنة. فأمر رسول الله – ﷺ – بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد).[3]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2816.

[2] – صحيح الترمذي رقم 3010 للألباني وحسنه.

[3] – قال الهيثمي في مجمع الزوائد 318/9: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة.

- **أبو حذيفة بن اليمان ﷺ وثابت بن وقش ﷺ:**

روى ابن إسحاق فقال: (لما خرج رسول الله – ﷺ – إلى أحد رفع حُسيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الآطام[1] مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار[2]، إنما نحن هامة اليوم أو غد[3]، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله – ﷺ –، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله – ﷺ – ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس و لم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي. فقالوا: والله إن عرفناه، وصدقوا، قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فأراد رسول الله – ﷺ – أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله – ﷺ – خيرًا).[4]

- **الأصيرم دخل الجنة ولم يصل قط:**

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: (أن عمرو بن أقيش كان له ربا في الجاهلية فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمي ؟ قالوا: بأحد. قال: أين فلان ؟ قالوا: بأحد. قال: فأين فلان ؟ قالوا: بأحد. فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو. قال: إني قد آمنت. فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحا فجاءه سعد بن معاذ فقال لأخته: سليه حمية لقومك أو غضبا لهم أم غضبا لله ؟ فقال: بل غضبا لله ولرسوله. فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة).[5] وفي رواية: (ذكروه لرسول الله فقال:

---

[1] – أي الحصون.

[2] – ظمأ حمار: أي مقدار ما بين شربتي حمار.

[3] – أي نموت اليوم أو غدا.

[4] – السيرة النبوية لابن هشام 98/3.قال ابن حجر العسقلاني في الدراية 266/2 : إسناده حسن.

[5] – صحيح أبي داود رقم 2537 للألباني وحسنه.

إنه من أهل الجنة.).[1]

أثر معركة أُحد:

إن معركة "أحد" تركت آثاراً غائرة في نفس النبي- عليه الصلاة والسلام - ظلت تلازمه إلى آخر عهده بالدنيا.

في هذا الجبل الداكن الجاثم حول "يثرب" أودع محمد - صلى الله عليه وسلم - أعزّ الناس عليه وأقربهم إلى قلبه.

فالصفوة النقية التي حملت أعباء الدعوة، وعادت في سبيل الله الأقربين والأبعدين، واغتربت بعقائدها قبل الهجرة وبعدها، أنفقت وقاتلت، وصبرت وصابرت، هذه الصفوة اختط لها القدر مثواها الأخير في هذا الجبل الأشم، فتوسدت ثراه راضية مرضية. وكان رسول الله يتذكر سِيَر أولئك الأبطال ومصائرهم فيقول: (أُحُدٌ جبل يحبنا ونحبه).[2]

فلما حانت وفاته جعل آخر عهده بذكريات البطولة أن يزور قتلى "أحد" وأن يدعو الله لهم، وأن يعظ الناس بهم.!!

عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: (صلَّى رسول الله - ﷺ - على قتلى "أحد" بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فَرَط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تُشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها.!

---

[1] - قال الهيثمي في مجمع الزوائد 365/9: رواه أحمد ورجاله ثقات. وانظر السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي 154/2-170.

[2] -رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1481. ومسلم في المسند الصحيح 1393 عن أنس رضي الله عنه.

قال عقبة: فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله).[1]

على أن المسلمين دفنوا موجدتهم في أفئدتهم، و لم يستسلموا لأحزان المصاب الذي حل بهم، وكان تكاثر خصومهم حولهم سبباً في أن يقاوموا عوامل الخور، وأن يبدوا للناس بقية من قوة ترد عنهم كيد المتربصين. على نحو ما قال الشاعر:

وتجلدي للشامتين أريهم

أني لريبِ الدهر لا أتضعضع

وقد كانت الهزيمة في "أحد" فرصة انتهزها المنافقون واليهود، وكل ذي غَمْر على محمد – عليه الصلاة والسلام – ودينه وأصحابه، ففارت المدينة كالمرجل المتقد، وكشف عن عداوته من كان قبلاً يواريها، وتحدث الكافرون بالإسلام عن خذلان السماء للنبيِّ المرسل من عند الله.

فرأى الرسول – ﷺ – أن يعيد تنظيم رجاله على عجل، وأن يتحامل الجريح مع السليم على تكوين جيش جديد، يخرج في أعقاب قريش ليطاردها ويمنع ما قد يجد من تكرار عدوانها.![2]

غزوة حمراء الأسد:

كانت وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال من السنة الثالثة من الهجرة كما تقدم، فلما كان من الغد يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله – ﷺ– في الطلب للعدو، وعهد رسول الله أن لا يخرج معه أحد إلا من حضر المعركة يوم أحد، فاستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في الخروج معه ففسح له في ذلك، فخرجوا على ما بهم من الجهد والجراح، وإنما خرج عليه الصلاة والسلام مرهبا للعدو ومتجلدا، فبلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، ومر برسول

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4042.

[2] – فقه السيرة للغزالي ص 271-272.

الله – ﷺ – معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة عيبة نصح[1] لرسول الله – ﷺ – مسلمهم وكافرهم، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يامحمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك.

ثم خرج حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله – ﷺ – وأصحابه وقالوا: أصبنا حد أصحابه وقافيتهم ثم ترجع قبل أن نستأصلهم ؟ فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ماوراءك يامعبد ؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ماصنعوا. قال: ويلك ماتقول ؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. فساء ذلك أبا سفيان ومن معه. ومر ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون ؟ قالوا: نريد المدينة للميرة. قال: فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة وأحملكم هذه غدا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم.

فمر الركب برسول الله – ﷺ – وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان. فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. وفي الصحيح عن ابن عباس– رضي الله عنهما – قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار. وقالها محمد – ﷺ – حين قالوا له: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا. وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل).

وفيه عن عائشة – رضي الله عنها –: ﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ [آل عمران الآية: 178].

قال عروة قالت عائشة – رضي الله عنها –: (يا بن أختي كان منهم أبوك الزبير وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب فانصرف عنه المشركون وخاف أن

[1] – عيبة نصح الرجل: مكمن سره.

يرجعوا فقال: من يذهب في أثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير).[1]

فأقام رسول الله – ﷺ – بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه الصلاة والسلام بمخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص فأمر بضرب عنقه صبرا.[2]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4077.

[2] – مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 286-287. وانظر زاد المعاد 241/3-242. وسيرة ابن هشام 112/3-113و133- 134. وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 464/2.

أحداث ووقائع بين غزوة أحد وغزوة الخندق

سرية أبي سلمة:

كانت وقعة أحد يوم السبت في سابع شوال سنة ثلاث كما تقدم، فرجع رسول الله – ﷺ – إلى المدينة، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم، فلما استهل هلال المحرم، بلغه أن طلحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوان بني أسد بن خزيمة إلى حرب رسول الله صَلَّى – ﷺ– ، فبعث أبا سلمة، وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار والمهاجرين، فأصابوا إبلاً، وشاء، ولم يلقوا كيداً، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة.[1]

سرية عبد اللهِ بن أُنَيس:

لما كان خامِسُ المحرَّم، بلغه أنَّ خالدَ بنَ سُفيان بن نُبَيْح الهُذَلي قد جمع له الجموع، فبعث إليه عبدَ اللهِ أُنَيس فقتله، قال عبد المؤمن بن خلف: وجاءَه برأسه، فوضعه بين يديه، فأعطاه عصاً، فقال: (هذه آية بيني وبينك يوم القيامة)، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه في أكفانه، وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم.[2]

---

[1] – زاد المعاد 243/3.

[2] – نفس المصدر 243/3-244.

مأساة يوم الرجيع:

في صفر من السنة الرابعة للهجرة طلبت "عضل" و"القارة" نفرا من المسلمين ليعلموهم، فأوفد الرسول نفرا من أصحابه يفقهوهم في الدين، ويقرئوهم القرآن، ويعلموهم شرائع الإسلام، منهم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البكير الليثي، وعاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق.[1]
فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (بعث النبي – ﷺ – سرية عينًا وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت – وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب – فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسفان ومكة ذُكروا لحيّ من هُذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا مترلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزوّدوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب. فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجئوا إلى فَدْفَد[2]، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللّهم أخبر عنّا نبيك. فقاتلوهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيّهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر. فأبى أن يصحبهم فجرّوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبًا بنو الحرث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحرث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى[3] من بعض بنات الحرث ليستحد بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله ؟ ما

---

[1] – سيرة ابن هشام 187/3-188.

[2] – رابية مشرفة.

[3] – أي سكينا.

كنت لأفعل ذاك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقًا رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين. ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت. فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللَّهم احصهم عددًا. ثم قال:

فلستُ أُبَالِي حينَ أُقْتَلُ مسلمًا

على أي شقّ كَانَ لله مصرعي

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأْ

يُبارك على أوصالِ شِلوٍ ممزّع

ثم قام إليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلَّة من الدَّبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء).[1]

فاجعة بئر معونة:

وفي نفس الشهر والسنة وقعت فاجعة بئر معونة، وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك المدعو ملاعب الأسنة قدم على رسول الله – ﷺ – المدينة فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم و لم يبعد فقال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم. فقال النبي – ﷺ-: إني أخاف عليهم أهل نجد. فقال أبو براء : أنا جار لهم.

فبعث معه أربعين رجلا في قول ابن إسحاق. وفي الصحيح (أنهم كانوا سبعين) والذي في الصحيح هو الصحيح. وأمر عليهم المنذر بن عمرو – أحد بني ساعدة الملقب بالمعنق ليموت – وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4086.

وقرائهم فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، فنزلوا هناك ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله – ﷺ – إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه وأمر رجلا فطعنه بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال: (فزت ورب الكعبة).[1]

ثم استنفر عدو الله لفوره بني عامر إلى قتال الباقين فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء، فاستنفر بني سليم، فأجابته عُصيَّة ورعل وذكوان، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله – ﷺ –، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار، فإنه ارتُثَّ[2] بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق.

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة، فنزل المنذر بن محمد، فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه، وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبر أنه من مضر جز عامر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه، ورجع عمرو بن أمية، فلما كان بالقرقرة من صدر قناة[3] نزل في ظل شجرة وجاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه، فلما ناما فتك بهما عمرو وهو يرى أنه قد أصاب ثأرا من أصحابه، وإذا معهما عهد من رسول الله – ﷺ – لم يشعر به، فلما قدم أخبر رسول الله – ﷺ– بما فعل فقال: (لقد قتلت قتيلين لأدينهما).[4]

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (دعا النبي – ﷺ – على الذين قتلوا – يعني أصحابه – ببئر معونة ثلاثين صباحا حين يدعو على رعل

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4092.

[2] – أي رفع وبه جراح.

[3] – قرقرة الكدر: موضع بناحية المعدن قريب من الأحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد، وقناة واد يأتي من الطائف، ويصيب في الارحضية وقرقرة الكدر.

[4] – زاد المعاد 246/3-247-248. وانظر سيرة ابن هشام 204 إلى 207. وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 496/2 إلى 505. وإمتاع الأسماع 181/1 إلى 184.

ولحيان وعصية عصت الله ورسوله – ﷺ – قال أنس: فأنزل الله تعالى لنبيه – ﷺ – في الذين قتلوا أصحابَ بئر معونة قرآنا قرأناه حتى نسخ بعد: " بلغوا قومنا فقد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه"). [1]

غزوة بني النضير وإجلاؤهم من المدينة:

قال ابن إسحاق وغيره: وكانت في سنة أربع، وفي البخاري عن عروة قال: كانت غزوة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر. [2]

وكان سببها: أن عمرو بن أمية الضمري لما أعتقه عامر بن الطفيل كما تقدم خرج عمرو إلى المدينة، فصادف في طريقه رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله – ﷺ – لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو: من أنتما؟ فذكرا له أنهما من بني عامر، فتركهما حتى ناما فقتلهما، وظن أنه قد ظفر ببعض ثأر أصحابه.

فلما قدم أخبر رسول الله – ﷺ – فقال: لقد قتلت قتيلين لأدينهما.

ثم خرج رسول الله – ﷺ – إلى بني النضير يستعين بهم في دية ذينك القتلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية للجوار الذي كان عقده لهما، فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم قالوا: يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال.

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4095. ومسلم في المسند الصحيح رقم 677.

[2] – قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – في زاد المعاد 249/3 : "زعم محمد بن شهاب الزهري، أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر: هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية، وكان له مع اليهود أربع غزوات، أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: بني النضير بعد أحد، والثالثة: قريظة بعد الخندق، والرابعة: خيبر بعد الحديبية ".

وكان النبي – ﷺ – إلى جنب جدار من بيوتهم. فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت قيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ؟.

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش فقال: أنا لذلك.

فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه.

وأتى رسول الله – ﷺ – الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام مظهرا أنه يقضي حاجة وترك أصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا إلى المدينة.

واستبطأ النبي – ﷺ – أصحابه فقاموا إليه حتى انتهوا إليه فأخبر بما أراد يهود.

وأنزل الله في ذلك ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ** ﴾[المائدة الآية:11]. فأمر رسول الله – ﷺ – بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم، فتحصنوا منه في الحصون، فقطع النخل وحرقها وخرب، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها.

قال أهل التأويل: وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله ﴿ **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [الحشر الآية:5].

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي بن سلول بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم فتربصوا. فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم، فسألوا رسول الله – ﷺ – أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم.

وفي الصحيح من حديث ابن عمر- رضي الله عنه — أن النبي - ﷺ - حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة. وفي رواية فأنزل الله ﴿ **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا** ﴾ الآية.

فقال لهم رسول الله - ﷺ -: اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة. فترلوا على ذلك، وكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم، ثم أجلاهم عن المدينة وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير. فاحتملوا بأهليهم إلى خيبر، ومنهم من صار إلى الشام.

وكان ممن صار إلى خيبر أكابرهم كحيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق، فدانت لهم خيبر، فقسم رسول الله - ﷺ - أموال بني النضير بين المهاجرين خاصة، إلا أنه عليه السلام أعطى أبا دجانة وسهيل بن حنيف، وكانا فقيرين. وفي قصة بني النضير نزلت سورة الحشر، ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان يامين بن عمرو وأبو أسيد بن وهب أسلما فأحرزا أموالهما.

وقبض رسول الله - ﷺ - الأموال ولم يقسم منها لأحد، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب، فقسمها بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قد قاسموهم الأموال والديار، وكانت بنو النضير لرسول الله - ﷺ - خاصة يضعها حيث شاء كما في الصحيحين من حديث عمر في قصة اختصام علي وعباس عند عمر فيما أفاء الله على رسوله من بني النضير، وفيه أن عمر - رضي الله عنه- قال: إن الله كان خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحد غيره فقال ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ** ﴾[الحشر الآية:6].فكانت هذه خالصة لرسول الله - ﷺ . وفي رواية البخاري: وكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله.[1]

[1] - مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 291-292-293. وانظر سيرة ابن هشام 210 إلى 214.

غزوة ذات الرقاع:

ثم كانت غزوة ذات الرقاع: وسميت بذلك لأنها كانت عند جبل فيه بُقع حمر وبيض وسود كأنها رقاع، وقيل: سميت بذلك لأنها رقعوا راياتهم، ويقال أيضا: ذات الرقاع شجرة بذلك الموقع يقال لها ذات الرقاع. وأصح الأقوال ما رواه البخاري[1] عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال: (خرجنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا).[2]

واختلف فيها متى كانت ؟ فذكر ابن إسحاق: أنها بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع، وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس، قال في فتح الباري: قد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، واستدل لذلك بأمور، ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا أدري هل تعمد ذلك تسليما لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها، أو أن ذلك من اختلاف الروايات عنه، أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما أشار به البيهقي. على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها، قال: والذي ينبغي الجزم به أنها كانت بعد غزوة بني قريظة، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع، فدل على تأخرها بعد الخندق.[3]

لقد غزا رسول الله – ﷺ – نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال عثمان بن عفان.

---

[1] – إمتاع الأسماع 1/ 191.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4128 .

[3] – مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 294.

ونزل نخلا[1] فلقي بها جمعا عظيما من غطفان، فتقارب الناس و لم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعضا، حتى صلى رسول الله - ﷺ - بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.[2] فعن جابر — رضي الله عنه - قال: (خرج النبي - ﷺ - إلى ذات الرقاع من نخل، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتال، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلى النبي - ﷺ - ركعتي الخوف).[3]وكان قد خرج في أربعمائة من أصحابه، وقيل:سبعمائة.[4]

وفي هذه الغزوة وقعت بعض الأحداث والمواقف منها :

فعن جابر - رضي الله عنه — : (أنه غزا مع رسول الله - ﷺ - قبل نجد، فلما قفل رسول الله - ﷺ - قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه[5] فنزل رسول الله - ﷺ - وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله -ﷺ - تحت سمرة فعلق بها سيفه قال جابر: فنمنا نومة ثم إذا رسول الله - ﷺ - يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله - ﷺ -: إن هذا اخترط سيفي، وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني. قلت: الله. فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله - ﷺ -).[6]

وعنه أيضا قال: (خرجنا مع رسول الله - ﷺ - في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله - ﷺ- قافلا، أتى زوجها وكان غائبا؛ فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يُهرِيق في أصحاب محمد - ﷺ - دما، فخرج يتبع أثر رسول الله - ﷺ -، فنزل رسول الله - ﷺ -

---

[1] - موضع بنجد من أرض غطفان.

[2] - سيرة ابن هشام 225/3-226.

[3] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4125.

[4] - زاد المعاد 250/3.

[5] - كثير الشجر قيل فيه شوك.

[6] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4134. ومسلم في المسند الصحيح رقم 843.

منزلا، فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا : نحن يا رسول الله. قال: فكونا بفم الشعب. وكان رسول الله – ﷺ – وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي،– وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام–. فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكه، أوله أم آخره ؟ قال: بل اكفني أوله. فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي؛ وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[1] القوم. فرمى بسهم فوضعه فيه، فنزعه ووضعه، فثبت قائما؛ ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، وثبت قائما؛ ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهب[2] صاحبه. فقال: اجلس فقد أثبتُّ. فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به فهرب. ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك ؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع علي الرمي ركعت فأذنتك، وأيم الله لولا أن أضيع ثغرا أمرني رسول الله – ﷺ – بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها).[3]

وعنه أيضا قال: (غزوت مع رسول الله – ﷺ–،–وفي رواية ابن اسحاق: غزوة ذات الرقاع–[4] قال: فتلاحق بي النبي – ﷺ –، وأنا على ناضح لنا قد أعيا، فلا يكاد يسير، فقال لي: ما لبعيرك ؟ قال: قلت: عيي. قال: فتخلف رسول الله – ﷺ – فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي: كيف ترى بعيرك ؟ قال: قلت: بخير، قد أصابته بركتك. قال: أفتبيعنيه ؟ قال:

---

[1] – ربأ للقوم وربأهم: كان لهم ربيئة أي عيناً يرقب لهم.

[2] – أي أيقظ.

[3] – سيرة ابن هشام 230/3-231. قال صاحب كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 427: " رواه البخاري معلقا بصيغة التمريض قائلا: (ويذكر)، وابن إسحاق بإسناد حسن، ورواه غيره من طريقه ".

[4] – سيرة ابن هشام 228/3.

فاستحييت، و لم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلت: نعم. قال: فبعنيه. فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة، قال: فقلت: يا رسول الله، إني عروس، فاستأذنته فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى أتيت المدينة، فلقيني خالي، فسألني عن البعير، فأخبرته بما صنعت فيه، فلامني، قال: وقد كان رسول الله – ﷺ – قال لي حين استأذنته: هل تزوجت بكرا أم. فقلت: تزوجت ثيبا. فقال: هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك. قلت: يا رسول الله، توفي والدي، أو استشهد، ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن فلا تؤدبهنَّ ولا تقوم عليهنَّ، فتزوجت ثيبا لتقوم عليهنَّ وتؤدبهنَّ. قال: فلما قدم رسول الله – ﷺ – المدينة، غدوت عليه بالبعير، فأعطاني ثمنه ورده علي).[1]

غزوة بدر الثانية أو الصغرى:

وقد تقدم أن أبا سفيان قال عند انصرافه من أُحد: موعدكم وإيانا العام القابل ببدر، فلما كان شعبان، وقيل: ذو القعدة، من العام الرابع للهجرة، خرج رسول الله – ﷺ – لموعده في ألف وخمسمائة، وكانت الخيل عشرة أفراس، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فانتهى إلى بدر، فأقام بها ثمانية أيام ينتظر المشركين، وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة، وهم ألفان، ومعهم خمسون فرسا، فلما انتهوا إلى مر الظهران– على مرحلة من مكة– قال لهم أبو سفيان: إن العام عام جدب، وقد رأيت أني أرجع بكم. فانصرفوا راجعين، وأخلفوا الموعد، فسميت هذه بدر الموعد، وتسمى بدر الثانية، وسمى أهل مكة جيشهم جيش السويق، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق.[2]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2967. ومسلم في المسند الصحيح رقم 715.

[2] – زاد المعاد 254/3، وسيرة ابن هشام 231/3-232، شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 535/2 إلى 538، ومختصر سيرة الرسول للنجدي ص 296.

غزوة دومة الجندل:

ثم غزا رسول الله – ﷺ– دومة الجندل في ربيع الأول سنة خمس، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري.[1]

وذلك أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا يريدون أن يدنوا من المدينة، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وهي من دمشق على خمس ليال، وخرج في ألف من المسلمين، ومعه دليل من بني عذرة، يقال له "مذكور"، فلما دنا منهم، إذا هم مغربون، وإذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب، وجاء الخبر أهل دومة الجندل، فتفرقوا، ونزل رسول الله – ﷺ – بساحتهم، فلم يجد فيها أحدا، فأقام بها أياما، وبث السرايا، وفرق الجيوش، فلم يصب منهم أحدا، فرجع رسول الله – ﷺ – إلى المدينة، ووادع في تلك الغزوة عيينة بن حصن.[2]

---

[1] – سيرة ابن هشام 236/3.

[2] – زاد المعاد 255/3-256.

غزوة بني المصطلق
وتسمى غزوة المريسيع

وكانت في شعبان سنة خمس، وسببها: أنه لما بلغه – صلى الله عليه وسلم – أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، يريدون حرب رسول الله – ﷺ –، فبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم له ذلك فأتاهم، ولقي الحارث بن أبي ضرار، وكلمه، ورجع إلى رسول الله – ﷺ –، فأخبره خبرهم، فندب رسول الله – ﷺ – الناس فأسرعوا في الخروج، وخرج معهم جماعة من المنافقين، لم يخرجوا في غزاة قبلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وقيل: أبا ذر، وقيل: نميلة بن عبد الله الليثي، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، وبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله – ﷺ –، وقَتْلُه عينه الذي كان وَجَّهَه ليأتيه بخبره وخبر المسلمين، فخافوا خوفا شديدا، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب، وانتهى رسول الله – ﷺ– إلى المريسيع، وهو مكان الماء، فضرب عليه قبته، ومعه عائشة وأم سلمة، فتهيئوا للقتال، وصف رسول الله – ﷺ – أصحابه، وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله – ﷺ– أصحابه، فحملوا حملة رجل واحد، فكانت النُّصرة، وانهزم المشركون، وقتل من قتل منهم، وسبى رسول الله – ﷺ – النساء والذراري، والنعم والشاء، و لم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد .[1]

أما كون المسلمين لم يلقوا في هذه الغزوة مقاومة شديدة على الرغم من تحشد بني المصطلق واستعدادهم الكامل للمعركة، فلعل هذا يفسر بأمرين:

---

[1] – زاد المعاد 256/3. وانظر سيرة ابن هشام 317/3-318. وإمتاع الأسماع 203/1 إلى205. وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 3/3إلى7.

– **الأول**: علم المسلمين المسبق باحتشاد هذه القبيلة للهجوم على المدينة، واستعداد المسلمين الكامل في هذه الغزوة، وأخذهم الحذر التام.

– **الثاني**: هجوم المسلمين المبكر على هذه القبيلة قبل أن تقوم هي بالهجوم.

ومن المعلوم أن العدو إذا بُوغت في عقر داره على حين غفلة، فإنه تتحطم معنوياته، وتنهار قواه، ويسهل القضاء عليه، ويصاب بالذعر والاندحار، حتى ولو كان قد أعد عدته، وجمع الجموع، كما حصل لهذه القبيلة فإنها قد تهيأت عسكرياً وجمعت جموعها لمهاجمة المدينة المنورة، غير أن المسلمين كشفوا القضية قبل أن تقوم هذه القبيلة بالهجوم، فكان المسلمون هم المهاجمين، ولقنوا هذا العدو درساً كان عبرة له، وردعاً لأمثاله، ممن تسول لهم أنفسهم مهاجمة عاصمة الإسلام (المدينة المنورة).

وهذان الأمران: يفسران عدم لقاء المسلمين أية مقاومة تذكر في هذه الغزوة، إلاَّ ما يحصل عادة من مناوشات ومحاولات يائسة للدفاع عن النفس.[1]

زواج النبي ﷺ من جويرية بعد عتقها:

وقد روت عائشة – رضي الله عنها – فقالت: (لما قسَّم رسول الله – ﷺ – سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس – أو لابن عم له – فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلاَّحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله – ﷺ – تستعينه في كتابتها؛ قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها – ﷺ – ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس – أو لابن عم له –، فكاتبته على نفسي،

[1] – مرويات غزوة بني المصطلق ص 112-113.

فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت: وما هو يا رسول الله ؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله. قال: قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله - ﷺ - قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس أصهار رسول الله - ﷺ -، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها).[1]

لقد كان زواج رسول الله - ﷺ - من جويرية بنت الحارث له أبعاده، وتحققت تلك الأبعاد بإسلام قومها، فقد كان الزواج منها من أهدافه الطمع في إسلام قومها، وبذلك يكثر سواد المسلمين، ويعز الإسلام، وهذه مصلحة إسلامية بعيدة، يسر الله هذا الزواج، وباركه، وحقق الأمل البعيد المنشود من ورائه، فأسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وإسلام أبيها الحارث، فقد عاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة، والدعم المادي والأدبي معًا للإسلام والمسلمين.[2]

المنافقون يتحركون لإثارة الفتنة:

على أن هذا النصر الميسر شابه من أعمال المنافقين ما عكر صفوه وأنسى المسلمين حلاوته،[3] فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: (كنا في غزاة، - وفي رواية:[4] قال سفيان يرون أنها غزوة بني المصطلق - فكسع[5] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري : يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمعها الله رسوله - ﷺ -، قال: ما هذا ؟ فقالوا: كسع رجل من

---

[1] - سيرة ابن هشام 322/3-323.

[2] - انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص199، 200. نقلا عن السيرة النبوية للصلابي 300/2.

[3] - فقه السيرة للغزالي ص286.

[4] - رواه الترمذي في سننه رقم 3315. وقال: حسن صحيح.

[5] - كسع: ضربه برجله.

المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال النبي – ﷺ – : دعوها فإنها منتنة. قال جابر: وكانت الأنصار حين قدم النبي – ﷺ – أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد. فقال عبد الله بن أبي: أو قد فعلوا ؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه).[1]

قال زيد بن الأرقم – رضي الله عنه –: (فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي – ﷺ–، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله – ﷺ – إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله – ﷺ – وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله – ﷺ – ومقتك ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **إذا جاءك المنافقون** ﴾. فبعث إلي النبي – ﷺ – فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد).[2]

لقد حاول عبد الله بن أبي أن يستغل هذا الخلاف البسيط بين المهاجري والأنصاري ليشعل نار الفتنة بين الجماعة الواحدة باسم العصبية المقيتة، ومن خلال ذلك قصد المساس بشخصية النبي – ﷺ –، ومكانته.

فوجد النبي – ﷺ – أن خير علاج لهذا المشكل المفتعل هو شغل الناس عنه حتى يعفّي على آثاره، فأصدر أمره بالارتحال في ساعة ما كان يروح في مثلها،

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4907. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2584. وقريبا من هذه القصة ذكرها ابن هشام في سيرته 3/318-319 .

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4900. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2772.

ومشى بالناس سائر اليوم حتى أمسوا، وطيلة الليل حتى أصبحوا، وصدر يومهم الجديد حتى آذتهم الشمس ثم نزل بهم.

فما إن وجدوا مسَّ الأرض حتى وقعوا نياماً! وتابع الرسول – عليه الصلاة والسلام – رواحه حتى عاد إلى المدينة.[1]

وحين لم يفلح المنافقون في نشر الخلاف بين المسلمين، رموا سهام كيدهم ومكرهم نحو بيت النبوة قاصدين تشويه صورة الرسول – ﷺ – في أعين أتباعه بحَبْك مؤامرة دنيئة تستهدف شرف زوجه الطاهرة الصديقة بنت الصديق عائشة – رضي الله عنها –، وقد قاد هذه الحملة على النبي وبيته من وراء حجاب المنافق عبد الله بن أبي.

حديث وحادثة الإفك:

روت الطاهرة الصديقة عائشة – رضي الله عنها – فقالت:

(كان رسول الله – ﷺ – إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله – ﷺ– معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها[2] فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله – ﷺ – بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي[3] وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله – ﷺ – من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جَزْعِ ظَفَارٍ[4] قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط[5]الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم

---

[1] – فقه السيرة للغزالي ص 287. وانظر سيرة ابن هشام 319/3.
[3] – الهودج: محمل له قبة تستر بالثياب يوضع على ظهر البعير تركب فيه النساء.
[4] – جزع ظفار: هو خرز معروف في سواده بياض كالعروق وهي مدينة باليمن.
[5] – الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة.

يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلهن اللحم، إنما نأكل العُلقة[1]من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السنة فبعثوا الجمل، وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأقمت مترلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة في مترلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي[2] ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج [3] فأصبح عند مترلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه[4]حين عرفني، فخمرت[5] وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين[6] في نحر الظهيرة[7]، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول.

انتشار الإشاعة بين الناس في المدينة:

وقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني[8]أني لا أعرف من رسول الله - ﷺ - اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله - ﷺ - فيسلم ثم يقول: كيف تيكم ؟[9] ثم ينصرف، وذلك الذي يريبني ولا أشعر

---

[1] ا- لعُلقة: البلغة من الطعام.

[2] - صحابي جليل كان صاحب ساقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته.

[3] - فأدلج: بالتشديد، سار آخر الليل.

[4] - أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

[5] - فخمرت: أي غطيت.

[6] - موغرين: الوغرة: شدة الحر.

[7] - نحر الظهر: أولها وهو وقت شدة الحر.

[8] - يريبني: يشككني.

[9] - كيف تيكم: وهي للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

بالشر حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قِبَل المناصع[1]، وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف[2] قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رُهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة[3]، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها[4]، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرًا ؟ قالت: أي هنتاه[5] أَوَلَمْ تسمعي ما قال ؟ قلت: وما قال ؟ فأخبرتني بخبر أهل الإفك فازددت مرضًا على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسول الله – ﷺ – تعني فسلَّم– ثم قال: كيف تيكم ؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويَّ ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قِبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله – ﷺ، فجئت أبويَّ فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة[6] عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها[7]، قالت: فقلت: سبحان الله لقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع[8] ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي.

رسول الله ﷺ يستشير بعض أصحابه:

فدعا رسول الله – ﷺ – علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – حين استلبث[9] الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة فأشار

---

[1]– المناصع: المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة.
[2] –الكنف: جمع كنيف: المكان الساتر.
[3] –مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، توفي في خلافة عثمان.
[4] – فعثرت في مرطها: أي وطئته برجلها فسقطت.
[5] – هنتاه: يا بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكائد الناس وشرورهم.
[6] – وضيئة: الوضاءة: الحسن والبهجة.
[7] – إلا أكثرن عليها: أي القول في عيبها.
[8] – لا يرقأ لي دمع: لا ينقطع ولا يسكت.
[9] – استلبث: وهو الإبطاء والتأخر.

على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرًا. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله – ﷺ — بريرة، فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرًا أَغْمصه[1] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن[2]فتأكله. فقام رسول الله فاستعذر[3]يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله – ﷺ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً[4] ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي. فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

فتنة بسبب حديث الإفك:

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج – وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا ولكن احتملته الحمية[5]– فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: لنقتلنَّه فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتثاور الحيان،[6] الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله – ﷺ – قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله – ﷺ – يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

[1] – أغمصه عليها: أي أعيبها به وأطعن بها عليه.
[2] – الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.
[3] – فاستعذر: أي قال: من يقوم بعذري إن كفأته على سوء صنيعه.
[4] – هو صفوان بن المعطل السلمي.
[5] – احتملته الحمية: أي حملته الأنفة والغضب على الجهل.
[6] – فتثاور الحيان: أي تناهضوا للنزاع والعصبية.

قالت: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا، لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله – ﷺ – فسلم ثم جلس، قالت: و لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها.

الرسول ﷺ يستفسر عائشة وردها عليه:

وقد لبث الوحي شهرًا[1] لا يوحى إليه في شأني قالت: فتشهد رسول الله – ﷺ – حين جلس ثم قال: أما بعد: يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا،[2]فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. فلما قضى رسول الله – ﷺ – مقالته قَلُصَ[3]دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله – ﷺ – عني فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله – ﷺ –، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله – ﷺ –، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله – ﷺ – قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقن، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف[4]قال: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾[يوسف الآية: 18]. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزلٌ في شأني وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله – ﷺ – في

---

[1] – التقييد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويها.
[2] – كناية عما رميت به من الإفك.
[3] – قلص دمعي: أي ارتفع وذهب.
[4] – هو يعقوب عليه السلام.

النوم رؤيا يبرئني الله بها.

الوحي ينزل ببراءة عائشة:

قالت: فوالله ما رام[1] رسول الله – ﷺ – ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البُرحَاء[2] حتى أنه ليتحدر منه مثل الجُمَان[3] من العرق، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي يَنْزِل عليه.

قالت: فلما سُرِّي[4] عن رسول الله – ﷺ– سُري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة، أما الله – عز وجل– فقد برأك. فقالت أمي: قومي إليه. قالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله – عز وجل–. وأنزل الله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ، لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ، وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ، وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ، وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[النور الآية: 11-20].

---

[1] – ما رام: ما برح وما فارق مجلسه.

[2] – البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي.

[3] – الجمان: اللؤلؤ الصغار وقيل حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ.

[4] – سُري: انكشف عنه ما يجده من الهم والثقل.

ردة فعل أبي بكر الصديق ﷺ:

فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿ **وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[النور الآية: 22].

قال أبو بكر: بلى، والله إني أحب أن يغفر الله لي. فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. قالت عائشة: وكان رسول الله - ﷺ- يسأل زينب بنت جحش[1] عن أمري فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي[2] سمعي وبصري، وما علمت إلا خيرًا. قالت: وهي التي كانت تساميني[3] من أزواج رسول الله - ﷺ - فعصمها الله[4] بالورع[5] وطفقت[6] أختها حمنة[7] تحارب لها، فهلكت ممن هلك من أصحاب الإفك).[8]

---

[1] - هي زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها وهي بنت عمته رضي الله عنها.
[2] - أحمي سمعي وبصري: أي أمنعهما من العذاب بسبب الكذب.
[3] - تساميني: أي تعاليني وتفاخرني، أي تطاولني عنده صلى الله عليه وسلم.
[4] - ومعنى عصمها: حفظها ومنعها.
[5] - الورع: الكف عن المحارم والتحرج منها.
[6] - طفقت: شرعت.
[7] - حمنة بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم وهي أخت زينب رضي الله عنهما.
[8] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4750. وانظر السيرة النبوية للصلابي 2/311-318.

غزوة الأحزاب (الخندق)

وقعت غزوة الأحزاب في شهر شوال من السنة الخامسة كما ذهب إلى ذلك جمهور أهل السير والمغازي،[1] وتسمى أيضا: غزوة الخندق.

وسببها:

أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك، ثم رجع للعام المقبل، خرج أشرافهم، كسلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله – ﷺ –، ويؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا في قبائل العرب، يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مرة، وجاءت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن.

وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف.

فكرة حفر الخندق للدفاع:

فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه، استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان الفارسي[1] بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة، فأمر به رسول الله – ﷺ –،

---

[1] – السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص443. والسيرة النبوية الصحيحة للعمري 418/2. قال ابن القيم في زاد المعاد 269/3: " كانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين، إذ لا خلاف أن أحدا كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل، وهو سنة أربع، ثم أخلفوه لأجل جدب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس، جاؤوا لحربه، هذا قول أهل السير والمغازى. وخالفهم موسى بن عقبة وقال: بل كانت سنة أربع".

فبادر إليه المسلمون، وعمل بنفسه فيه، وبادروا هجوم الكفار عليهم، وكان في حفره من آيات نبوته، وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به، وكان حفر الخندق أمام سلع، وسلع: جبل خلف ظهور المسلمين، والخندق بينهم وبين الكفار.

وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فتحصن بالجبل من خلفه، وبالخندق أمامهم.[2]

الرسول ﷺ مع أصحابه يعملون في حفر الخندق:

فعن سهل بن سعد – رضي الله عنه – قال : (كنا مع رسول الله في الخندق، وهم يحفرون، ونحن ننقل التراب على أكتادنا، فقال رسول الله – ﷺ- : اللهم لا عَيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار).[3]

وعن أنس – رضي الله عنه –: (خرج رسول الله – ﷺ – إلى الخندق فإذا المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة

فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً

على الجهاد ما بقينا أبداً)[1]

---

[1] – قصة إشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه على النبي ﷺ بحفر الخندق مشهورة لكنها لم ترد بسند صحيح. قال العمري في السيرة النبوية الصحيحة 420/2: " أقدم من أشار إلى ذلك أبو معشر السندي (ت 171) بدون إسناد (فتح الباري 393/7) والواقدي: المغازي 445/2 بدون إسناد، وسيرة ابن هشام 224/2 ". وانظر أيضا: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 446.

[2] – زاد المعاد 270/3-271. وانظر سيرة ابن هشام 238/3، ومختصر سيرة الرسول للنجدي ص 314.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4098.

وعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال : (رأيته – صلى الله عليه وسلم – ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى رغبوا علينا

وإن أرادوا فتنة أبينا

قال : ثم يمد بها صوته بآخرها). وفي رواية:

إن الألى قد بغوا علينا

وإن أرادوا فتنة أبينا[2]

اجتهاد وتفان في العمل رغم البرد والجوع:

ورغم البرد القارص، والجوع الشديد، فإن الصحابة عملوا بجد ونشاط في حفر الخندق. قال أنس – رضي الله عنه – : (جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم ، وهم يقولون:

نـــحن الذين بايعوا محمدا

على الإسلام ما بقينا أبدا.

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4099.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4104.

قال : يقول النبي – ﷺ –، هو يجيبهم : اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجره. قال: يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم بإهالة سنخة[1]، توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق، ولها ريح منتن).[2]

وقال أبو طلحة — رضي الله عنه – : (شكونا إلى رسول الله – ﷺ – الجوع، فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله – ﷺ– عن حجرين).[3]

وقد لاحظ جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – شدة أثر الجوع على النبي – ﷺ – فحاول من فرط حبه له أن يؤثره بشيء من الطعام القليل الذي لا يكفي أكثر من ثلاثة أشخاص، قال – رضي الله عنه – : (إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة[4]، فجاءوا النبي – ﷺ – فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال : أنا نازل. ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا، فأخذ النبي – ﷺ – المعول فضرب الكدية، فعاد كثيبا أهيل، أو أهيم، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت. فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي – ﷺ – شيئا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء ؟ قالت: عندي شعير وعناق. فذبحت العناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي – ﷺ– والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج، فقلت: طعم لي، فقم أنت يا رسول ورجل أو رجلان. قال: كم هو ؟ فذكرت له ، قال: كثير طيب. قال: قل لها: لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التنور حتى آتي. فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار،

[1] – الإِهالة : كل شيء من الأدهان مما يؤتدم به، والسنخة : المتغيرة الريح ، والمقصود : الدهن المتغير.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4100.

[3] – رواه الترمذي في سننه رقم 2370 وقال العراقي في تخريج الإحياء 443/2: رجاله تقات. وقال المنذري في الترغيب والترهيب: 172/4: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

[4] – الكدية: الصخرة العظيمة.

فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي - ﷺ - بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك ؟ قلت: نعم. فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا. فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم يترع، فلم يزل يكسر الخبز، ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة).[1]

التبشير بفتح الشام وفارس واليمن:

وقد عرضت للمسلمين وهم يحفرون الخندق صخرة - كما تقدم في الحديث - لم تقدر المعاول وصلابة الرجال على تحطيمها، فشكى بعضهم أمرها للنبي - ﷺ -، قال البراء - رضي الله عنه -: (لما كان حين أمرنا رسول الله - ﷺ- بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا نأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النبي - ﷺ -، فجاء فأخذ المعول فقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: الله أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر، أُعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة وقال : بسم الله. فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أُعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة.).[2]

اشتداد الحصار على المسلمين وخيانة اليهود:

لقد اشتد البلاء على المسلمين في هذه الغزوة بالذات؛ لأن قريشاً جاءت بحلفائها كما جاءت غطفان بكل قوادها وحلفائها مستهدفين استئصال الإسلام والمسلمين، وفي أثناء الاستعداد لهذه الجموع الزاحفة جاء عدو الله حيي بن أخطب، وهو أحد الأعضاء الذين حزَّبوا الأحزاب، إلى كعب بن أسد رئيس

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4101.

[2] - قال ابن حجر في الفتح 397/7: إسناده حسن وعزاه إلى أحمد والنسائي.

القبيلة الباقية من اليهود وهي قبيلة بني قريظة وجادله على نقض العهد وفتله في الذروة والغارب حتى وافق على ذلك بشروط تقبلها عدو الله حيي بن أخطب.

وبنو قريظة كما هو معروف كانوا يسكنون في العوالي أي في الجنوب الشرقي من المدينة على وادي مهزور[1] إذن فهم يعتبرون خلف المسلمين ويكونون أخطر على هذه الحال لأن الضربة من الوراء تؤثر أكثر حيث أن المسلمين يستعدون ومستحفزون لأعدائهم الذين أمامهم، ولكن الله نصر المسلمين، وخذل أعداءه وأعداءهم، وقد وصف الله سبحانه وتعالى ذلك البلاء وتلك الشدة التي أتت على المسلمين، و لم يأت عليهم مثلها، حيث قال سبحانه:

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ [الأحزاب الآية: 9 – 10].

وقال تعالى مبيناً مظاهرة[2]وموافقة اليهود (بني قريظة) للأحزاب: **﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ[3]وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾**[الأحزاب الآية : 25 – 26].[4] وقد أرسل الرسول – ﷺ – الزبير بن العوام إلى بني قريظة للاستطلاع، فلما رجع قال له:

---

[1] – مهزور وقيل مهزوز واد بالمدينة كان يسمى وادي قريظة كان يسيل بماء المطر يهبط من مفرق حرة واقم ثم يسيل ويصب في وادي بطحان. معجم البلدان 234/5.

[2] – أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. تفسير القرآن العظيم 478/3.

[3] – صياصيهم أي حصونهم والأصل في الصياصي هي قرون البقر ومنه قيل للحصون (الصياصي). النهاية في غريب الحديث 67/3.

[4] – أنظر مرويات غزوة الخندق ص 235-236. وانظر سيرة ابن هشام 243/3-244. وزاد المعاد 271/3-272.

(فداك أبي وأمي)[1] وقال: (لكل نبي حواريا وحواري الزبير)[2] ثم أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فمضيا إلى بني قريظة فوجداها قد نقضت العهد ومزقت الصحيفة إلا بني سعنة فإنهم خرجوا من الحصون إلى المسلمين وفاء بالعهد.[3]

ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم: قد كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

وكان – ﷺ – يبعث الحرس على إلى المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة. وأنزل الله: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً** ﴾[الأحزاب الآية: 12]، وقال رجال معه: ﴿ **يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا** ﴾[الأحزاب الآية: 13]، وقال بعضهم: يا رسول الله إن بيوتنا عروة من العدو، فأذن لنا فنرجع إلى ديارنا خارج المدينة. فأنزل الله: ﴿ **وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً** ﴾[الأحزاب الآية: 13].[4]

وأما المؤمنون الصادقون فكان قولهم حين اشتد البلاء: ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب الآية: 22].

---

[1] – روى البخاري في الجامع الصحيح رقم 3720 عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء ، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا ، فلما رجعت قلت : يا أبت رأيتك تختلف ؟ قال : أو هل رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم ، قال: كان رسول الله ﷺقال : (من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم). فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: (فداك أبي وأمي).

[2] – روى البخاري في الجامع الصحيح رقم 4113 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: (من يأتينا بخبر القوم) . فقال الزبير : أنا، ثم قال : (من يأتينا بخبر القوم) . فقال الزبير : أنا، ثم قال) : من يأتينا بخبر القوم) . فقال الزبير : أنا، ثم قال: (إن لكل نبي حواريا، وأنا حواريِّ الزبير). وفي رواية في الجامع رقم 2847 : (إن لكل نبي حواريا، وإن حواري الزبير بن العوام).

[3] – السيرة النبوية الصحيحة 427/2.

[4] – مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 317-318.

مبارزات ومناوشات:

وأقام المشركون محاصرين رسول الله – ﷺ – شهرا[1]، ولم يكن بينهم قتال لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ودّ، وجماعة معه، أقبلوا نحو الخندق، فلما وقفوا عليه، قالوا: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها. ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق، فاقتحموه، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع، ودعوا إلى البراز، فانتدب لعمرو علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، فبارزه، فقتله الله على يديه، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم، وانهزم الباقون إلى أصحابهم، وكان شعار المسلمين يومئذ "حم لا ينصرون".[2]

محاولة النبي ﷺ فك الخناق:

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله – ﷺ –، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك. فلما أراد رسول الله – ﷺ – أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه فقالا له: يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة

---

[1] – رواه الطبري في تفسيره 71/21.عن قتادة بإسناد حسن مرسل، وذكر ابن سعد في طبقاته 69/2. بإسناد حسن مرسل أن الحصار دام أربع وعشرين ليلة، وقد رجح هذا صاحب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 452.

[2] – زاد المعاد ص 272/3-273.

الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا، والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله – ﷺ –: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا.[1]

انشغال النبي ﷺ عن صلاة العصر:

وبسبب انشغال النبي – ﷺ – بتتبع الوضع المتأزم، ومراقبة سير المعركة والإشراف عليها من قريب، فاتته صلاة العصر، فصلاها بعد غروب الشمس، ففي الصحيحين عن جابر – رضي الله عنه – : (أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق، فجعل يسب كفار قريش. فقال: يا رسول الله – ﷺ –، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب. فقال النبي – ﷺ – : وأنا والله ما صليتها، فنزلنا مع النبي – ﷺ – بُطْحَان، فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب).[2]

ومن شدة تحسر النبي – صلى الله عنه – لفوات صلاة العصر[3] دعا يومها على الكفار، فعن علي – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – (أنه قال يوم

---

[1] – سيرة ابن هشام 246/3-247. وانظر زاد المعاد 273/3. وطبقات ابن سعد 69/2. وإمتاع الأسماع 1/ 239-240. وتاريخ الإسلام للذهبي 289/2.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4112.

[3] – الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر، وفي الموطأ الظهر والعصر، وفي السنن ومسند أحمد والشافعي أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعا. قال النووي: "وطريق الجمع بين هذه الروايات أن وقعة الخندق بقيت أياما فكان هذا في بعض الأيام، وهذا في بعضها ".أنظر مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 320.

الخندق: ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس).[1]

ودعا رسول الله – ﷺ – على الأحزاب الذين اجتمعوا على محاربة الله ورسوله وحاصروا المدينة محاولين القضاء على الإسلام والمسلمين، فعن عبد الله بن أبي أوفى – رضي الله عنه – قال: (دعا رسول الله – ﷺ – على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم).[2]

خدعة نعيم بن مسعود رضي الله عنه:

ثم إن الله – عز وجل– وله الحمد صنع أمرا من عنده، خذل به العدو، وهزم جموعهم، وفل حدهم، فكان مما هيأ من ذلك، أن رجلا من غطفان يقال له: نعيم بن مسعود بن عامر – رضي الله عنه –، جاء إلى رسول الله – ﷺ –، فقال: يا رسول الله؛ إني قد أسلمت، فمرني بما شئت. فقال رسول الله – ﷺ– : إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة.

فذهب من فوره ذلك إلى بني قريظة، وكان عشيرا لهم في الجاهلية، فدخل عليهم، وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال: يا بني قريظة؛ إنكم قد حاربتم محمدا، وإن قريشا إن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا انشمروا إلى بلادهم راجعين، وتركوكم ومحمدا، فانتقم منكم. قالوا: فما العمل يا نعيم ؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن. قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم مضى على وجهه إلى قريش، فقال لهم: تعلمون ودي لكم، ونصحي لكم. قالوا: نعم. قال: إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه، ثم يمالئونه عليكم، فإن سألوكم رهائن، فلا تعطوهم. ثم ذهب إلى غطفان، فقال لهم مثل

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6396.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4115. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1742.

ذلك، فلما كان ليلة السبت من شوال، بعثوا إلى اليهود: إنا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكراع والخف، فانهضوا بنا حتى نناجز محمدا. فأرسل إليهم اليهود: إن اليوم يوم السبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإنا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن. فلما جاءتهم رسلهم بذلك، قالت قريش: صدقكم والله نعيم، فبعثوا إلى يهود: إنا والله لا نرسل إليكم أحدا، فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدا، فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم، فتخاذل الفريقان.

تزلل الأحزاب وتخاذلهم:

وأرسل الله على المشركين جندا من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدرا إلا كفأتها، ولا طنبا، إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار، وجند الله من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف، وأرسل رسول الله – ﷺ – حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم.[1]

قال حذيفة – رضي الله عنه –: (لقد رأيتنا مع رسول الله – ﷺ – ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله – ﷺ –: ألا رجل يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا برجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، ثم قال: ألا برجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة ؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم. فلم أجد بُدًّا، إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم علي. فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام، حتى أتيتهم. فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار، فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله "ولا تذعرهم علي" ولو

---

[1] – زاد المعاد 3/273–274. وانظر سيرة ابن هشام 3/253–254. قال العمري في السيرة النبوية الصحيحة 2/430: " ساق ابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي أخبارا وحكايات حول دور نعيم بن مسعود الغطفاني...وهذه الروايات لا تثبت من الناحية الحديثية، ولكنها اشتهرت في كتب السيرة، وهي لا تتنافى مع قواعد السياسة الشرعية فالحرب خدعة ".

رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت، قررت، فألبسني رسول الله – ﷺ – من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائما حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان !).[1]

لم تستطع الأحزاب فعل شيء وقد طال الحصار ودب التخاذل في الصفوف، والقنوط في النفوس، وسخر الله الرياح العاصفة، في أيام قارصة البرودة، فحطمت ما تبقى من معنوياتهم المهزوزة، فانصرف أعداء الله عائدين من حيث جاؤوا، وكفى الله المؤمنين القتال.

إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر، بل كانت معركة أعصاب، لم يجر فيها قتال مرير، إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام، تمخضت عن تخاذل المشركين، وأفادت أن أية قوة من قوات العرب لا تستطيع استئصال القوة الصغيرة التي تنمو في المدينة؛ لأن العرب لم تكن تستطيع أن تأتي بجمع أقوى مما أتت به في الأحزاب، ولذلك قال رسول الله – ﷺ – حين أجلى الله الأحزاب: (الآن نغزوهم، ولا يغزونا، نحن نسير إليهم).[2]

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1788.

[2] – الرحيق المختوم ص 221. والحديث رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4110.

غزوة بني قريظة

قالت عائشة – رضي الله عنها – : (لما رجع رسول الله – ﷺ – من الخندق وضع السلاح، فاغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه، اخرج إليهم . فقال رسول الله – ﷺ –: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة.[1]

ولهذا حث النبي – ﷺ – أصحابه بالمسارعة للخروج إلى بني قريظة الذين خانوا عهدهم، وشاركوا الأحزاب في محاولتهم القضاء على الإسلام والمسلمين، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – قال: (قال رسول الله – ﷺ – يوم الأحزاب: لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ثم يرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي – ﷺ – فلم يعنف واحدا منهم).[2]

واستعمل النبي – ﷺ – على المدينة ابن أم مكتوم، وقدم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة،[3]وسار إليهم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة[4] حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب.[5]

وقد اقترح كعب بن أسد على يهود بني قريظة لما رأى أنَّ رسول الله – ﷺ – غير منصرف عنهم قائلا: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارضٌ عليكم خلالاً ثلاثًا فخذوا أيها شئتم. قالوا: فما هي ؟ قال: نتابع هذا

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4122. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1769واللفظ له.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4119.

[3] – أنظر سيرة ابن هشام 258/3.

[4] – هذا عند ابن هشام259/3. وعند ابن سعد في طبقاته 71/2 أن مدة الحصار دامت خمسة عشر فقط.

[5] – سيرة ابن هشام 259/3.

الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لنبيٌّ مُرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نُفارق حكم التوراة أبدًا. قال: فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثمَّ نخرج إلى محمدٍ وأصحابه رجالاً مُصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه. قالوا: فما ذنب المساكين ؟ قال: فإنْ أبيتم هذه أيضًا فإنَّ الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فأنزلوا لعلنا نُصيب منهم غرة. فأبوا ذلك أيضًا.[1]

فبعثوا إلى النبي – ﷺ – أن أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر نستشيره، فلما رأوه، قاموا في وجهه يبكون، وقالوا: يا أبا لبابة ؛ كيف ترى لنا أن نترل على حكم محمد ؟ فقال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه يقول: إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه قد خان الله ورسوله، فمضى على وجهه، و لم يرجع إلى رسول الله – ﷺ – حتى أتى المسجد مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف ألا يحله إلا رسول الله – ﷺ – بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبدا، فلما بلغ رسول الله – ﷺ – ذلك، قال: (دعوه حتى يتوب الله عليه). ثم تاب الله عليه وحله رسول الله – ﷺ–.[2]

ثم نزل بنو قريظة على حُكْمِ رسول الله – ﷺ – فيهم، وقد كانت بنو قريظة حُلفاء للأوس فأوَكلَ الحُكم عليهم إلى سعد بن معاذ – رضي الله عنه –، وقد روت عائشة – رضي الله عنها – فقالت: (أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش، يقال له حبان بن العرقة، رماه في الأكحل، فضرب النبي – ﷺ– خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله – ﷺ – من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل – عليه السلام – وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال:

---

[1] – نفس المصدر 259/3-260.وانظر زاد المعاد 133/3، والروض الأنف 226/6-227، وإمتاع الأسماع 246/1-247،ومختصر سيرة الرسول للنجدي ص321، وفقه السيرة للبوطي ص224.

[2] – زاد المعاد 133/3.وقد روى الإمام أحمد خبر أبي لبابة بإسناد حسن. أنظر السيرة النبوية الصحيحة 315/2.

وضعت السلاح، والله ما وضعته، اخرج إليهم. قال النبي – ﷺ –: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله – ﷺ – فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم: أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم.–وفي رواية: أن أهل قريظة نزلوا على حكم سعد، فأرسل النبي – ﷺ – إليه فجاء، فقال: قوموا إلى سيدكم، أو قال : خيركم. فقعد عند النبي– ﷺ – فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: فإني أحكم أن تقتل مقاتلهم، وتسبي ذراريهم، فقال: لقد حكمت بما حكم به الملك –).[1] قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة – رضي الله عنها – : (أن سعدا قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك، من قوم كذبوا رسولك – ﷺ – وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له، حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها[2] واجعل موتي فيها، فانفجرت من لبته، فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار، إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دما، فمات – رضي الله عنه –).[3]

وروى جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – عن النبي – ﷺ – أنه قال: (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ).[4]

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – قال: (قال رسول الله – ﷺ –: لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما وطئوا الأرض قبلها. وقال حين دفن: سبحان الله! لو انفلت أحد من ضغطة القبر؛ لانفلت منها سعد،[ولقد ضم ضمة، ثم أفرج عنه]).[5]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6262.

[2] – أي سأل الله أن يفجر جرحه دما حتى ينال الشهادة.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4122.

[4] رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3803.

[5] – إسناده جيد رجاله ثقات. أنظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم 3345.

ثم استنزل اليهود من حصونهم فَسِيقوا إلى خنادق في المدينة، فقتل مقاتلهم– أي رجالهم – وسبى ذراريهم، وكان في جُملةِ مَن سيق إلى القتل فُقتل، حُيي بن أخطب، الذي كان قد سعى حتى أقنع بني قريظة بالغدرِ ونقض العهد.[1] وكعب بن أسد رأس القوم.[2]

وكان عدد مقاتلتهم الذين نفذ فيهم الحكم أربعمائة، ونجا ثلاثة من بني قريظة بدخولهم في الإسلام.[3] واصطفى رسول الله – ﷺ – لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة، فكانت عنده في ملكه حتى توفي.[4]

واستشهد من المسلمين يوم الخندق وقريظة سعد بن معاذ وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل كلهم من بني عبد الأشهل، والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وخلاد بن سويد طرحت عليه امرأة من بني قريظة رحى فقتلته، ومات في الحصار أبو سنان بن محصن أخو عكاشة.

قال ابن إسحاق: (وأنزل الله في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب يذكر فيها ما نزل من البلاء، ويذكر نعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق من قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ** ﴾الآيتين.[5]

---

[1] – فقه السيرة للبوطي ص 225. وانظر سيرة ابن هشام 256/3.

[2] – سيرة ابن هشام 256/3.

[3] – السيرة النبوية الصحيحة 316/1.

[4] – أنظر سيرة ابن هشام 269/3.

[5] – مختصر سيرة الرسول للنجدي 324. وسيرة ابن هشام 270/3 إلى 275.

غزوات وسرايا
ما بين غزوة الخندق وصلح الحديبية

- بعث عبد الله بن عتيك لقتل سلام بن أبي الحقيق (أبو رافع):

كان أبو رافع ممن ألب الأحزاب على رسول الله – ﷺ –، ولم يُقتل مع بني قريظة كما قُتل صاحبه حيي بن أخطب، ورغبت الخزرج في قتله مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف، وكان الله سبحانه وتعالى قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله – ﷺ – في الخيرات، فاستأذنوه في قتله، فأذن لهم، فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة، وهم عبد الله بن عتيك، وهو أمير القوم، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، ومسعود بن سنان، وخزاعي بن أسود، فساروا حتى أتوه في خيبر في دار له، فنزلوا عليه ليلا، فقتلوه، ورجعوا إلى رسول الله – ﷺ –.[1]

فعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: (بعث رسول الله – ﷺ – إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله – ﷺ – ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق، ومتلطف للبواب، لعلي أن أدخل. فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على وتد، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في

[1] – زاد المعاد 275/3-273.وانظر سيرة ابن هشام 300/3-301-303.ومختصر سيرة الرسول للنجدي ص 224-225. والرحيق المختوم ص225-226.

علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من الداخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: يا أبا رافع. قال: من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش، فما أغنيت شيئا، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته و لم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته.؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر الحجاز. فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي – ﷺ – فحدثته، فقال: ابسط رجلك. فبسطت رجلي فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط).[1]

غزوة بني لحيان:

ثم خرج رسول الله – ﷺ – إلى بني لحيان بعد قريظة بستة أشهر ليغزوهم، – ليثأر لأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه– فخرج رسول الله – ﷺ – في مائتي رجل، وأظهر أنه يريد الشام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران، واد من أودية بلادهم، وهو بين أمج وعسفان حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، وسمعت بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم، وبعث

[1]– رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4039.

السرايا، فلم يقدروا عليهم، فسار إلى عسفان، فبعث عشرة فوارس إلى كراع الغميم لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة.[1]

سرية نجد أو محمد بن مَسلمة:

تحركت هذه السرية إلى القرطاء بناحية ضَرِيَّة بالبَكَرات من أرض نجد، وبين ضرية والمدينة سبع ليال، تحركت لعشر ليال خلون من المحرم سنة 6 هـ إلى بطن بني بكر بن كلاب. فلما أغارت عليهم هربوا، فاستاق المسلمون نعما وشاء، وقدموا المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعهم ثُمَامَة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة،[2] فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (بعث النبي – ﷺ – خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي – ﷺ – فقال: ما عندك يا ثمامة ؟ قال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت. فتُرك حتى كان الغد، فقال النبي – ﷺ -: ما عندك يا ثمامة ؟ قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال: ما عندك يا ثمامة ؟ قال: عندي ما قلت لك. فقال: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله – ﷺ- وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت،

---

[1] – زاد المعاد 276/3. وانظر سيرة ابن هشام 306/3-307. وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 106/3إلى109.وطبقات ابن سعد74/2-75.وعيون الأثر 124/2.

[2] – الرحيق المختوم ص227. وانظر إمتاع الأسماع 257/1. ودلائل النبوة للبيهقي 78/4.ومختصر سيرة الرسول للنجدي 326. ونور اليقين ص129.

قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله – ﷺ –، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي – ﷺ –).[1]

غزوة ذي القرد أو الغابة:

أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، في خيل من غطفان على لقاح[2] لرسول الله – ﷺ– بالغابة[3] وفيها رجل من بني غفار وامرأة له فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح.[4]

ونُودي: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها، وركب رسول الله – ﷺ – مقنعا في الحديد، فكان أول من قدم إليه المقداد بن عمرو في الدرع والمغفر، واستخلف رسول الله – ﷺ – ابن أم مكتوم،[5] قال سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه –: (خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح رسول الله – ﷺ – ترعى بذي قرد ، قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أُخذت لقاح رسول الله – ﷺ –، قلت: من أخذها ؟ قال: غطفان. قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه. قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت راميا، وأقول :

أنا ابن الأكوع

واليوم يوم الرضع .

وأرتجز، حتى استنفذت اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة. قال: وجاء النبي – ﷺ – والناس، فقلت: يا نبي الله، قد حميت القوم الماء وهم عطاش،

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4372.
[2] – اللقاح جمع لقحة وهي الناقة التي لقحها بعير فتحمل.
[3] – موضع قرب المدينة من ناحية الشام.
[4] – سيرة ابن هشام 308/3.
[5] – زاد المعاد 278/3.

فابعث إليهم الساعة. فقال: يا ابن الأكوع، ملكت فأسجح.[1] قال: ثم رجعنا ويردفني رسول الله – ﷺ – على ناقته حتى دخلنا المدينة.[2]

وأقام النبي بذي قرد يوما وليلة وقد غاب خمس ليال، وقسَّم في كل مائة من أصحابه – وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة – جزورا ينحرونها.[3]

ملخص لسرايا بعثها الرسول ﷺ:

ثم تابع رسول الله – ﷺ – في إرسال البعوث والسرايا، وهاك صورة مصغرة منها :

1 – سرية عُكَّاشَة بن مِحْصَن إلى الغَمْر: في ربيع الأول أو الآخر سنة 6هـــ. خرج عكاشة في أربعين رجلاً إلى الغمْر، ماء لبني أسد، ففر القوم، وأصاب المسلمون مائتي بعير ساقوها إلى المدينة .

2 – سرية محمد بن مَسْلَمَة إلى ذي القَصَّة: في ربيع الأول أو الآخر سنة 6 هـــ. خرج ابن مسلمة في عشرة رجال إلى ذي القصة في ديار بني ثعلبة، فكمن القوم لهم ـــ وهم مائة ـــ فلما ناموا قتلوهم إلا ابن مسلمة فإنه أفلت منهم جريحاً.

3 – سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة: في ربيع الآخر سنة 6 هـــ، وقد بعثه النبي – ﷺ – على إثر مقتل أصحاب محمد بن مسلمة، فخرج ومعه أربعون رجلاً إلى مصارعهم، فساروا ليلتهم مشاة، ووافوا بني ثعلبة مع الصبح فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم، وغنموا نَعَما وشاء.

4 – سرية زيد بن حارثة إلى الجَمُوم: في ربيع الآخر سنة 6هـــ ـــ والجموم ماء لبني سليم في مَرِّ الظَّهْرَان ـــ خرج إليهم زيد فأصاب امرأة من مُزَيْنَة يقال لها :

---

[1] – أي قد تمكنت منهم وحصلت على ما تريد فاتركهم وعفوا عنهم.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4194.

[3] – شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 118/3.

حليمة، فدلتهم على محلة من بني سليم أصابوا فيها نعما وشاء وأسرى، فلما قفل زيد بما أصاب وهب رسول الله – ﷺ – للمزينية نفسها وزوجها.

5 – سرية زيد إلى العِيص: في جمادى الأولى سنة 6 هـ في سبعين ومائة راكب، وفيها أخذت أموال عير لقريش كان قائدها أبو العاص خَتَن رسول الله – ﷺ –. وأفلت أبو العاص، فأتى زينب فاستجار بها، وسألها أن تطلب من رسول الله – ﷺ – رد أموال العير عليه، ففعلت، وأشار رسول الله – ﷺ– على الناس برد الأموال من غير أن يكرههم، فردوا الكثير والقليل والكبير والصغير، حتى رجع أبو العاص إلى مكة، وأدى الودائع إلى أهلها، ثم أسلم وهاجر، فرد عليه رسول الله – ﷺ – زينب بالنكاح الأول بعد ثلاث سنين ونيف، كما ثبت في الحديث الصحيح[1] ردها بالنكاح الأول ؛ لأن آية تحريم المسلمات على الكفار لم تكن نزلت إذ ذاك، وأما ما ورد من الحديث من أنه رد عليه بنكاح جديد، أو رد عليه بعد ست سنين فلا يصح معنى، كما أنه ليس بصحيح سنداً.[2] والعجب ممن يتمسكون بهذا الحديث الضعيف فإنهم يقولون : إن أبا العاص أسلم في أواخر سنة ثمان قبيل الفتح. ثم يناقضون أنفسهم، فيقولون : إن زينب ماتت في أوائل سنة ثمان، وقد بسطنا الدلائل في تعليقنا على بلوغ المرام. وجنح موسى بن عقبة إلى أن هذا الحادث وقع في سنة 7هـ من قبل أبي بصير وأصحابه، ولكن ذلك لا يطابق الحديث الصحيح ولا الضعيف .

6 – سرية زيد أيضاً إلى الطَّرِف أو الطَّرِق: في جمادى الآخر سنة 6 هـ. خرج زيد في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة، فهربت الأعراب، وخافوا أن يكون رسول الله – ﷺ – سار إليهم، فأصاب من نَعَمِهِم عشرين بعيراً، وغاب أربع ليال.

---

[1] – أنظر سنن أبي داود 2240 مع شرحه عون المعبود باب إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: " رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على أبي العاص بالنكاح الأول لم يحدث شيئا ".

[2] – انظر الكلام على الحديثين في تحفة الأحوذي 2/195-196.

7 – سرية زيد أيضاً إلى وادي القرى: في رجب سنة 6 هـــ. خرج زيد في اثني عشر رجلاً إلى وادي القرى؛ لاستكشاف حركات العدو إن كانت هناك، فهجم عليهم سكان وادي القرى؛ فقتلوا تسعة، وأفلتت ثلاثة فيهم زيد بن حارثة.

8 – سرية الخَبَط: تذكر هذه السرية في رجب سنة 8 هـــ، ولكن السياق يدل على أنها كانت قبل الحديبية قال جابر: (بعثنا رسول الله – ﷺ – وأمر علينا أبا عبيدة. نتلقى عيرا لقريش. وزودنا جرابا من تمر لم يجد لم غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. قال فقلت: كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال: نمصها كما يمص الصبي. ثم نشرب عليها من الماء. فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنا نضرب بعصينا الخبط. ثم نبله بالماء فنأكله. قال: انطلقنا على ساحل البحر. فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم. فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر[1]. قال: قال أبو عبيدة: ميتة. ثم قال: لا. بل نحن رسل رسول الله – ﷺ – وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهرا. ونحن ثلاث مائة حتى سمنا. قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه، بالقلال، الدهن. ونقتطع منه القدر كالثور (أو كقدر الثور) فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا. فأقعدهم في وقب عينه. وأخذ ضلعا من أضلاعه. فأقامها. ثم رحل أعظم بعير معنا، فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله – ﷺ –. فذكرنا ذلك له. فقال: هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله – ﷺ — منه، فأكله).[2]

وإنما قلنا : إن سياق هذه السرية يدل على أنها كانت قبل الحديبية؛ لأن المسلمين لم يكونوا يتعرضون لعير قريش بعد صلح الحديبية.[3]

---

[1] – حوت كبير جدا.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم4361. ومسلم واللفظ له في المسند الصحيح رقم 1935.

[3] – أخذنا هذا الملخص من الرحيق المختوم ص 228-229.وانظر في ذلك –كما قال مؤلفه– من المصادر التي اعتمد عليها، رحمة للعلمين226/2. وزاد المعاد 120/2-121-122.وحواشي تلقيح فهوم أهل الأثر ص 28-29.



الفصل الخامس

الفتح الأعظم

مرحلة التمكين للدعوة الإسلامية

غزوة أو صلح الحديبية

الحديبية اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلا إلى الشمال الغربي من مكة وتعرف الآن بالشميسي، وفيها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان، وأطرافها تدخل في حدود الحرم المكي ومعظمها من الحلّ خارجه.

وقد سميت الغزوة بها لأن قريشا منعت المسلمين من دخول مكة وهم في الحديبية. وكان خروج الرسول – ﷺ – إلى الحديبية في يوم الاثنين مستهل ذي القعدة من السنة السادسة وقد قصد بخروجه العمرة.[1] وكان معه من المسلمين ألف وأربعمائة.[2]

---

[1]– السيرة النبوية الصحيحة للعمري 434/2.

[2] – أنظر زاد المعاد 288/3. ورجح هذا ابن القيم. وحددت روايات أخرى صحيحة عدد الذين كانوا مع النبي ﷺ بألف وثلاثمائة، وألف وخمسمائة، قال صاحب كتاب مرويات غزوة الحديبية ص 51: وهذا التحديد قد وردت به نصوص صحيحة، لا يمكن ردها، لذلك حاول العلماء التوفيق بينها، وسلكوا في ذلك طريقين:

(أ) **طريق الترجيح**:

وقد سلك هذا الطريق البيهقي، حيث رجح رواية ألف وأربعمائة.

فقد أخرج رواية ألف وأربعمائة عن جابر ثم عقب عليها بقوله: وهذه الرواية أصح، فلذلك قاله البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع في أصح الروايتين عنه ا.هــ1

ونقل ذلك عنه ابن حجر قال: "وأما البيهقي فمال إلى الترجيح، وقال: إن رواية ألف وأربعمائة أصح" .اهــ2

ومال إلى الترجيح أيضاً ابن القيم: فقد ذكر رواية ألف وأربعمائة عن جابر ثم قال عقبها: "والقلب إلى هذا أميل"3.

(ب) **طريق الجمع**:

وقد جنح بعض العلماء إلى الجمع بين تلك النصوص، فقد ذكر النووي الرواية الثلاث: ألف وثلاثمائة، وألف وأربعمائة، وألف وخمسمائة، ثم قال: ويمكن أن يجمع بينها بأنهم كانوا أربعمائة وكسر، فمن قال أربعمائة لم يعتبر الكسر، ومن قال خمسمائة اعتبره، ومن قال ألف وثلاثمائة ترك بعضهم لكونه لم يتقن العد، أو لغير ذلك ا.هــ4

وممن ذهب إلى الجمع أيضاً ابن حجر، فقد ذكر نحو كلام النووي وزاد عليه، فبعد أن ذكر الروايات الثلاث قال: والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفاً وأربعمائة ألغاه. =

المشركون يعترضون طريق الرسول ﷺ:

فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: (خرج رسول الله – ﷺ – زمن الحديبية، حتى كانوا ببعض الطريق، قال النبي – ﷺ-: إن خالد بن الوليد بالغميم[1]، في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش[2]، فانطلق يركض نذيرا لقريش.

النزول في الحديبية:

وسار النبي – ﷺ – حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت[3] القصواء، هلأت القصواء، فقال النبي – ﷺ – : ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، لكن حبسها حابس الفيل. ثم قال: والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد[4] قليل الماء، يتبرضه الناس تبرضا[5]، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه[6].

=ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث براء "ألفاً وأربعمائة أو أكثر أما قول عبد الله بن أبي أوفى: ألفاً وثلاثمائة، فيمكن حمله على ما اطلع عليه هو، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم، والزيادة من الثقة مقبولة أو العدد الذي ذكره جملة من ابتداء الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك، أو العدد الذي ذكره عدد المقاتلة والزيادة عليه من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ا.هـ1

قلت: الظاهر أن مسلك التوفيق بين النصوص إن أمكن أولى من الترجيح، لا سيما والنصوص الواردة في العدد المذكور صحيحة كلها، وتوجيه ابن حجر ممكن وظاهر، فيجب الأخذ به، وقد تضمن ما ذكر النووي.

[1]– موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة.أنظر شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 176/3.

[2] – أي الغبار الذي ينتج عن سير الجيش.

[3] – أي بركت القصواء ناقة رسول الله ﷺ

[4] – حوض تجتمع فيه مياه الأمطار.

[5] – أي أخذ منه الناس قليلا قليلا.

[6]– أي نفد ماؤه.

معجزة نبوية:

وشكي إلى رسول الله – ﷺ – العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه...).[1] وفي رواية: (كنا مع النبي – ﷺ– أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي – ﷺ – فأتاها، فجلس على شفيرها[2]، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا).[3]وفي رواية أخرى: (عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله – ﷺ – بين يديه ركوة فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله – ﷺ –: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به، ولا نشرب إلا ما في ركوتك. فوضع النبي – ﷺ – يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قال: فشربنا وتوضأنا، فسئل جابر: كم كنتم يومئذ ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة).[4]

نصح بديل بن ورقاء الخزاعي:

(...فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة، وكانوا عيبة نصح[5] رسول الله – ﷺ – من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل[6]، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال رسول الله – ﷺ –: إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2731.

[2] – أي حافة البئر.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح عن البراء رقم 4150.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح عن جابر بن عبد الله رقم 4152.

[5] أي موضع سره وأمانته.

[6] – العوذ: جمع عائذ، وهي الحديثة النتاج من الإبل. المطافيل: التي معها أولادها. يريد أنهم خرجوا بذات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ويقيموا لا يبرحوا المكان حتى يحاربوا النبي ﷺ.

ماددهم مدة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا[1]، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي[2]، ولينقذن الله أمره. فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. قال: فانطلق حتى أتى قريشا، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي – ﷺ –.

محاولة جس النبض:

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم، ألستم بالوالد ؟ قالوا :بلى، قال: أو لست بالولد ؟ قالوا :بلى، قال: فهل تتهمونني ؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا[3] علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد، اقبلوها ودعوني آتيه. قالوا: ائته. فأتاه، فجعل يكلم النبي – ﷺ –، فقال النبي – ﷺ – نحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أشوابا[4] من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر: امصص ببظر اللات[5]، أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال: من ذا ؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. قال: وجعل

---

[1]– جمُّوا : استراحوا من جهد القتال .

[2] – أي تنفصل رقبتي أي أموت ، أو حتى أموت وأبقى مفردا في قبري.

[3] – أي امتنعوا .

[4] – الأشواب: الأخلاط من الناس.

[5]– امصص بظر اللات : اللات اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها ، والبظر قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بنسبة الأم، واستعمل أبو بكر هذا الأسلوب مهينا الصنم وزاجرا من يعبده.

يكلم النبي – ﷺ –، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي – ﷺ –، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي – ﷺ – ضرب يده بنعل السيف[1] ، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله – ﷺ –، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا ؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك. وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي – ﷺ –: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء.

عظيم محبة الصحابة لرسول الله ﷺ وأدبهم معه:

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي – ﷺ – بعينه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله – ﷺ – نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد – ﷺ – محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها.

حضور عروة ومكرز لمعاينة المسلمين:

فقال رجل من بني كنانة — اسمه الحليس بن علقمة –: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي – ﷺ – وأصحابه، قال رسول الله – ﷺ –:هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له. فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى

[1] – نعل السيف : أي ما يكون أسفل من فضة أو غيرها.

أصحابه، قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقام رجل منهم، يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف عليهم، قال النبي – ﷺ –: هذا مكرز، وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي – ﷺ –، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

إبرام اتفاق المعاهدة بين النبي ﷺ والمشركين:

قال معمر: فأخبرني أيوب، عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو: قال النبي – ﷺ –: لقد سهل لكم من أمركم. قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا[1] ، فدعا النبي – ﷺ –

---

[1] – تم عقد هذه المعاهدة وكانت صياغتها من عشرة بنود جاءت على الشكل التالي:

1- باسمك اللهم.

2- هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.

3- واصطلحا على وضع الحرب على الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.

4- على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجًّا أو معتمرًا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازًا إلى مصر أو إلى الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله.

5- على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه.

6- وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا أسلال ولا أغلال.

7- وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم).

8- وأنت ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا تدخلها بغيرها.

9- وعلى أن هذا الهدي ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا.

10- أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين.

فمن المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين. =

الكاتب، فقال النبي - ﷺ- : بسم الله الرحمن الرحيم. قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي - ﷺ -: اكتب باسمك اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي - ﷺ -: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله. - وفي رواية: (كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي - ﷺ - وبين المشركين، يوم الحديبية. فكتب: " هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله". فقالوا: لا تكتب: رسول الله. فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك. فقال النبي - ﷺ — لعلي: امحه. فقال: ما أنا بالذي أمحاه[1]. فمحاه النبي - ﷺ- بيده.[2] قال الزهري: وذلك لقوله: " لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها". فقال له النبي - ﷺ-: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به. فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل. فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف[3] في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي. فقال النبي - ﷺ -: إنا لم نقض الكتاب بعد. قال فوالله إذًا لم أصالحك على شيء أبدا. قال النبي - ﷺ -: فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو

=ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو".أنظر" المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي" د. محمد الديك، ص270، 271. عن السيرة النبوية للصلابي2/455-456.

[1] - هكذا كُتبت في جميع النسخ .ومعناها أمحي.

[2] - رواه مسلم في المسند الصحيح عن البراء بن عازب رقم 1783.

[3] - أي يمشي مشيا بطيئا بسبب القيد.

جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله.

اعتراض عمر بن الخطاب:

قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله – ﷺ – فقلت: ألست نبي الله حقا ؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى. قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام. قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقا. قال بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى. قلت: فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ﷺ ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحق ؟ قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ، قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ومطوف به . قال الزهري: قال عمر : فعملت لذلك أعمالا.– وفي رواية:فقال: يا بن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا. قال: فنزل القرآن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالفتح. فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه. فقال: يا رسول الله، أوفتح هو ؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع) –.[1]

مشورة أم سلمة في الحلق والحل عن العمرة:

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله – ﷺ – لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يانبي الله، أتحب ذلك، اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك،

[1]– رواه مسلم في المسند الصحيح عن أبي وائل رقم 1785.

وتدعو حالقك فيلحقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل غما، ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...**﴾[الممتحنة الآية:10] – حتى بلغ بعصم الكوافر – فطلق عمر يومئذ امرأتين، كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية.

رجوع النبي ﷺ إلى المدينة وقصة أبي بصير:

ثم رجع النبي – ﷺ – إلى المدينة فجاءه أبو بصير، رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا. فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت. فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه. فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله – ﷺ – حين رآه: لقد رأى هذا ذعرا. فلما انتهى إلى النبي – ﷺ – قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم نجاني الله منهم، قال النبي – ﷺ – : ويل أمه، مسعر حرب، لو كان له أحد. فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي – ﷺ – تناشده بالله والرحم: لما أرسل:

فمن آتاه فهو آمن، فأرسل النبي – ﷺ – إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**...﴾[الفتح الأية:24-25]. وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، و لم يقروا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت).[1]

بيعة الرضوان:

أشرنا من قبل أن قريشا فزعت لنزول رسول الله – ﷺ – قريبا منهم، وبصحبته المسلمون الذين رافقوه بنية العمرة، و لم يحملوا معهم سوى سلاح المسافر.

فأحب – ﷺ – أن يبعث إليهم – ليُطمئن قريشا أنه لا يقصد الحرب – رجلا من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله؛ ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت. فدعا رسول الله – ﷺ – عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام.

وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم، ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله – عز وجل– مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق عثمان، فمر على قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد ؟ فقال: بعثني رسول الله – ﷺ – أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، وأخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارا. فقالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك. وقام إليه أبان بن

[1]– رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2731.

سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، وأجاره، وأردفه أبان حتى جاء مكة.[1]

فبلغ رسول الله – ﷺ – أن عثمان قد قتل، ولذلك دعا رسول الله – ﷺ – أصحابه للبيعة تحت شجرة سَمُرَة، فبايعوا جميعا على الموت[2] سوى الجد بن قيس، وذلك لنفاقه، وفي رواية: أن البيعة كانت على الصبر[3]، وفي رواية على عدم الفرار[4]، ولا تعارض في ذلك لأن المبايعة على الموت تعني الصبر عند اللقاء وعدم الفرار، فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته،[5] وكان عمر آخذا بيد رسول الله – ﷺ – للبيعة تحت الشجرة.

وكان معقل بن يسار آخذا بغصنها يرفعه عن رسول الله – ﷺ –، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم.[6] وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي– ﷺ– بيده: (هذه يد عثمان. فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان).[7] وأنزل الله — عز وجل– في بيعة

---

[1] – زاد المعاد 290/3.

[2] – سُئل سلمة: على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت. رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1860.

[3] – عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم قال:رجعنا من العام المقبل ، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها ، كانت رحمة من الله ، فسألت نافعا : على أي شيء بايعهم ، على الموت ؟ قال : لا ، بل بايعهم على الصبر. رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2958.

[4] – عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة . فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة . وهي سمرة . وقال : وبايعناه على أن لا نفر . ولم نبايعه على الموت. رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1856.

[5] – السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية ص 486. وانظر سيرة ابن هشام 354/3. وزاد المعاد 291/3. وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 223/3-224.

[6] – زاد المعاد 291/3.

[7] – روى ذلك البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في الجامع الصحيح رقم 4066.

الرضوان قوله: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح الآية: 18].

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: (قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض. وكنا ألفا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة).[1]

وعنه أيضا قال: (أن عبدا لحاطب جاء رسول الله – ﷺ – يشكو حاطبا، فقال: يا رسول الله ليدخلنَّ حاطب النار. فقال رسول الله – ﷺ –: كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرا والحديبية).[2]

وقال أيضا: (أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبي – ﷺ – يقول عند حفصة – رضي الله عنها –: لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة، أحد، الذين بايعوا تحتها. قالت: بلى، يا رسول الله. فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** ﴾[مريم الآية:71] فقال النبي – ﷺ – قد قال الله – عز وجل– : ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** ﴾ [مريم الآية: 72]).[3]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4154.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2495.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4066.

رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء

كان صلح الحديبية بين النبي – ﷺ – وكفار قريش ومن والاهم فتحا عظيما للدعوة، فقد أراح الله المسلمين من عناء القتال، وأتيحت الفرصة للنبي – ﷺ – لتوسيع نطاق الدعوة داخل الجزيرة وخارجها.[1]

وهكذا فبعد أن وصل النبي – ﷺ – المدينة أرسل دحية الكلبي بكتابه إلى هرقل في آخر سنة ست.[2]

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – : (أن نبي الله – ﷺ- كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي – ﷺ –).[3]

ونصوص الرسائل التي بعث بها النبي – ﷺ – إلى الملوك- ما عدى رسالته عليه الصلاة والسلام إلى هرقل- لا تصح من الناحية الحديثية، وتحتاج إلى تمحيص من الناحية التاريخية، ومن رسائل النبي – ﷺ –:[4]

- إلى هرقل عظيم الروم:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم

[1] – عالمية الرسالة ص 87.

[2] – الشذرات الذهبية ص 119.

[3] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1774.

[4] – قال العمري في السيرة النبوية الصحيحة 456/2: نص كتاب الرسول ﷺ الذي بعث به إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل هو النص الوحيد الذي ثبتت صحته وفق شروط المحدثين من بين سائر نصوص الكتب التي وجهت إلى الملوك والأمراء التي ينبغي أن تنتقد من جهة المتن والسند معا قبل اعتمادها تاريخيا فضلا عن الاستدلال بها في مجال التشريع.

تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين، و: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[آل عمران الآية:64]).

بعث – ﷺ– بهذه الرسالة مع دحية الكلبي – رضي الله عنه –.

- إلى كسرى عظيم الفرس:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس).

وبعث رسول الله – عليه الصلاة والسلام – مع حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنه –.

- إلى النجاشي ملك الحبشة:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله – عز وجل–، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى).

وبعث النبي – ﷺ – بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري – رضي الله عنه –.

- إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم القبط ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران الآية: 64]).

وبعث به – ﷺ – مع حاطب بن أبي بلتعة، فأرسل المقوقس إلى النبي – ﷺ – جاريتين: مارية[1] وسيرين، وكسوة والبغلة دلدل، بقيت إلى زمن معاوية.

- إلى المنذر بن ساوى:

بعث رسول الله – ﷺ – العلاء بن الحضرم — رضي الله عنه – إلى المنذر بن ساوى، وكتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فكتب المنذر إلى رسول الله – ﷺ –: (أما بعد: يا رسول الله؛ فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك)، فكتب إليه رسول الله – ﷺ –: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله – عز وجل–، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن نصح لهم، فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه،

[1] – مارية رضي الله عنها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقها كما ذكر بعض أهل السيرة وولدت له إبراهيم رضي الله عنه.

وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح، فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية).

- إلى ملك عمان:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى جيفر، وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما).

وأرسل النبي – ﷺ – الكتاب مع عمرو بن العاص – رضي الله عنه –.

- إلى صاحب اليمامة هوذة بن علي:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك).

وأرسل بالكتاب مع سليط بن عمرو العامري – رضي الله عنه –.

- إلى الحارث بن أبى شمر الغسان:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبي شمر: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك).[1]

---

[1] – نصوص هذه الرسائل أوردها ابن القيم في زاد المعاد 688/3 إلى 697. ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب: " عالمية الرسالة ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء". وكتاب: "مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ".

غزوة خيبر

كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة.[1]

وتقع خيبر على ثلاث مراحل من المدينة نحو الشام، وكانت مختصة بسكن اليهود، تحيط بها حصون منيعة.

ولما قدم النبي – ﷺ – من الحديبية مكث بها عشرين ليلة أو قريبا منها، فسمع أن يهود خيبر يريدون الهجوم على المدينة، حتى ينتقموا لانهزامهم في غزوة الأحزاب، ويعيدوا إليهم مجدهم السابق، وفي سبيل ذلك يستعدون لحرب ضارية ضد المسلمين.

وأنهم قد ضموا معهم أربعة آلاف من المقاتلين من غطفان، على أن يكون لهم نصف محصول خيبر إن فتحت المدينة.

و لم يكن المسلمون نسوا صعوبة الحصار التي واجهتهم في الأحزاب، ولذا اتفقوا جميعا على أن يصدوا هجوم اليهود خارج المدينة.

وقد أذن النبي – ﷺ – للمشاركة في هذه الغزوة للذين تشرفوا ببشرى الآية الكريمة: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** ﴾ [الفتح الآية:18]. وبالوعد الرباني: ﴿ **وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا** ﴾ [الفتح الآية: 18].

وكانوا ألفا وأربع مائة، منهم مائتا فارس.[2]

---

[1] – سيرة ابن هشام 357/3. ورجح هذا الرأي ابن حجر العسقلاني في الفتح464/7.

[2] – رحمة للعالمين للمنصورفوري 253/1–254. وانظر طبقات ابن سعد 102/2.و زاد المعاد 316/3–317.

واستخلف النبي – ﷺ – في المدينة سباع بن عرفطة – رضي الله عنه –.

ذلك (أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي – ﷺ – بخيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة على المدينة قال أبو هريرة رضي الله عنه: فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـــ ﴿ **كهيعص** ﴾ وفي الثانية ﴿ ويل للمطففين ﴾ قال: فقلت لنفسي: ويل لفلان إذا اكتال اكتال بالوافي وإذا كال كال بالناقص. قال: فلما صلى زودنا شيئا حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي – ﷺ – خيبر، قال: فكلم رسول الله – ﷺ – المسلمين فأشركونا في سهامهم).[1]

السير إلى خيبر:

وعن سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – قال: (خرجنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى خيبر، فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك ؟ وكان عامر رجلا شاعرا حدَّاء ، فترل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صـــلينا

فاغفر فداء لك ما اتقيـــنا وثبـــت الأقدام إن لاقينا

وألقيـــن ســـكينة علـــينا إنا إذا صيـــح بـــنا أبينا

وبالصياح عولوا علـــينا .

فقال رسول الله ﷺ : من هذا السائق ؟ قالوا: عامر بن الأكوع. قال: يرحمه الله. قال رجل من القوم : وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به ؟!).[2]

وفي الطريق رفع الصحابة – رضي الله عنهم – أصواهتم بالتكبير: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله – ﷺ– فيما روى أبو موسى الأشعري – : (اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون

---

[1] – مسند أحمد 229/16. صحح إسناده أحمد شاكر.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4196.

سميعا قريبا، وهو معكم. قال أبو موسى الأشعري: وأنا خلف دابة رسول الله – ﷺ–، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: ألا أدلك على كلمة من كتر من كنوز الجنة. قلت: بلى يا رسول الله، فداك أبي وأمي. قال : لا حول ولا قوة إلا بالله).[1]

وكان رسول الله – ﷺ – حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِصْر[2] ، فبُني له فيها مسجد ثم على الصهباء.[3] قال سويد بن النعمان – رضي الله عنه –: (فصلى العصر، ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فثري، فأكل رسول الله – ﷺ – وأكلنا، ثم قام إلى المغرب، فمضمض ومضمضنا، ثم صلى و لم يتوضأ).[4]

ثم أقبل رسول الله – ﷺ – بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع، فترل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله – ﷺ –).[5]

دعاء النبي ﷺ على مشارف خيبر:

فلما أشرف النبي – ﷺ – على خيبر قال لأصحابه: قفوا. ثم قال: (اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها).[6]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4205.

[2] – جبل بين المدينة ووادي الفرع.

[3] – سيرة ابن هشام 359/3.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 209.

[5] – سيرة ابن هشام 359/3.

[6] – سيرة ابن هشام 358/3. وحسنه الشيخ الألباني في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 340.

مواجهة يهود خيبر المتحصنين:

وكان النبي – ﷺ – إذا غزا قوما، لم يكن يغزو حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانا كف عنهم، وإن لم يسمع أذانا أغار عليهم. قال أنس بن مالك – رضي الله عنه–: (...خرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلا، فلما أصبح– أي النبي ﷺ – و لم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم النبي – ﷺ –، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم[1] ومساحيهم[2]، فلما رأوا النبي – ﷺ– قالوا: محمد والله، محمد والخميس[3]، قال: فلما رآهم رسول الله – ﷺ – قال : الله أكبر، الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).[4]

وهرب اليهود إلى حصوهم وحاصرهم المسلمون، وقد حاولت غطفان نجدة حلفائهم يهود خيبر، حتى إذا ساروا مرحلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم فرجعوا، وخلوا بين رسول الله وبين خيبر، فأخذ المسلمون في افتتاح حصوهم واحدًا تلو الآخر.

وكان أول ما سقط من حصوهم ناعم والصعب بمنطقة النطاة، وأبي والنزار بمنطقة الشق، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر، ثم حصن القموص المنيع في منطقة الكتيبة، وهو حصن ابن أبي الحقيق، ثم أسقطوا حصني منطقة الوطيح والسلالم.

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، منها حصن ناعم الذي استشهد تحته محمود بن مسلمة الأنصاري، حيث ألقى عليه مرحب رحى من أعلى الحصن، والذي استغرق فتحه عشرة أيام.[5]

---

[1] – المكاتل جمع مكتل وهي قفة كبيرة.

[2] – المساحي جمع مسحاة وهي المجرفة من الحديد.

[3] – أي الجيش.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 610.

[5] – السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية ص 501.

قال سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه –: (خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال : وبرز له عمي عامر ، فقال :

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا أنا نفر من أصحاب النبي – ﷺ – يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه. قال: فأتيت رسول الله – ﷺ – وأنا أبكي. فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عامر ؟. قال رسول الله – ﷺ –: من قال ذلك ؟ قال قلت: ناس من أصحابك. قال: كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين. ثم أرسلني إلى علي، وهو أرمد. فقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله. قال: فأتيت عليا فجئت به أقوده، وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله – ﷺ. فبسق في عينيه فبرأ. وأعطاه الراية. – وفي رواية: فقال: يا رسول الله؛ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير من أن يكون لك حمر النعم–.[1]

وخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب .

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3009.

فقال علي :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث الغابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره.

قال : فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه).[1]

توجه المسلمون إلى حصن الصعب بن معاذ بعد فتح حصن ناعم، وأبلى حامل رايتهم الحباب بن المنذر بلاء حسنًا حتى افتتحوه بعد ثلاثة أيام، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، يوم كانوا في ضائقة من قلة الطعام، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب وبقية ما فتح من حصون يهود، فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، فاضطروهم إلى النزول للقتال، فهزموهم بعد ثلاثة أيام، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النطاة التي كان فيها أشد اليهود، ثم توجهوا إلى حصون منطقة الشق وبدءوا بحصن أُبَيّ فاقتحموه، وأفلت بعض مقاتلته إلى حصن نزار، وتوجه إليهم المسلمون فحاصروهم ثم افتتحوا الحصن، وفرّ بقية أهل الشق من حصونهم وتجمعوا في حصن القَمُوص المنيع وحصن الوطيح وحصن السلالم، فحاصرهم المسلمون لمدة أربعة عشر يومًا حتى طلبوا الصلح.

وهكذا فتحت خيبر عنوة استنادًا إلى النظر في مجريات الأحداث التي سقناها، وما روى البخاري ومسلم، وأبو داود، من أن رسول الله – ﷺ – غزا خيبر وافتتحها عنوة.

وبذلك سقطت سائر خيبر بيد المسلمين، وسارع أهل فدك في شمالي خيبر إلى طلب الصلح، وأن يسيرهم ويحقن دماءهم، وبذلوا له الأموال فوافق على طلبهم، فكانت فدك خالصة لرسول الله – ﷺ –؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1807.

ركاب، وحاصر المسلمون وادي القرى، وهي مجموعة قرى بين خيبر وتيماء ليالي، ثم استسلمت، فغنم المسلمون أموالا كثيرة وتركوا الأرض والنخل بيد اليهود وعاملهم عليها مثل خيبر وصالحت تيماء على مثل صلح خيبر ووادي القرى. وبذلك تساقطت سائر الحصون اليهودية أمام قوات المسلمين وقد بلغ قتلى اليهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعين رجلا، وسبيت النساء والذراري.[1]

زواج النبي ﷺ بصفية رضي الله عنها:

وكانت صفية بنت حيي بن أخطب من السبي فأعتقها رسول الله - ﷺ - وتزوجها. فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (قدم النبي ﷺ خيبر ، فلما فتح الله عليه الحصن، ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروسا فاصطفاها رسول الله - ﷺ - لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلت، فبنى بها، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول الله - ﷺ -: آذن من حولك. فكانت تلك وليمة رسول الله - ﷺ - على صفية. ثم خرجنا إلى المدينة، قال: فرأيت رسول الله - ﷺ - يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب).[2]

قتلى اليهود وشهداء المسلمين:

وقد بلغ قتلى يهود في معارك خيبر ثلاثة وتسعين رجلا-كما ذكر الواقدي-، واستشهد من المسلمين عشرون رجلا فيما ذكر ابن اسحاق، فأما الواقدي فذكر أنهم خمسة عشر رجلا.[3]

---

[1] - السيرة النبوية للصلابي 500/2-501.

[2] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2235.

[3] - السيرة النبوية الصحيحة للعمري 327/1.

شهيد صدق الله فصدقه:

وكان من ضمن الذين أكرمهم الله – عز وجل– بالشهادة في غزوة خيبر أعرابي أسلم وهاجر إلى المدينة، فعن شداد بن الهاد الليثي: (أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي – ﷺ –، فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك ؟ فأوصى به النبي – ﷺ – بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي – ﷺ – سبيا، فقسم، وقسم له، فأعطى ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء، دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي – ﷺ–. فأخذه، فجاء به إلى النبي – ﷺ –، فقال: ما هذا ؟ قال: قسمته لك. قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا – وأشار إلى حلقه بسهم فأموت – فأدخل الجنة. فقال: إن تصدق الله يصدقك. فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي– ﷺ–، يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي — ﷺ –: أهو هو ؟ قالوا: نعم. قال: صدق الله فصدقه. ثم كفنه النبي – ﷺ –، في جبة النبي – ﷺ –، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهم هذا عبدك، خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك).[1]

يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم:

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (خرجنا مع رسول الله – ﷺ – يوم خيبر، فلم نغنم ذهبا ولا فضة، إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب، يقال له رفاعة بن زيد، لرسول الله – ﷺ – غلاما، يقال له مدعم، فوجهه رسول الله – ﷺ – إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله – ﷺ – إذا سهم عائر[2] فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة. فقال رسول الله – ﷺ –: كلا، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها

---

[1] – صحيح النسائي للألباني رقم 1952.

[2] – عائر : لا يدري من رماه.

يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا. فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي – ﷺ – فقال: شراك من نار، أو : شراكان من نار.).[1]

محاولة اغتيال النبي ﷺ بالسم:

حين مكن الله لنبيه – ﷺ – في خيبر حاولت زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، قتله بوضع السم في شاة أهدتها إليه، فأنجاه الله من هذه المؤامرة اليهودية.

وكان مع النبي – ﷺ – بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله – ﷺ –. فأما بشر فأساغها؛ ومات من أكلته التي أكل، وأما رسول الله – ﷺ — فلفظها.[2]

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه — : (أن يهودية أتت النبي – ﷺ – بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها، فقيل: ألا نقتلها ؟ قال: لا. فما زلت أعرفها في لهوات[3] رسول الله – ﷺ –).[4]

وفي رواية: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله – ﷺ– شاة فيها سم، فقال رسول الله – ﷺ –: اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود. فجمعوا له، فقال لهم رسول الله – ﷺ –: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه ؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله – ﷺ –: من أبوكم ؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله – ﷺ –: كذبتم، بل أبوكم فلان. فقالوا: صدقت وبررت. فقال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه. فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. قال لهم رسول الله – ﷺ–:

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6707.

[2] – أنظر سيرة ابن هشام 337/3. وزاد المعاد 335/3-336. والبداية والنهاية 211/2.

[3] – اللهوات : جمع لهاة ، وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أقصى الحنك .

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2617 .

من أهل النار ؟ فقالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفوننا فيها. فقال لهم رسول الله - ﷺ -: اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا. ثم قال لهم: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه. قالوا: نعم. فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ فقالوا: نعم. فقال: ما حملكم على ذلك ؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذابا نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرك).[1]

قدوم جعفر ابن أبي طالب من الحبشة:

وفي هذه الغزوة، قدم عليه - ﷺ - ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه، ومعهم الأشعريون: عبد الله بن قيس أبو موسى، وأصحابه، وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت عميس. فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: (بلغنا مخرج النبي - ﷺ - ونحن باليمن، فخرجنا إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو: اثنين وخمسين رجلا في قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا، فوافقنا النبي - ﷺ - حين افتتح خيبر، وكان أناس من الناس يقولون لنا، يعني لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي - ﷺ - زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه ؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: آلحبشية هذه، آلبحرية هذه ؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله - ﷺ - يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله ورسوله - ﷺ-، وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله - ﷺ -، ونحن كنا نؤذى

---

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 5777. ومن خلال هذا الحديث يظهر جليا أن محاولة اغتيال النبي ﷺ لم تكن من تدبير منعزل من امرأة، وإنما كانت محاولة دبرها اليهود باتفاق وعن تآمر واضح.

ونخاف، وسأذكر ذلك لنبي – ﷺ – وأسأله، والله ولا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي – ﷺ – قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا ؟ قال: فما قلت له ؟ قالت: قلت له كذا وكذا. قال: ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم – أهل السفينة – هجرتان. قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالا، يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي – ﷺ).[1]

وفي روية أخرى: (فوافقنا النبي – ﷺ – حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال: فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم). [2]

[1]– رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4230.

[2] –رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3136 .

سرايا إلى القبائل

ثم أخذ رسول الله – ﷺ – يبعث السرايا من أصحابه إلى مختلف قبائل الأعراب المنتشرة في الجزيرة العربية لتقوم بوظيفة الدعوة إلى الإسلام فإن لم يستجيبوا قاتلوهم على ذلك.

ولقد كانت هذه السرايا خلال العام السابع للهجرة.[1]

ومن هذه السرايا والبعوث:

1– سرية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – إلى نجد قبل بني فزارة، ومعه سلمة بن الأكوع، فوقع في سهمه جارية حسناء، فاستوهبها منه رسول الله – ﷺ –، وفادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة.[2]

2 – سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوَّح بقُدَيْد، في صفر أو ربيع الأول سنة 7 هـــ. كان بنو الملوح قد قتلوا أصحاب بشير بن سُوَيْد، فبعثت هذه السرية لأخذ الثأر، فشنوا الغارة في الليل فقتلوا من قتلوا، وساقوا النعم، وطاردهم جيش كبير من العدو، حتى إذا قرب من المسلمين نزل مطر، فجاء سيل عظيم حال بين الفريقين. ونجح المسلمون في بقية الانسحاب .

3 – سرية حِسْمَى، في جمادي الثانية سنة 7 هـــ...

4 – سرية عمر بن الخطاب إلى تُرَبَة، في شعبان سنة 7 هــ، ومعه ثلاثون رجلاً. كانوا يسيرون الليل ويستخفون في النهار، وأتى الخبر إلى هوازن فهربوا، وجاء عمر إلى محالهم فلم يلق أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة.

---

[1] – فقه السيرة للبوطي ص 250.

[2] – زاد المعاد 359/3.

5 – سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بناحية فَدك، في شعبان سنة 7هـــ في ثلاثين رجلاً. خرج إليهم واستاق الشاء والنعم، ثم رجع فأدركه الطلب عند الليل، فرموهم بالنبل حتى فني نبل بشير وأصحابه، فقتلوا جميعاً إلا بشير، فإنه ارْتُثَّ إلى فدك، فأقام عند يهود حتى برأت جراحه، فرجع إلى المدينة .

6 – سرية غالب بن عبد الله الليثي، في رمضان سنة 7 هـــ إلى بني عُوَال وبني عبد بن ثعلبة بالمَيْفَعَة، أو إلى الحُرَقَات من جُهَيْنَة، في مائة وثلاثين رجلاً، فهجموا عليهم جميعاً، وقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعما وشاء، وفي هذه السرية قتل أسامةُ بن زيد مِرْدَاس بن زيد بن نَهِيكَ بعد أن قال : لا إله إلا الله، فعن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال: (بعثنا رسول الله – ﷺ – في سرية. فصبحنا الحرقات من جهينة. فأدركت رجلا. فقال: لا إله إلا الله. فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي – ﷺ – فقال رسول الله – ﷺ – أقال: لا إله إلا الله وقتلته ؟ قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح. قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا. فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ).[1]

7 – سرية عبد الله بن رواحة إلى خيبر، في شوال سنة 7 هـــ في ثلاثين راكبًا. وذلك أن أسِيرا أو بشير بن زارم كان يجمع غطفان لغزو المسلمين، فأخرجوا أسيرًا في ثلاثين من أصحابه، وأطمعوه أن الرسول – ﷺ – يستعمله على خيبر، فلما كانوا بقَرْقَرَة نِيَار وقع بين الفريقين سوء ظن أفضى إلى قتل أسير وأصحابه الثلاثين.

8 – سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجَبار [بالفتح، أرض لغطفان، وقيل: لفَزَارَة وعُذْرَة] ، في شوال سنة 7 هـــ في ثلاثمائة من المسلمين، للقاء جمع كبير تجمعوا للإغارة على أطراف المدينة، فساروا الليل وكمنوا النهار، فلما بلغهم مسير بشير هربوا، وأصاب بشير نعما كثيرة، وأسر رجلين، فقدم بهما إلى المدينة، إلى رسول الله – ﷺ –، فأسلما.

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 96.

9 – سرية أبي حَدْرَد الأسلمي إلى الغابة، ذكرها ابن القيم في سرايا السنة السابعة قبل عمرة القضاء، وملخصها: أن رجلا من جُشَم بن معاوية أقبل في عدد كبير إلى الغابة، يريد أن يجمع قيسًا على محاربة المسلمين. فبعث رسول الله – ﷺ – أبا حدرد مع رجلين، فاختار أبو حدرد خطة حربية حكيمة، وهزم العدو هزيمة منكرة، واستاق الكثير من الإبل والغنم.[1]

[1] – بشيء من التصرف عن الرحيق المختوم ص 272. وكان الاعتماد في ذكر التفاصيل كما أشار المباركفوري على زاد المعاد، ورحمة للعالمين للمنصورفوري، وتلقيح فهوم أهل الأثر، ومختصر سيرة الرسول للنجدي.

عمرة القضاء

لما دخل هلال ذي القعدة سنة سبع، وهو الشهر الذي صد فيه المشركون النبي– ﷺ – عن البيت، وأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ** ﴾ [البقرة الآية: 194]، أمر رسول الله – ﷺ– أصحابه أن يتجهزوا للعمرة، ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف أحد شهدها، إلا رجال استشهدوا بخيبر، ورجال ماتوا...

حتى إذا بلغ يَأْجُج[1]، وضع الأداة كلها: الجحف والمجان، والنبل والرماح، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف، وبعث رسول الله – ﷺ – جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث بن حزن العامرية، فخطبها إليه، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، وكانت أختها أم الفضل تحته، فزوجها العباس رسول الله – ﷺ –.[2]

قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: (قدم رسول الله – ﷺ – وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون: إنه لقد قدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرا. فجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر فأطلع الله نبيه على ما قالوا، فأمرهم رسول الله – ﷺ – أن يرملوا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدهم قال: فرملوا ثلاثة أشواط، وأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون، وقال ابن عباس: و لم يمنع النبي – ﷺ – أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا).[3]

---

[1] – يأجج: موضع قرب مكة على ثمانية أميال منها.

[2] – زاد المعاد 3/370-371.

[3] – رواه أحمد في مسنده 4/239. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقريبا منه رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4256. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1266.

لقد وقف أهل مكة: الرجال والنساء والصبيان، ينظرون إلى رسول الله - ﷺ - وأصحابه وهم يطوفون بالبيت، وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله - ﷺ - يرتجز متوشحا بالسيف يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله

قد أنزل الرحمن في تنزيله

في صحف تتلى على رسوله

يا رب إني مـــؤمن بقيله

إني رأيت الحق في قبـــوله

الـــيوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الـــخليل عن خليله[1]

قال البراء بن عازب - رضي الله عنه -: (فلما دخلها- أي النبي ﷺ- ومضى الأجل، أتوا- أي المشركون- عليا فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل. فخرج النبي - ﷺ -، فتبعتهم ابنة حمزة: يا عم يا عم، فتناولها علي، فأخذها بيدها، وقال لفاطمة - عليها السلام -: دونك ابنة عمك احمليها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أحق بها، وهي ابنة عمي. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي - ﷺ - لخالتها، وقال: الخالة بمنزلة الأم. وقال لعلي: أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر: أشبهت خَلْقِي وخُلُقِي. وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا).[2]

---

[1] - زاد المعاد 371/3.

[2] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2699.

إسلام عمرو وخالد وطلحة:

وفي أوائل سنة سبع من الهجرة بعد الهدنة أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، رضي الله عنهم.[1]

قال عمرو بن العاص – رضي الله عنه –: (لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا، وإني قد رأيت أمرا، فما ترون فيه ؟ قالوا: وماذا رأيت ؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إن هذا الرأي. وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم. فجمعنا له أدما كثيرا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله – ﷺ – قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده، قال فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال مرحبا بصديقي، أهديت إلي من بلادك شيئا ؟ قال قلت: نعم أيها الملك قد أهديت إليك أدما كثيرا. قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره فلو انشقت لي الأرض لدخلت

[1] – اختلفوا كثيرا في تعين السنة التي أسلم فيها هؤلاء الصحابة، وعامة كتب أسماء الرجال تصرح أنها سنة ثمان، ولكن قصة إسلام عمرو بن العاص عند النجاشي معروفة، وأسلم خالد وعثمان بن طلحة حين رجع عمرو بن العاص من الحبشة فإنه بعد الرجوع قصد المدينة فلقياه في الطريق، وحضر الثلاثة عند النبي ﷺ وأسلموا وهذا يقتضي أنهم أسلموا في أوائل سنة سبع. والله أعلم.أنظر الرحيق المختوم ص 246.

فيها فرقا منه، ثم قلت له: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله. قال قلت: أيها الملك أكذاك هو ؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. قال قلت: أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي ثم خرجت عامدا إلى رسول الله – ﷺ – لأسلم فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان ؟ قال: والله لقد استقام المنسم وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى. قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله – ﷺ – فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله – ﷺ – : يا عمرو، بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها. قال: فبايعته، ثم انصرفت).[1]

وكان عثمان بن طلحة معهما أسلم حين أسلما.[2]

[1] – سيرة ابن هشام 3/303-304.قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد 9/586. وقال الألباني في إرواء الغليل 5/122: إسناده حسن أو قريب من الحسن.

[2] – نفس المصدر 3/305.

معركة مؤتة

ومؤتة بأدنى البلقاء من أرض الشام، وكانت — السرية – في جمادى الأولى سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله – ﷺ – بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بصرى[1]، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فأوثقه رباطا، ثم قدمه فضرب عنقه، و لم يقتل لرسول الله – ﷺ – رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، فبعث البعوث.[2]

إعداد الجيش:

وقد ندب رسول الله – ﷺ – النَّاس إلى مؤتة، فاستجاب له حوالي ثلاثة ألاف من الصحابة – رضي الله عنهم –، وهو أكبر جيش إسلامي يتم حشده حتى ذلك الوقت، فإنَّ جيش المسلمين في الحديبية، ثُمَّ في خيبر – وهما الغزوتان اللتان سبقتا مؤتة – لم يتجاوز حاجز الألفين، مِمَّا دلَّل على نجاح صلح الحديبية عملياً، وأنَّ قوة المسلمين في تنامي وتزايد مستمر.[3]

في معسكر المسلمين:

وفي الجرف،[4] عسكر الجيش الإسلامي كالعادة، وكان القائد الأعلى رسول الله – ﷺ – قد أصدر أوامره الشريفة بإسناد قيادة الجيش لمولاه وحبِّه زيد بن

---

[1] – كان ملك بصرى أميرها من جهة هرقل. انظر شرح الزرقاني 340/3.

[2] – زاد المعاد 381/3. وانظر سيرة ابن هشام 20/4. وشرح العلامة الزرقاني 339/3-340.

[3] – باختصار عن مرويات غزوة مؤتة ص 259. وانظر السيرة النبوية الصحيحة 467/2.

[4]– جاء في هامش نفس المصدر السابق مايلي: الجُرْف – بالضم ثُمَّ السكون – ما تجرَّفته السيول فأكلته من الأرض، وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة، به كانت أموال لعمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه، ولأهل المدينة. وقيل: سُمِّيَ الجُرْف، لأنَّ تُبّعاً مرَّ به، فقال: هذا جرف الأرض، وكان يُسَمَّى: العرض، وكان الجرف في عهد النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمثابة معسكر للجيوش النبوية. والجُرف اليوم من أحياء المدينة الشمالية=

حارثة – رضي الله عنه –،[1] وقال: (إنْ قُتِلَ زيد، فجعفر، وإن قُتِل جعفر، فعبد الله بن رواحة).[2]

وما ولَّى النبي – ﷺ – قبل وقعة مؤتة ولا ولَّى بعدها ثلاثة قادة أو قائدين على سرية واحدة، ولكن بُعْد نظره – عليه الصلاة والسلام – وتقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يولِّي ثلاثة قادة على سرية واحدة، مرَّة واحدة فقط في حياته العسكرية كلها.[3]

توديع الجيش الإسلامي:

ولما تهيأ الجيش الإسلامي للخروج حضر الناس، وودعوا أمراء رسول الله – ﷺ –، وسلموا عليهم، وحينئذ بكى أحد أمراء الجيش ـــ عبد الله بن رواحة ـــ فقالوا: ما يبكيك ؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله – ﷺ– يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا** ﴾[مريم الآية: 71]، فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود ؟ فقال المسلمون: صحبكم الله بالسلامة، ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين غانمين. فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحـــمن مغفرة

وضربة ذات فرْغ[4] تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حـــران مجهزة

بـــحربة تنفذ الأحـــشاء والكبدا

=الكبيرة، يمتد من مزارع العيون شرقاً، حتَّى طريق المدينة تبوك غرباً.(انظر: ياقوت: معجم 128/1، السمهودي: وفاء: 1175/4).

[1] – مرويات غزوة مؤتة ص 260.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4261.

[3] – القادة الشهداء لخطاب. نقلا عن مرويات غزوت مؤتة ص 260.

[4] – الفرغ : السعة.

حتى يقال إذا مروا على جدثي:[1]

أرشده الله من غـــاز وقد رشدا

ثم خرج القوم، وخرج رسول الله – ﷺ– مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودّعهم.[2]

مرحلة فاصلة:

فلما نزلوا معان من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مئة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام وبَلي مائة ألف، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له. فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال: والله يا قوم إن الذي تكرهونه للذي خرجتم له تطلبون الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظفر وإما شهادة.[3]

الجيشان يلتقيان في أرض المعركة:

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيتهم الجموع بقرية يقال لها: مشارف، فدنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبى المسلمون، ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة، فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعا، وأخذها جعفر، فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال، اقتحم عن فرسه، فعقرها، ثم قاتل حتى قُتل،[4] فكان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام

---

[1] – الجدث: القبر.

[2] – الرحيق المختوم ص 296. وانظر سيرة ابن هشام 21/4. وزاد المعاد 382/3-382.و البداية والنهاية 241/2-242.

[3] – مختصر سيرة الرسول للنجدي ص365. سيرة ابن هشام 22/4. وزاد المعاد 382/3. عيون الأثر 208/2-209.

[4] – جاء في سيرة ابن هشام 26/4 أن جعفر رضي الله عنه قُتل وهو يقول:

عند القتال، فقطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت يساره، فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة، ثم أخذها عبد الله بن رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم نزل، فأتاه ابن عم له، بعرق من لحم فقال: شد بها صلبك، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت. فأخذها من يده، فانتهس منها نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه وتقدم، فقاتل حتى قتل.[1]

وكان يردد أثناء المعركة:

أقسمت يا نفس لتنـــزلنه

لتنـــزلن أو لتكرهـــنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنه

مالي أراك تكرهين الجنه

قد طال ما قد كنت مطمئنه

هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضا :

يا نفس إلا تقتلي تموتي

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلي فعلهما هديت[2]

يا حبذا الجنة واقترابـــها طيبة وباردا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

[1] – زاد المعاد 283/3-284.وانظر سيرة ابن هشام 25/4-26-27.

[2] – أنظر سيرة ابن هشام 26/4-27.

خالد بن الوليد ينقذ الموقف:

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني عجلان، فقال: يا معشر المسلمين؛ اصطلحوا على رجل منكم. قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية، دافع القوم، وحاش بهم، ثم انحاز بالمسلمين، وانصرف بالناس.

وقد ذكر ابن سعد أن الهزيمة كانت على المسلمين، والذي في "صحيح البخاري" أن الهزيمة كانت على الروم.[1]

وكان الوحي يطلع النبي – ﷺ – بما يجري في المعركة، وأخبره باستشهاد القادة الثلاثة، واتفاق المسلمين على قيادة خالد بن الوليد لهم، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (أن النبي – ﷺ – نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب. – وعيناه تذرفان –: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم).[2]

وعن خالد بن الوليد – رضي الله عنه – قال: (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية).[3]

لقد استطاع سيف الله المسلول بخبرته العسكرية وتجربته الفذة في ميادين الحروب أن يجنب الجيش الإسلامي هزيمة طبيعية لكثرة عدد العدو الكبير جدا، وحصيلة ثقيلة من الشهداء، بل حوَّل انسحابه المخطط بذكاء من ساحة المعركة بعد أن نالوا من العدو بكثرة القتل في صفوفه، إلى نصر ممزوج ببطولة نادرة.

---

[1] – زاد المعاد 383/3.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4262.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4265.

شهداء المسلمين وقتلى العدو:

ورغم ضراوة هذه المعركة وكثرة أعداد جيش العدو إلا أنه لم يستشهد من المسلمين سوى اثني عشر رجلا كحد أقصى، أما الأعداء، فلم يعرف عدد قتلاهم، غير أن وصف المعركة يدل على كثرتهم.[1]

وقد نال شهداء مؤتة من كرامة الله – عز وجل- ما جعل النبي – ﷺ – يقول – فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه- حين أخبر باستشهادهم: (ما يسرنا أنهم عندنا. أو قال: ما يسرهم أنهم عندنا).[2]

كُرَّار لا فُرَّار:

فلما دنوا من المدينة [أصحاب مؤتة] تلقاهم رسول الله – ﷺ – والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله – ﷺ – مقبل مع القوم على دابة فقال: (خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر). فأتي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله. فيقول رسول الله – ﷺ –: (ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله).[3]

ولا شك أن المسلمين أفادوا دروسا وخبرات عظيمة من هذا اللقاء الأول مع الروم في مستقبل حركاتهم الجهادية معهم حيث تعرفوا على قوتهم، وعددهم، وأساليب قتالهم، وخططهم، وطبيعة الأرض التي يقاتلون عليها.[4]

---

[1]- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 547.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2798.

[3] – من مرسل ابن إسحاق وسنده حسن. انظر ابن هشام 30/4. ويرى الإمام ابن كثير أن طائفة من الجيش الإسلامي هي التي فرت في بداية التحام الجيشان، أما الجيش الإسلامي عامة فقد صمد في وجه العدو حتى انسحب بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر البداية والنهاية 248/2-249.

[4] – السيرة النبوية الصحيحة 470/2.

كما زادهم صمودهم في وجه أعظم قوة عالمية في ذلك الوقت هيبة في أعين أعدائهم المنتشرين في الجزيرة العربية، بل وأكدت أن المسلمين طراز فريد من نوعه لن يوقفهم شيء عن نشر رسالة الله رب العالمين في كل مكان انطلاقا من مدينة الرسول – ﷺ – عاصمة الإسلام الأولى.

سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل:

وذات السلاسل[1] وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادي الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله – ﷺ –.

بلغ رسول الله – ﷺ – أن جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة، فدعا رسول الله – ﷺ –، عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعه ثلاثون فرسا، وأمره أن يستعين بمن يمر به من بلي وعذرة وبلقين، فسار الليل وكمن النهار فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله – ﷺ –، يستمده فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواء وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا، فلحق بعمرو، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت علي مددا وأنا الأمير. فأطاع له بذلك أبو عبيدة، وكان عمرو يصلي بالناس.

وسار حتى وطئ بلاد بَلي ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعا فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا، ثم قفل، وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدا إلى رسول الله – ﷺ –، فأخبره بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم.[2]

---

[1] – هو ماء بأرض جذام وبه سميت الغزوة، وقيل: رمل البادية، وأغرب من قال: سميت الغزوة بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يغزوا[من هامش دلائل النبوة 398/4].

[2]– الطبقات الكبرى 121/2-122.وانظر سيرة ابن هشام 280/4.ودلائل النبوة 397/4 إلى 403. شرح الزرقاني 357 إلى 360. البداية والنهاية 272 إلى275. وعيون الأثر 214/2-215.

وفي طريق العودة احتلم عمرو في ليلة باردة فتيمم و لم يغتسل غسله للجنابة، خشية البرد، مستندا إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾[النساء الآية: 29] ثم صلى بالناس، وقد أقر الرسول - ﷺ - هذا الاجتهاد منه.[1]

فعن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: (احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي - ﷺ - فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب. فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ فضحك رسول الله - ﷺ - و لم يقل شيئا).[2]

[1] - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 552.

[2] - رواه أبو داود في سننه رقم 334. وغيره وصححه الألباني في فقه السيرة ص 371.

دخول مكة
يوم الفتح الأعظم والتمكين للإسلام والمسلمين

هو فتح أعز الله به دينه، ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا، خرج له رسول الله – ﷺ – بكتائب الإسلام، وجنود الرحمن سنة ثمان — للهجرة – لعشر مضين من رمضان، واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري. وقال ابن سعد: بل استعمل عبد الله بن أم مكتوم.[1]

سبب غزوة فتح مكة:

فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة[2]، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود بن رزن، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل، وهو يومئذ قائدهم وليس كل بني بكر تابعه حتى بيَّت خزاعة وهم على الوتير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلا، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بني بكر قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك. فقال كلمة عظيمة: لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه.

---

[1] – زاد المعاد 394/3.وانظر الطبقات الكبرى 125/2 وذكر ابن سعد أن النبي ﷺ خرج يوم الأربعاء بعد صلاة العصر.

[2] – لقد حالف بنو بكر قريشا ودخلوا في عهدها، وحالفت خزاعة النبي ﷺ ودخلت في عهده.

وقد أصابوا منهم ليلةَ بيَّتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا[1] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد فقال له منبه: يا تميم انج بنفسك، فأما أنا فوالله إني لميت قتلوني أو تركوني، لقد انبت[2] فؤادي. وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبها فقتلوه، فلما دخلت خزاعة مكة، لجأوا إلى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع.[3]

الاستنجاد بالنبي ﷺ:

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله – ﷺ – من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكان في عقده وعهده خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب حتى قدم على رسول الله – ﷺ – المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال:

يا رب إني ناشـــد مـــحمدا   حـــلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والـــدا   ثمت أسلمنا فلم نترع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا   وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تـــجردا   إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا   إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المو كـــدا   وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا   وهـــم أذل وأقل عـــددا
هم بيتونا بالوتير هجدا   وقتلونا ركـــعا وسجـــدا[4]

---

[1] – أي ضعيف الفؤاد.

[2] – أي انقطع.

[3] – سيرة ابن هشام 38/4-39. وانظر البداية والنهاية 277/2.الروض الأنف192/7-193. وعيون الأثر 323/2-324. وإمتاع الأسماع 348/1-349.

[4] – سيرة ابن هشام 24/4-25. وانظر زاد المعاد 395/3-396.

فقال رسول الله – ﷺ –: (نصرت يا عمرو بن سالم. ثم عرض لرسول الله – ﷺ – عنان من السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب).[1]

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله – ﷺ – المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم. ثم انصرفوا راجعين إلى مكة.[2]

محاولة أبي سفيان إصلاح الأمر:

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله – ﷺ – المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله – ﷺ – طوته عنه، فقال: يا بنية ؟ ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت: بل هو فراش رسول الله – ﷺ –، وأنت رجل مشرك نجس، و لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله – ﷺ –، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر.

ثم خرج حتى أتى رسول الله – ﷺ — فكلمه، فلم يرد عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله – ﷺ – فقال: ما أنا بفاعل. ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله – ﷺ – ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر[3] لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله – ﷺ –، وعندها حسن بن علي غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي إنك أمسّ القوم بي رحما، وإني قد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لي إلى رسول الله – ﷺ – فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله – ﷺ – على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة

---

[1] – أخرجه ابن اسحاق في المغازي بسند صحيح ورجاله ثقات وقد صرح فيه بالتحديث.أنظر صحيح السيرة النبوية للعلي ص 402.وانظر البداية والنهاية لابن كثير 2/277-278. والسيرة النبوية الصحيحة 2/473. وقد ذكر العمري أن سند الحديث حسن لذاته. وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 557.

[2] – سيرة ابن هشام 4/44. وانظر زاد المعاد 3/396.

[3] – أي صغار النمل.

محمد ؟ هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت: والله ما بلغ بُنَيَّ ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله – ﷺ –. قال: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني. قال: والله ما أعلم لك شيئا يغني عنك شيئا، ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك. قال: أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟ قال: لا والله ما أظنه ولكني لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك ؟ قال: جئت محمدا فكلمته، فوالله ما رد علي شيئا، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو، ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا: وبم أمرك ؟ قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت. قالوا: فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا. قالوا: ويلك والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت. قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.[1]

تجهيز جيش الفتح:

وأمر الرسول – ﷺ – أصحابه بالتجهز للغزو، و لم يعلمهم بوجهته وحرص على السرية لئلا تستعد قريش للقتال.

وقد استنفر القبائل التي حول المدينة: أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم، فمنهم من لحقه بالطريق، وقد بلغ عدد جيش المسلمين عشرة آلاف مقاتل، وأوعب مع رسول الله المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم

---

[1] – سيرة ابن هشام 4/44-45. وانظر البداية والنهاية 2/289. ودلائل النبوة للبيهقي 5/8. وعيون الأثر 2/225-226.وشرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 3/385-386.

أحد، مما يدل على طاقة المسلمين العليا في حشد الجيوش في هذه المرحلة، وكان في الجيش ألف من مزينة وألف من سليم (أو سبعمائة).

وهذا العدد الكبير يدل على تعاظم قوة المسلمين ما بين صلح الحديبية وفتح مكة.[1]

رسالة حاطب بن بلتعة إلى قريش:

لقد تجهز النبي – ﷺ – دون أن يعلم أحدا بوجهته، حتى يأتي قريشا بغتة على حين غفلة منها، فكتب الصحابي البدري حاطب بن أبي بلتعة – رضي الله عنه – كتابا أرسله إلى ناس في مكة مع امرأة يخبرهم فيه بتجهز النبي – ﷺ –، فأطلع اللهُ رسولَه على ما فعله حاطب، فأرسل النبي – ﷺ – خلف المرأة من يمسك بها وينتزع منها الرسالة.

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: (بعثني رسول الله – ﷺ – أنا والزبير والمقداد، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها. قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا رسول الله – ﷺ– فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله – ﷺ –. فقال: رسول الله – ﷺ –: يا حاطب، ما هذا ؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرءا ملصقا في قريش– يقول : كنت حليفا – و لم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين، من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، و لم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال: رسول الله – ﷺ –:

---

[1] –السيرة النبوية الصحيحة 474/2. وانظر سيرة ابن هشام 45/4-46. وطبقات ابن سعد125/2 . والبداية والنهاية 281/2-282.

أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فأنزل الله السورة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾).[1]

خروج النبي ﷺ متوجها إلى مكة:

وخرج رسول الله – ﷺ –، وذلك لعشر خلون من رمضان –كما أسلفنا في البداية –، فصام حتى بلغ الكديد، بين عسفان وأمج، فأفطر بعد صلاة العصر، وشرب على راحلته علانية ليراه الناس، وأمر بالفطر.[2] فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: (أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة في رمضان فصام ، حتى إذا بلغ الكديد أفطر فأفطر الناس).[3]

النزول بمر الظهران:

فلما نزل رسول الله – ﷺ – مرَّ الظهران، وقد عُمِّيت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله – ﷺ – ولا يدرون ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به.[4]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4274.

[2] – جوامع السيرة ص 179.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1944.

[4] – سيرة ابن هشام 48/4.

التحاق العباس ﷺ بالنبي ﷺ:

وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله – ﷺ – بالجحفة مهاجرا بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله ﷺ عنه راض.[1] وكان العباس – رضي الله عنه – قد أسلم قبل فتح خيبر.[2] ولكنه كان يكتم إسلامه.

إسلام أبو سفيان:

فلما نزل رسول الله – ﷺ – مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب: فقلت: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله – ﷺ – مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. فجلست على بغلة رسول الله – ﷺ – البيضاء فخرجت عليها، حتى جئت الأراك، فقلت لعلي: أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله – ﷺ – ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة. قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا. قال بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب فقال أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال العباس: فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة. فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل ؟ قلت : نعم. قال: مالك ؟ فداك أبي وأمي. قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله – ﷺ – في الناس، واصباح قريش والله. قال: فما الحيلة ؟ فداك أبي وأمي ؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله – ﷺ – فأستأمنه لك. قال العباس: فركب خلفي ورجع صاحباه، فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة

---

[1]– أنظر نفس المصدر السابق48/4.

[2] – السيرة النبوية الصحيحة 476/2.

رسول الله – ﷺ – وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله – ﷺ – على بغلته. حتى مررت بنار عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– فقال: من هذا ؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد. ثم خرج يشتد نحو رسول الله – ﷺ –، وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله – ﷺ –، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه. قال العباس: قلت: يا رسول الله إني قد أجرته. ثم جلست إلى رسول الله – ﷺ –. فأخذت برأسه فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل. فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلا يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف. فقال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله – ﷺ – من إسلام الخطاب لو أسلم. فقال رسول الله – ﷺ –: اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به. قال العباس: فذهبت به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله – ﷺ– فلما رآه رسول الله – ﷺ–، قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد. قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا. فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا. قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

مرور الجيش الإسلامي بأبي سفيان:

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله – ﷺ –: يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها. قال العباس: فخرجتُ حتى حبسته بمضيق الوادي، حيث أمرني رسول الله – ﷺ – أن أحبسه. قال ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه ؟ فأقول سليم. فيقول: مالي ولسليم!. ثم تمر القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول: مزينة. فيقول: مالي ولمزينة!. حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم قال: مالي ولبني فلان!. حتى مر رسول الله – ﷺ – في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار – رضي الله عنهم – لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال العباس: قلت: هذا رسول الله – ﷺ – في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما!. قال العباس: قلت : يا أبا سفيان، إنها النبوة. قال: فنعم إذن.

أبو سفيان يحذر أهل مكة:

قال العباس: قلت: النجاء إلى قومك. حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت[1] الدسم الأحمس[2] قبح من طليعة قوم قال ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا : قاتلك الله وما تغني عنا دارك ، قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.[3]

---

[1]– أي الضخم.

[2] – أي الذي لا خير عنده.

[3] – سيرة ابن هشام 50/4 إلى 53. وانظر زاد المعاد 401/3 إلى 404. صحيح السيرة النبوية، ص405 إلى 408.

اليوم يوم المرحمة:

وكان سعد بن عبادة يحمل راية الأنصار عند استعراض الجيش فقال لما مر بأبي سفيان: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فاشتكى أبو سفيان للرسول – ﷺ – من قولة سعد فقال الرسول – ﷺ –: كذب[1] سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة).[2]

وأخذ الراية من سعد بن عبادة فدفعها إلى ابنه قيس ثم كلم سعد الرسول – ﷺ – أن يأخذ الراية من ابنه قيس مخافة أن يقع في خطأ، فأخذها منه.[3]

دخول مكة بعد سنوات من الغياب:

قال أبو هريرة – رضي الله عنه –: (كنا مع رسول الله – ﷺ – يوم الفتح، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة[4] وبطن الوادي، فقال: يا أبا هريرة، ادع لي الأنصار. فدعوتهم، فجاءوا يهرولون، فقال: يا معشر الأنصار، هل ترون أوباش قريش ؟ قالوا: نعم. قال: انظروا، إذا لقيتموهم غدا أن تحصدوهم حصدا. وأخفى بيده، ووضع يمينه على شماله، وقال: موعدكم الصفا. قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه[5]).[6]

وعن عائشة – رضي الله عنها –: (أن النبي – ﷺ – دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة).[7]

---

[1] – والمقصود بكلمة كذب أي أخطأ.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4280.

[3] – مختصر زوائد البزار لابن حجر ص 248.أنظر السيرة النبوية الصحيحة 2/477-478.

[4] – أي الرجالة.

[5] – أي قتلوه.

[6] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1780.

[7] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4290.

ودخل رسول الله – ﷺ – مكة، وهو واضع رأسه تواضعا لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح.[1]

وفي دخوله مكة فاتحا – وهي قلب جزيرة العرب ومركزها الروحي والسياسي – رفع كل شعائر العدل والمساواة والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد[2] وهو ابن مولى رسول الله – ﷺ – ولم يردف أحدا من أبناء هاشم وأبناء أشراف قريش، وهم كثير.

وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان سنة ثمان من الهجرة.[3]

وركزت راية رسول الله – ﷺ – بالحجون عند مسجد الفتح.

ثم نهض رسول الله – ﷺ – والمهاجرون والأنصار بين يديه، وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنها بالقوس ويقول: ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ، إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** ﴾[الإسراء الآية:81] ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِىءُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** ﴾[سبأ الآية:49] والأصنام تتساقط على وجوهها.

وكان طوافه على راحلته، ولم يكن محرما يومئذ، فاقتصر على الطواف، فلما أكمله، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت.

---

[1]- روى البخاري في الجامع الصحيح – رقم 4835 – عن عبدالله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال: قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح ، فرجع فيها . قال معاوية : لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت.

[2] – روى البخاري في الجامع الصحيح –رقم 2988– عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته ، مردفا أسامة بن زيد.

[3] – السيرة النبوية للندوي ص 337. وانظر سيرة ابن هشام 87/4. والفصول في سيرة الرسول ص 202. وشرح العلامة الزرقاني 461/3.

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – بأيديهما الأزلام، فقال: (قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط).[1]

ورأى في الكعبة حمامة من عيدان، فكسرها بيده، وأمر بالصور فمُحيت.

ثم أغلق عليه الباب، وعلى أسامة وبلال، فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب، حتى إذا كان بينه وبينه قدر ثلاثة أذرع، وقف وصلى هناك، ثم دار في البيت، وكبر في نواحيه، ووحد الله.[2]

ثم خطب في الناس قائلا بعد أن كبر ثلاثا: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم، أو مال، تحت قدمي، إلا ما كان من سقاية الحاج، وسدانة البيت[3]. ثم قال: ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل: منها أربعون في بطونها أولادها).[4]

عفو النبي ﷺ عن أهل مكة:

لقد عفا النبي – ﷺ – عن أهل مكة عفوا عاما رغم كثرة الإيذاء الذي لقيه منهم، ومحاربتهم له، فحفظ أرواحهم، وترك لهم أموالهم، فكان عفوه – ﷺ – عنهم حياة لهم.[5]

---

[1]– رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3352.

[2] –أنظر زاد المعاد 406/3-407 بشيء قليل من التصرف.

[3] –أي ترك النبي ﷺ مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة كما كان الأمر قبل فتح مكة وقد توارث آل شيبة هذا الشرف إلى الآن.

[4] – صحيح سنن أبي داود رقم 4547. للألباني وحسنه.

[5] – ذكر أهل السير والمغازي كما هو مشهور أن النبي ﷺ قال: (ما تظنون أني فاعل بكم ؟ فقالوا: خيرًا أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ، فقال: ﴿ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾[يوسف:92]) وفي رواية: (فإني أقول= =لكم ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء). قال الدكتور العمري في السيرة

وأمر رسول الله – ﷺ – بلالا أن يصعد فيؤذن على الكعبة.[1]

فصعد بلال وأذن للصلاة، وأنصت أهل مكة للنداء الجديد على آذانهم كأنهم في حلم، إن هذه الكلمات تقصف في الجو فتقذف بالرعب في أفئدة الشياطين؛ فلا يملكون أمام دويها إلا أن يولوا هاربين، أو يعودوا مؤمنين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.[2]

لقد حاولت قريش بكل ما تملك من قوة أن تمنع هذه الكلمات من أن تنتشر في أرضها وهاهي رغم أنوفهم تُرفع في أقدس مكان على وجه الأرض، وقد نال شرف ذلك صاحب شعار: أحد، أحد...بلال بن رباح – رضي الله عنه – ...العبد المؤمن الذي قهر بهذا الشعار الرباني جلاديه يوم كان أتباع الإسلام مضطهدين في مكة.

إهدار دم بعض المشركين:

وكان الرسول – ﷺ – قد أمر قادة جيشه ألا يقاتلوا إلا من يقاتلهم، وأعلن الأمان للناس سوى أربعة رجال وامرأتين أباح دماءهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة وهم:

عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

النبوية الصحيح 481/2: عند أبي عبيدة في كتاب الأموال 143 بإسناد حسن ولكنه مرسل. وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي رحمه الله ص382:"ضعيف، رواه ابن إسحاق معضلا كما في " ابن هشام"274/2، وقد ذكره الغزالي في "الإحياء"185/3 من حديث أبي هريرة دون قوله:" اذهبوا " وقال الحافظ العراقي في تخريجه" رواه ابن الجوزي في"الوفاء" من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف" ثم ذكره الغزالي من حديث سهيل بن عمرو. فقال العراقي:" لم أجده".

[1] – زاد المعاد 409/3.

[2] – فقه السيرة للغزالي، ص383.

وقد قتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، وقتل مقيس بن صبابة في سوق مكة، وتمكن عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن سعد بن أبي سرح من الوصول إلى رسول الله – ﷺ – حيث أعلنا إسلامهما.[1]

المحيا محياكم والممات مماتكم:

لما دخل النبي – ﷺ – مكة، ظن الأنصار– خوفا من مكوثه في مكة – أنه حن لأهله وبلده خاصة حين أظهر واسع عفوه على قومه، ومنهم الذين وقفوا في مواجهة الجيش الإسلامي الفاتح فحصدهم سيوف المسلمين من الأنصار حصدا. قال أبو هريرة — رضي الله عنه –: (وصعد رسول الله – ﷺ — الصفا، وجاءت الأنصار، فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. قال أبو سفيان : قال رسول الله – ﷺ –: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. فقالت الأنصار: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته، ورغبة في قريته. ونزل الوحي على رسول الله – ﷺ –، قال: قلتم: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته، ألا فما اسمي إذا – ثلاث مرات – أنا محمد عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم. قالوا: والله، ما قلنا إلا ضنا بالله ورسوله. قال: فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم).[2]

---

[1]- السيرة النبوية الصحيحة 479/2-480. قال الحافظ ابن حجر في الفتح 11/8-12: "وقد جمعتُ أسماءهم من متفرقات الأخبار، وهم: عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نقيد –مصغرًا– ومقيس بن حبابة، وهبار بن الأسود، وقينتان كانتا لابن خطل: فرتني وقريبة، وسارة مولاة بني عبد المطلب، وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن طلال الخزاعي, وذكر الحاكم أن فيمن أهدر دمه كعب بن زهير، ووحشي بن حرب، وهند بنت عتبة".انتهى.وقد قتل بعضهم وأسلم بعضهم الآخر وحسن إسلامهم.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1780.

وفي رواية أخرى: (قالت الأنصار يوم فتح مكة ، وأعطى قريشا: والله إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائمنا ترد عليهم. فبلغ ذلك النبي - ﷺ - فدعا الأنصار فقال: ما الذي بلغني عنكم ؟ وكانوا لا يكذبون، فقالوا: هو الذي بلغك. قال: أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله - ﷺ - إلى بيوتكم ؟ لو سلكت الأنصار واديا، أو شعبا، لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم.).[1]

صلاة الشكر في دار أم هانئ:

ونزل - ﷺ - مكة واغتسل في بيت أم هانئ وصلى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين،[2] فعن أم هانئ - رضي الله عنها - قالت: (ذهبت إلى رسول الله - ﷺ - عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، فسلمت عليه، فقال: من هذه ؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب. فقال: مرحبا بأم هانئ. فلما فرغ من غسله، قام فصلى ثماني ركعات، ملتحفا في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته، فلان بن هبيرة. فقال رسول الله - ﷺ -: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ. قالت أم هانئ: وذاك ضحى).[3]

إسلام والد أبي بكر الصديق:

لقد أنعم الله - عز وجل- في يوم الفتح الأعظم بالهداية على أبي قحافة والد أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -، وقد تأخر إسلامه إلى غاية هذا اليوم، وكان شيخا كبيرا، رأسه وليحيته كالثغامة بياضا،[4] فأمر النبي - ﷺ - بتغير البياض واجتناب السواد، فعن جابر ين عبد الله - رضي الله عنهما- قال: (أتي بأبي قحافة يوم

---

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه رقم 3778.

[2] - الفصول في سيرة الرسول ص 202.

[3] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6158. ومسلم في المسند الصحيح رقم 336.

[4] - هو نبات جبلي شديد البياض إذا أمحل.

فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا، فقال رسول الله – ﷺ-: غيروا هذا بشيء، واجتنبوا السواد).[1]

خطبة الرسول ﷺ في اليوم الثاني من فتح مكة:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: (أنه عام فتح مكة، قتلت خزاعة رجلا من بني ليث، بقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله – ﷺ – فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام، لا يُختلى شوكها، ولا يُعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما يودى وإما يقاد). فقام رجل من أهل اليمن، يقال له أبو شاه، فقال: اكتب لي يا رسول الله. فقال رسول الله – ﷺ –: اكتبوا لأبي شاه. ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله، إلا الإذخر، فإنما نجعله في بيوتنا وقبورنا. فقال رسول الله – ﷺ –: إلا الإذخر).[2]

وفي رواية: عن أبي شريح العدوي الخزاعي الكعبي – رضي الله عنه — أنه قال لعمرو بن سعيد، وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا ، قام به رسول الله – ﷺ – للغد من يوم الفتح، فسمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، : (إنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله – ﷺ – فقولوا له: إن الله أذن لرسوله – ﷺ – ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب).[3]

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2102 .
[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6880.
[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1832.

أخذ البيعة من الناس:

كان من أثر عفو النبي – ﷺ – الشامل عن أهل مكة، والعفو عن بعض من أهدر دماءهم، أن دخل أهل مكة –رجالاً ونساء وأحرارًا وموالي – في دين الله طواعية واختيارًا، وبانطواء مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجا، وتمت النعمة، ووجب الشكر[1] وبايع رسول الله – ﷺ – الناس جميعا الرجال والنساء، والكبار والصغار، وبدأ بمبايعة الرجال، فقد جلس لهم على الصفا، فأخذ عليهم البيعة على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا،[2] فعن مجاشع بن مسعود السلمي – رضي الله عنه – قال: (أتيت النبي – ﷺ – بأخي بعد الفتح، قلت: يا رسول الله، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها. فقلت: على أي شيء تبايعه ؟ قال: أبايعه على الإسلام، والإيمان، والجهاد).[3] وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: (أن النبي – ﷺ – قال يوم الفتح: لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا).[4]

ثم بايع النبي – ﷺ – النساء، فعن عائشة بنت قدامة قالت: (كنت مع أمي رائطة بنت سفيان والنبي – ﷺ – يبايع النساء، يقول: أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا – إلى أن قال ﷺ – ولا تعصينني في معروف فأطرقن. فقال: قلن نعم فيما استطعتن. فكن يقلن وأقول معهن وأمي تلقنني فكنت أقول كما يقلن).[5]

وكانت في النسوة المبايعات هند بنت عتبة، فعن عائشة – رضي الله عنها –: (أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما

---

[1] – السيرة النبوية لأبي شهبة 372/2.
[2] – أنظر السيرة النبوية للصلابي 604/2.
[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4305.
[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2825.
[5] – قال في صحيح السيرة النبوية: أخرجه أحمد 365/6 وسنده حسن، وانظر الإصابة في تميز الصحابة 351/4 ترجمة رقم 811، وقال الحافظ بعد أن عزاه لأحمد:" ورويناه بعلو في المعرفة لابن منده من وجه آخر".

يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف).[1]

وما مست يد رسول الله – ﷺ – يد امرأة قط، فقد كان يبايعهن من غير مصافحة، فعن عائشة – رضي الله عنه – قالت: (ولا والله ما مست يده – أي النبي ﷺ – يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك.).[2]

مقام النبي ﷺ في مكة:

وأقام رسول الله – ﷺ – بمكة تسعة عشر يومًا[3] يجدد معالم الإسلام، ويرشد الناس إلى الهدى والتقى، وخلال هذه الأيام أمر أبا أسيد الخزاعي، فجدد أنصاب الحرم، وبث سراياه للدعوة إلى الإسلام، ولكسر الأوثان التي كانت حول مكة، فكسرت كلها.[4]

سرايا النبي لتطهير مكة من الأصنام:

- سرية خالد بن الوليد لهدم العزى: بعث النبي – ﷺ – سرية على رأسها خالد بن الوليد – رضي الله عنه – عقب فتح مكة إلى العزة بنخلة، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، لخمس ليال بقين من رمضان، سنة ثمان، ومعه ثلاثون فارسا لهدمها.[5] فهدمها وأزالها من الوجود بفضل الله.

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 5364.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4891.

[3] – قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب اللدنية 486/3: " رواية تسع عشرة أرجح الروايات، ويرجحها أيضا أنها أكثر ما وردت به الروايات الصحيحة ".

[4] – الرحيق المختوم ص 292.

[5] – شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية 487/3-488.

- **سرية عمرو بن العاص إلى سواع**: ثم بعث عمرو بن العاص إلى سواع، وهو صنم لهذيل ليهدمه، فدنا منه وكسره وأمر أصحابه فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئا.[1]

- **سرية زيد بن سعد الأشهلي إلى مناة**: ثم بعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة، وكانت بالمشلل عند قديد للأوس والخزرج وغسان وغيرهم، فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها، وأقبل إلى الصنم، ومعه أصحابه فهدمه، وكسروه، و لم يجدوا في خزانته شيئا.[2]

– **سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة**: ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، بعثه رسول الله – ﷺ – إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام، فخرج أول شوال في ثلاثمائة وخمسين إلى أسفل مكة وانتهى إليهم.[3] قال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –: (بعث النبي – ﷺ – خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا. فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. حتى قدمنا على النبي – ﷺ – فذكرناه، فرفع النبي – ﷺ– يديه فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.– مرتين–).[4]

وقد كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنهما – كلام بسبب هذه الحادثة، فعن أبي سعيد الخذري – رضي الله عنه – قال: (كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله – ﷺ –:

---

[1] – زاد المعاد 414/3.

[2] – نفس المصدر 414/3-415.

[3] – إمتاع الأسماع 6/2.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4339.

(لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه).[1]

وبعث رسول الله – ﷺ – عليا فودَّى لهم قتلاهم وزادهم فيها تطيبا لنفوسهم وبراءة من دمائهم.

وكان قتلُ خالد لبني جذيمة تأولا منه واجتهادا خاطئا، وذلك بدليل أن الرسول – ﷺ – لم يعاقبه على فعله.[2]

من نتائج الفتح العظيم:

1- دخلت مكة تحت نفوذ المسلمين، وزالت دولة الكفر منها، وحانت الفرصة للقضاء على جيوب الشرك في حنين والطائف، ومن ثم إلى العالم أجمع.

2- أصبح المسلمون قوى عظمى في جزيرة العرب، وبعد فتح مكة، تحققت أمنية الرسول – ﷺ – بدخول قريش في الإسلام، وبرزت قوة كبرى في الجزيرة العربية لا يستطيع أي تجمع قبلي الوقوف في وجهها، وهي مؤهلة لتوحيد العرب تحت راية الإسلام ثم الانطلاق إلى الأقطار المجاورة، لإزالة حكومات الظلم والطغيان، وتأمين الحرية لخلق الله لكي يدخلوا في دين الله، ويعبدوه وحده من دون سواه.[3]

3-كان لهذا الفتح آثار عظيمة دينية وسياسية واجتماعية، وقد بدأت هذه الآثار بصورة يلمسها كل من يمعن النظر في هذا الفتح المبارك، فأما الآثار الاجتماعية فتمثلت في رفقه – ﷺ – بالناس وحرصه على الأخذ بأيديهم ليعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم، وبالوضع الجديد الذي سيطر على بلدهم، وتعيين من يعلمهم، ويفقههم في دينهم، فقد أبقى ﷺ معاذ بن جبل في مكة بعد انصرافه عنها ليصلي بالناس، ويفقههم في دينهم، وأما الآثار السياسية فقد عين عتاب بن أسيد أميرًا على مكة،

---

[1] - رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2541 .

[2] - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 579.

[3] - قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية، أحمد عرموش، ص129.

يحكم في الناس بكتاب الله، فيأخذ لضعيفهم، وينتصر للمظلوم من الظالم،[1] وأما الآثار الدينية فإن فتح مكة وخضوعها لسلطان الإسلام، قد أقنع العرب جميعًا بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده فدخلوا فيه أفواجا.[2]

4- تحقق وعد الله بالتمكين للمؤمنين الصادقين بعد ما ضحوا بالغالي والنفيس، وحققوا شروط التمكين وأخذوا بأسبابه، وقطعوا مراحله وتعاملوا مع سننه كسنة الابتلاء، والتدافع، والتدرج، وتغير النفوس، والأخذ بالأسباب.[3]

---

[1] - تأملات في سيرة الرسول ص266.

[2] - المصدر نفسه ص267.

[3] - أنظر السيرة النبوية للصلابي 627/2-228.

غزوة حنين
وتسمى أيضا غزوة هوازن

حنين، واد في طريق الطائف إلى جنب ذي المجاز، بينه وبين مكة ثلاث ليال، وتسمى غزوة أوطاس اسم لموضع كانت به الموقعة وهو واد في ديار هوازن، وتسمى الغزوة أيضاً غزوة هوازن، وهوازن اسم قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون وكانت هذه الغزوة في العاشر من شوال سنة ثمان من الهجرة.

وسببها: أن رسول الله – ﷺ – لما فتح مكة خافت أشراف هوازن وثقيف أن يسير إليهم ويغزوهم فعزموا على قتاله قبل أن يقاتلهم ويقال: إنهم كانوا يستعدون للقتال قبل فتح مكة وذلك حين سمعوا بخروج رسول الله من المدينة وهم يظنون أنه إنما يريدهم، فأسندوا الرياسة والقيادة إلى مالك بن عوف أحد بني نصر وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، فاجتمع إليه من القبائل جموع كثيرة، منهم بنو سعد بن بكر، وهم الذين كان رسول الله – ﷺ — مسترضعاً فيهم ومعهم دُرَيد بن الصِّمَّة رئيس بني جُشَم وسيدهم وكان شجاعاً مجرباً، لكنه كان شيخاً بلغ مئة وعشرين سنة، وقيل: أكثر من ذلك، وقد عمي وصار لا ينتفع إلا برأيه وخبرته ومعرفته بالحروب، وكان قائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وقد أسلم بعد ذلك.[1]

رأي مجرب لم يؤخذ به:

واجتمعوا في أربعة آلاف مقاتل، وخرجوا بأموالهم وأولادهم ونسائهم لئلا يفروا، فساروا حتى انتهوا إلى أوطاس[2]، فلما نزلوا بأوطاس اجتمع الناس وفيهم دريد بن الصمة، فلما نزل قال: في أي واد أنتم ؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم، مجال

[1] – محمد رسول الله لرضا ص325. وانظر سيرة ابن هشام 87/4. وطبقات بن سعد 138/2-139.وزاد المعاد464/3-465. الروض الأنف 274/7-275.وعيون الأثر 253/2.

[2] – أوطاس: واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين.

الخيل، لا حزن ضرس[1]، ولا سهل دهس[2]. قال: مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار[3] الشاء ؟ قيل: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: أين مالك ؟ فدعي له، فقال: يا مالك إنك أصبحت رئيس قومك، وإن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء ؟ قال: سقت مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: راعي ضأن والله، وهل يرد المنهزم شيء ؟ إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد. قال: غاب الحد[4] والجد، لو كان يوم علاء ورفعة، لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم ؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذانك الجذعان[5] لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن[6] في نحور الخيل شيئا، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعُليا قومهم، ثم الْقَ الصبأة[7] على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك. قال: لا والله لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك. والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأي. قالوا: أطعناك. قال دريد: هذا يوم لم أشهده و لم يفتني.

---

[1] – الحزن: المرتفع من الأرض. والضرس: الذي فيه حجارة محددة.

[2] – الدهس: اللين الكثير التراب.

[3] – أي صوتها.

[4] – يقصد غابت الشجاعة والحدة.

[5] – يريد أنهما ضعيفان

[6] – أي جماعتهم.

[7] – جمع صابئ، وقصد بهم المسلمين.

يا ليتني فيها جذع

أخبُّ فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع

كأنها شاة صدع[1]

النبي ﷺ يبعث من يأتيه بخبر الجمع:

ولما سمع بهم نبي الله – ﷺ – بعث إليهم عبد الله أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم يأتيه بخبرهم.

فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله – ﷺ – وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ثم أقبل حتى أتى رسول الله – ﷺ – فأخبره الخبر.[2]

جيش المسلمين يتوجه إلى حنين:

خرج إليهم رسول الله – ﷺ – من مكة يوم السبت لست خلون من شوال، في اثني عشر ألفا من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفان ممن أسلم من أهل مكة، وهم الطلقاء، وخرج معه ثمانون من المشركين، منهم صفوان بن أمية، وكان رسول الله – ﷺ – استعار منه مائة درع بأداتها، فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال.[3]

---

[1]– مختصر سيرة الرسول ص 393-394. وانظر سيرة ابن هشام 87/4-88. وزاد المعاد 466/3-467.

[2] – سيرة ابن هشام 90/4. وانظر طبقات ابن سعد 139/2.والروض الأنف278/7.وشرح العلامة الزرقاني 500/3.

[3] – المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني 499/3-500.

تلك غنيمة المسلمين غدا:

وأرسل المسلمون بعيوهم لتترصد حركة أعدائهم، وتأتيهم بأخبارهم حتى لا يؤخذوا على غرة، فعن سعل بن الحنظلية – رضي الله عنه –: (أهم ساروا مع رسول الله – ﷺ – يوم حنين فأطنبوا السير حتى كانت عشية فحضرت الصلاة عند رسول الله – ﷺ – فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين. فتبسم رسول الله – ﷺ – وقال: تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله. ثم قال: من يحرسنا الليلة ؟ قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله. قال: فاركب. فركب فرسا له، فجاء إلى رسول الله – ﷺ – فقال له رسول الله – ﷺ –: استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة. فلما أصبحنا خرج رسول الله – ﷺ – إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال: هل أحسستم فارسكم. قالوا: يا رسول الله ما أحسسناه. فثوب بالصلاة، فجعل رسول الله – ﷺ – يصلي وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته وسلم قال: أبشروا فقد جاءكم فارسكم. فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله – ﷺ – فسلم فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله – ﷺ –، فلما أصبحت اطلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا فقال له رسول الله – ﷺ – هل نزلت الليلة قال لا، إلا مصليا أو قاضيا حاجة. فقال له رسول الله – ﷺ –: قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها).[1]

---

[1] – رواه أبو داود في سننه رقم 2501. بسند صحيح كما قال الشيخ الألباني في فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 388.

جاسوس يحاول اختراق الصفوف:

لقد سعى العدو بكل وسيلة ليجمع الأخبار والمعلومات عن الجيش الإسلامي القادم من مكة، فحاول تتبع تحركاته بالتفصيل، ومعرفة أدقها من خلال محاولة اختراق صفوفه قبل نشوب المعركة، ولهذا أرسلوا رجلا منهم إلى حيث يقيم المسلمون، ويحاول ترصدهم وجمع المعلومات دون أن يتفطن له أحد، ولكن انكشف أمره ولقي حتفه، قال سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه –: (غزونا مع رسول الله – ﷺ – هوازن، فبينا نحن نتضحى مع رسول الله – ﷺ – إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه، ثم انتزع طلقا من حقبه فقيد به الجمل، ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر، وفينا ضعفة ورقة في الظهر، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد، فأتى جمله فأطلق قيده، ثم أناخ وقعد عليه، فأثاره، فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة ورقاء، قال سلمة: وخرجت أشتد، فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدمت، حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل فأنخته، فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي فضربت رأس الرجل، فندر، ثم جئت بالجمل أقوده، عليه رحله وسلاحه، فاستقبلني رسول الله – ﷺ – والناس معه. فقال: من قتل الرجل ؟ قال: ابن الأكوع. قال: له سلبه أجمع).[1]

نشوب المعركة ومفاجأة غير متوقعة:

وعلم مالك بن عوف بمقدم رسول الله – ﷺ – فعبأ أصحابه في وادي حنين وانتشروا يكمنون في أنحائه، وأوعز إليهم أن يحملوا على محمد وأصحابه حملة واحدة.

ووصل المسلمون إلى وادي حنين، فانحدروا فيه في غبش الصبح، فما راعهم إلا الكتائب خرجت إليهم من مضايق الوادي وشعبه وقد حملوا حملة واحدة على

[1] - رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1754.

المسلمين، فانكشفت الخيول وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد منهم على الآخر.[1]

وهنا ظهرت شجاعة النبي – ﷺ – الذي كان يوَّجه بغلته نحو جموع المشركين رغم محاولة العباس وأبي سفيان منع بغلته من التقدم خوفا عليه. وفي رواية عن البراء – رضي الله عنه –: (أنه – ﷺ – نزل، ودعا، واستنصر، وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزل نصرك).[2]

ثبات يجلب النصر بإذن الله:

قال العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه – وهو شاهد عيان على ما حدث في غزوة حنين: (شهدت مع رسول الله – ﷺ – يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله – ﷺ –، فلم نفارقه، ورسول الله – ﷺ – على بغلة له، بيضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي.

فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله – ﷺ – يركض على بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله – ﷺ – أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله – ﷺ –، فقال رسول الله – ﷺ –: أي عباس ناد أصحاب السمرة. فقال العباس – وكان رجلا صيتا – : فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة ؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم، حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك، يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله – ﷺ – وهو على بغلته، كالمتطاول عليها، إلى قتالهم، فقال رسول الله – ﷺ –: هذا حين حمي

[1] – فقه السيرة النبوية للبوطي 285.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2930. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1776واللفظ له.

الوطيس. قال: ثم أخذ رسول الله – ﷺ – حصيات فرمى بهن وجوه الكفار. ثم قال: انهزموا ورب محمد. قال العباس: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا).[1]

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث وابنه، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد. وأيمن بن عبيد، قُتل يومئذ.[2]

وكانت أم سليم – رضي الله عنها – صامدة كعادتها، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (قتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ أسلابهم، ولقي أبو طلحة أم سليم ومعها خنجر فقال: يا أم سليم ما هذا معك ؟ قالت: أردت والله إن دنا مني بعضهم أبعج به بطنه. فأخبر بذلك أبو طلحة رسول الله – ﷺ –).[3]

لم تصمد هوازن وحلفاؤها طويلا، فقد استعاد المسلمون زمام المبادرة، وجالدوهم جلادا شديدا، وقصد علي بن أبي طالب حامل علم هوازن، وتبعه رجل من الأنصار، فضرب علي عرقوبي جمله، فوقع الجمل على عقبه وأجهز الأنصاري على الرجل.[4]

فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا.[5] وغنم المسلمون غنائم كثيرة في هذه المعركة.[6]

---

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1775.

[2] – سيرة ابن هشام 93/4.

[3] – رواه أبو داود بسند حسن رقم 2718 .

[4] – القدوة في السيرة النبوية ص427.

[5] – سيرة ابن هشام 100/4.

[6] – قال ابن القيم في زاد المعاد 473/3 : " كان السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألفا، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة ".

وأمر رسول الله – ﷺ – بالغنائم فجُمعت من الإبل والغنم والرقيق، وأمر أن تُساق إلى الجعرانة[1] فتحبس هناك، وجعل على الغنائم مسعود بن عمرو الغفاري.[2]

وقال رسول الله –ﷺ –: (من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه).[3] وأمر بطلب العدو، فانتهى بعضهم إلى الطائف، وبعضهم نحو نخلة، ووجه قوم منهم إلى أوطاس.[4]

وفي هذه الغزوة نزل قول الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[التوبة:25-27].

تتبع الفارين من المشركين إلى أوطاس:

قال أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه –: (لما فرغ النبي – ﷺ – من حنين بعث أبا عامر– الأشعري – على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني. فقصدت له فلحقته، فلما رآني ولّى ، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي، ألا تثبت. فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم. فنزعته فنزا منه الماء، قال: يا بن أخي أقرئ النبي – ﷺ – السلام، وقل له:

---

[1] – الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.

[2] – البداية والنهاية 335/2.

[3] – رواه البخاري عن أبي قتادة الأنصاري في الجامع الصحيح رقم 4321.

[4] – تاريخ الإسلام للذهبي 587/2.

استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرا ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي – ﷺ – في بيته على سرير مرمل وعليه فراش، قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعبيد أبي عامر . ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس. فقلت: ولي فاستغفر. فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما. قال أبو بردة:[1] إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى).[2]

حصار الطائف:

ولما فرغ رسول الله – ﷺ – من حنين لعشر من شوال في السنة الثامنة من الهجرة سار إلى الطائف[3] يريد جمعا من هوازن وثقيف قد هربوا من معركة حنين وتحصنوا بحصن الطائف، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته طليعة في ألف رجل، فسلك – عليه الصلاة والسلام – في طريقه إلى الطائف نخلة اليمانية ثم على قرن ثم على بحرة الرغاء من لية فابتنى فيها مسجدا فصلى فيه.[4]

وقد كانت ثقيف رَمّوا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيأوا للقتال وكان معهم مالك بن عوف النضري.

---

[1] – وهو راوي الحديث عن أبيه أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4323. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2498.

[3] – تقع على بعد خمسة وسبعين ميلًا إلى الجنوب الشرقي من مكة، على ربوة عالية يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر خمسة آلاف قدم، على ظهر جبل غزوان1. وتحف بها وديان كثيرة تسيل فيها المياه في موسم الأمطار، وحولها عيون وآبار كثيرة، وهي خصيبة تنبت الأشجار والفواكه والحبوب إلى الوقت الحاضر، كما أن جوها لطيف بالنسبة لعلوها، فاعتدال الجو وخصوبة التربة حببا إلى المسافر أن ينزل فيها وإلى المستعمر أن ينتجعها. انظر " مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم" ص24.

[4] – مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 403.

وسار رسول الله – ﷺ – فترل قريباً من حصن الطائف، وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلاً.

فارتفع رسول الله – ﷺ– إلى موضع مسجد الطائف الذي أنشئ بعد ذلك، وكان معه – ﷺ – من نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قبتين، وكان يصلي بين القبتين الصلاة مقصورة.

ودام حصار الطائف ثمانية عشر يوماً.[1] ونصب عليهم المنجنيق، ونثر الحسَك سقبين من عيدان حول الحصن ونادى منادي رسول الله: أيما عبد نزل من الحصن وخرج لنا فهو حر، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً فأعتقهم رسول الله – ﷺ –.

وأمر رسول الله – ﷺ – بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً ثم سألوه أن يدعها فتركها، و لم يؤذن لرسول الله – ﷺ – في فتح الطائف، فأمر عمر بن الخطاب، فأذن في الناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك ثم أذعنوا.[2]

واستعمل المسلمون في هذه الغزوة الدَّبابة وهي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود – أو الخشب – يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها.[3]

[1] – وهذا قول ابن سعد في الطبقات 146/2.وقال ابن إسحاق : حاصرها بضعا وعشرين ليلة " أنظر ابن هشام 134/4. وروى مسلم في المسند الصحيح–رقم 1059–عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:"... انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة...".

[2] – روى البخاري في الجامع الصحيح –رقم7480– عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: " حاصر النبي ﷺ أهل الطائف فلم يفتحها، فقال : (إنا قافلون غدا إن شاء الله) . فقال المسلمون : نقفل و لم نفتح ، قال : (فاغدوا على القتال) . فغدوا فأصابتهم جراحات ، قال النبي ﷺ : (إنا قافلون غدا إن شاء الله) . فكأن ذلك أعجبهم ، فتبسم رسول الله ﷺ.

[3] – محمد رسول الله لرضا بشيْ من الاختصار ص332. وانظر سيرة ابن هشام 130/4 إلى 139. والروض الأنف331/7.وتاريخ الطبري84/3. والبداية والنهاية 346/2إلى 351.

فلما ارتحلوا واستقلوا، قال – ﷺ –: (قولوا: آيبون تائبون، عابدون لربنا حامدون)، وقيل: يا رسول الله؛ ادع الله على ثقيف، فقال: (اللهم اهد ثقيفا وائت بهم).[1]

تقسيم الغنائم:

رحل المسلمون إلى الجعرانة حيث حبست الغنائم، و لم يبادر الرسول – ﷺ – بتوزيعها، راجيا أن تأتي هوازن إليه نادمة، فيتنازل لها عما فقدت ليتألفها بذلك.[2]

ولكن حين أبطأت عليه قام بتقسيم الغنائم على المسلمين وخص منهم بعض السادة والأشراف من حديثي الإسلام أو ممن يرجو إسلامهم، يتألف بذلك قلوبهم، فعن رافع بن خديج – رضي الله عنه – قال: (أعطى رسول الله – ﷺ – أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم، مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك. فقال عباس بن مرداس :

أتـــجعل نـــهبي ونـــهب

العبيد بين عيينة والأقرع ؟

فما كان بدر ولا حابس

يفوقان مرداس في المجمع.

وماكنت دون امرئ منهما

ومن تخفض اليوم لا يرفع.

---

[1] – زاد المعاد 497/3. قال محققاه في هامش نفس الصفحة: " أخرج أكثره البخاري 36/8. من حديث ابن عمر ، ومسلم (1778) من حديث ابن عمر، وروى مسلم (1344) من حديث ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج أو العمرة قال: " آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده."، وقوله:" اللهم اهد ثقيفا " أخرجه أحمد 343/3، والترمذي (3937) من حديث جابر بن عبد الله، ورجاله ثقات، وفي مرسل ابن الزبير عند ابن أبي شيبة قال: لما حاصر النبي ﷺ الطائف، قال أصحابه: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم، فقال:" اللهم اهد ثقيفا ".

[2] – القدوة في السيرة النبوية ص 431.

قال : فأتم له رسول الله ﷺ مائة).[1]

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: (لما كان يوم حنين، آثر النبي – ﷺ – أناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله. فقلت: والله لأخبرنَّ النبي – ﷺ –، فأتيته فأخبرته، فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر).[2]

وعندما لم تتضح حكمة هذا التقسيم عند بعض جفاة الأعراب–أيضا–[3]طالبوا النبي – ﷺ – بأسلوب فض أن يعطيهم من الغنائم، فقابل فضاضتهم بالحلم والصبر والرحمة. فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: (أتى رجل رسول الله – ﷺ — بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله – ﷺ – يقبض منها، يعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل. قال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي).[4] وعن جبير بن مطعم – رضي الله عنه –: (أنه بينما هو مع رسول الله – ﷺ – ومعه الناس، مقبلا من حنين، علقت رسول الله – ﷺ – الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف رسول الله – ﷺ – فقال: أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العضاه[5] نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا، ولا كذوبا، ولا جبانا).[6]

---

[1] رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1060.
[2] رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3150.
[3] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 599.
[4] رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1063.
[5] –شجرة فيها شوك.
[6] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3148.

الأنصار يجدون من قسمة النبي ﷺ:

لما أعطى رسول الله – ﷺ – ما أعطى من تلك العطايا في قريش، وفي قبائل العرب، و لم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة[1]، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (أن أناسا من الأنصار قالوا لرسول الله – ﷺ –، حين أفاء الله على رسوله – ﷺ – من أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله– ﷺ –، يعطي قريشا ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم. قال أنس: فحدث رسول الله – ﷺ – بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، و لم يدع معهم أحدا غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله – ﷺ – فقال: ما كان حديث بلغني عنكم ؟ قال له فقهاؤهم: أما ذوو آرائنا يا رسول فلم يقولوا شيئا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله – ﷺ– يعطي قريشا، ويترك الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله – ﷺ –: إني لأعطي رجالا حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وترجعوا إلى رحالكم برسول الله – ﷺ–، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. قالوا: بلى يا رسول الله رضينا. فقال لهم: إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله تعالى ورسوله – ﷺ – على الحوض).[2]

وفي رواية أخرى عنه – رضي الله عنه– قال: (لما كان يوم حنين، أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم، ومع النبي – ﷺ – عشرة ألاف، ومن الطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينة فقال: يا معشر الأنصار. قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك. ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار. قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء فترل فقال: أنا عبد الله ورسوله. فالهزم المشركون،

---

[1] – سيرة ابن هشام 152/4.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3741.

فأصاب يومئذ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء و لم يعط الأنصار شيئا، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن ندعى، ويعطى الغنيمة غيرنا. فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال: يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني عنكم ؟ فسكتوا، فقال: يا معشر الأنصار، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله – ﷺ – تحوزونه إلى بيوتكم. قالوا: بلى. فقال النبي – ﷺ –: لو سلك الناس واديا، وسلكت الأنصار شعبا، لأخذت شعب الأنصار).[1]

قدوم وفد هوازن:

وقَدِمَ وفدُ هوازنَ على رسول الله – ﷺ –، وهم أربعة عشر رجلا، ورأسهم زهير بن صرد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله – ﷺ – من الرضاعة فسألوه أن يمن عليهم بالسبي والأموال[2]، فخيرهم النبي – ﷺ – بين المال والسبي، فاختاروا أن يرد عليهم أهليهم.فعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم : (أن رسول الله – ﷺ —حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، قال لهم: أحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال، وقد كنت استأنيت بهم. وقد كان رسول الله – ﷺ – انتظر آخرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله – ﷺ – غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا. فقام رسول الله – ﷺ – في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإن أخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد لهم سبيهم، من أحب أن يطيب فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه، حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل. فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله لهم. فقال لهم رسول الله – ﷺ – : إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4337.

[2] – زاد المعاد 475/3.

أمركم. فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله – ﷺ – فأخبروه أنهم قد طيبوا فأذنوا. فهذا الذي بلغنا عن سبي هوازن).[1]

إسلام مالك بن عوف:

وسألهم النبي – ﷺ – عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف، فأخبرهم رسول الله – ﷺ – أنه إن أتاه مسلما رد عليه أهله وماله وأعطاه مئة من الإبل، فأتى مالك بذلك فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله – ﷺ – قال له ما قال فيحبسوه، فأمر براحلته فهيئت له، وأمر بفرس له فأتي به إلى الطائف، فخرج ليلا، فجلس على فرسه فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها، فلحق برسول الله – ﷺ – فأدركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مئة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه.[2]

رجوعه ﷺ إلى المدينة:

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً[3] فلما فرغ انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف على مكة عتاب بن أسيد.[4]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3131.

[2] – أنظر سيرة ابن هشام 143/4. والسيرة النبوية الصحيحة للعمري 517/2. والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 600.

[3] قال الإمام ابن القيم في الزاد 405/3:" أحرم من الجعرانة بعمرة، وكان داخلا إلى مكة، وهذه هي السنة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير ممن لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منها بعمرة، ثم يرجع إليها، فهذا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه البتة، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس، زعموا أنه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وغلطوا، فإنه إنما أحرم منها داخلا إلى مكة، ولم يخرج منها إلى الجعرانة ليحرم منها، فهذا لون، وسنته لون.. وبالله التوفيق".

[4] – انظر سيرة ابن هشام 153/4. وزاد المعاد 498/3.

بعث الجباة لجمع الصدقات

وبعث رسول الله – ﷺ – عددا من جباة الصدقة " الزكاة " إلى جهات مختلفة في مطلع العام التاسع.[1]

ومن هؤلاء الجباة ابن اللتبية الأزدي الذي استعمله النبي – ﷺ – على الصدقة، وبعثه إلى بني سليم، فعن أبي حميد الساعدي – رضي الله عنه – قال: (استعمل رسول الله – ﷺ – رجلا على صدقات بني سليم، يُدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله – ﷺ –: (فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا). ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاَّني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفنَّ أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر). ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه، يقول: اللهم هل بلغت. قال أبوحميد الساعدي: بصر عيني وسمع أذني).[2]

---

[1] – الشذرات الذهبية ص 159. قال ابن إسحاق –بدون إسناد وغير المسند من أقسام الضعيف–:"وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها ؛ وبعث زياد بن لبيد ، أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدي بن حاتم على طيئ وصدقاتها ، وعلى بني أسد ؛ وبعث مالك بن نويرة – قال ابن هشام : اليربوعي – على صدقات بني حنظلة وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران ، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم" أنظر سيرة ابن هشام .

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6979.

غزوة تبوك أو العسرة

تَبُوك[1] موضع بين وادي القرى والشام بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة وهي غزوة العسرة، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ** ﴾[التوبة الآية: 117].

وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة وهي آخر غزواته – ﷺ – وكان الوقت حين خروجه حراً شديداً وقحطاً شديداً، ولذلك لم يور عنها كعادته في سائر الغزوات بل بيَّنها للناس وأخبرهم أنه يريد الروم وكانوا من شدة الحر ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أي الشدة والضيق وهي آخر غزواته ﷺ .[2]

سببها:

بلغ رسول الله – ﷺ –، أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء، فندب رسول الله – ﷺ – الناس إلى الخروج.[3]

---

[1] – هي الآن مدينة في المملكة العربية السعودية شمال المدينة على بعد 700 كلم.

[2] – محمد رسول الله لمحمد رضا ص336.وانظر سيرة ابن هشام 169/4-170.وطبقات ابن سعد 150/2-151-153. والروض الأنف384/7. وإمتاع الاسماع 47/2.

[3] – طبقات ابن سعد150/2-151.وانظر زاد المعاد 527/3-528. وذهب ابن كثير في البداية والنهاية 3/3 إلى أن النبي ﷺ عزم على غزو الروم عام تبوك لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله. وقد قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾.[التوبة:123].

الإنفاق لتجهيز الجيش الإسلامي:

وحث رسول الله – ﷺ – الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان – رضي الله عنه – أكثر المنفقين.[1]

فعن عبد الرحمن بن سمرة – رضي الله عنه – قال: (جاء عثمان إلى النبي – ﷺ – بألف دينار. – قال الحسن بن واقع: في موضع آخر من كتابي: في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره– قال عبد الرحمن: فرأيت النبي – ﷺ – يقلبها في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين).[2]

وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: (أمرنا رسول الله – ﷺ – يوما[3] أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما. فجئت بنصف مالي فقال رسول الله – ﷺ –: ما أبقيت لأهلك ؟ قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر – رضي الله عنه – بكل ما عنده فقال له رسول الله – ﷺ –: ما أبقيت لأهلك ؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدا).[4]

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو – رضي الله عنه – قال: (لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون:

---

[1] – السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 615. روى البخاري في الجامع الصحيح رقم 2728: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث حوصر، أشرف عليهم، وقال: أنشدكم بالله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: " من حفر رومة فله الجنة"، فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: " من جهز جيش العسرة فله الجنة "، فجهزته، قال: فصدقوه بما قال.

[2] – صحيح الترمذي رقم 3701 للألباني وحسنه.

[3] – أي يوم تجهيز جيش العسرة.

[4] – صحيح سنن أبي داود رقم 1678. للألباني وحسنه. ورواه الترمذي رقم 3675. وقال: حديث حسن صحيح.

إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء. فترلت: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ** ﴾.[التوبة الآية:79].[1]

بين المنافقين الكاذبين والمؤمنين الصادقين:

عندما أعلن الرسول – ﷺ – النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس[2]، وتعللوا بعلل، وكرهوا الخروج مع رسول الله – ﷺ – إشفاقا من العدو القوي القاهر، وفرارا من الحر الشديد، وزهادة في الجهاد، وشكًّا في الحق[3]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[التوبة: 81-82].

ومنهم من استأذن النبي – ﷺ – بالبقاء بعذر سخيف وهو مخافة الافتتان بنساء الروم، وقيل هذه الآية نزلت في الجد بن قيس أحد بني سلمة[4]: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ [التوبة الآية: 49]. فأذن النبي – ﷺ – لهم بالتخلف متقبلا أعذارهم، فعاتبه الله بقوله: ﴿ **عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾[التوبة الآية: 43].

وأما المؤمنون الصادقون فكانوا مستجيبين لله ورسوله حين دعاهم للجهاد بأموالهم وأنفسهم، ولم يتخلف منهم أحد، سوى الثلاثة الذين تخلفوا لا عن شك

---

[1]- رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4668.

[2] – السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص618.

[3] – السيرة النبوية للندوي 365.

[4] – سيرة ابن هشام 170/4.

أو ارتياب وإنما عن تقصير وفتور، فتابوا فتاب الله عليهم.

وكان من بين المؤمنين الصادقين " البكاؤون "، وأولئك أرادوا الجهاد، وألا يتخلفوا عن رسول الله – ﷺ – في نفير كهذا النفير، الفاصل بين نشر الإيمـــان في الأرض وبين أن يقضي عليه في مهده أهل القوة فيها.[1] وفي هؤلاء البكائين نزل قول الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُـــورٌ رَحِيمٌ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴾[التوبة: 91-92].

وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: (أرسلني أصحابي إلى رسول الله – ﷺ – أسأله الحملان لهم، إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم. فقال: والله لا أحملكم على شيء. ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي – ﷺ –، ومن مخافة أن يكون النبي – ﷺ – وجد في نفسه عليَّ، فرجعت إلى أصحابي، فأخبرتهم الذي قال النبي – ﷺ –، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبد الله بن قيس، فأجبته، فقال: أجب رسول الله – ﷺ — يدعوك. فلما أتيته قال: خذ هذين القرينين، وهذين القرينين – لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد – فانطلق بهن إلى أصحابك، فقل: إن الله، أو قال: إن رسول الله – ﷺ – يحملكم على هؤلاء فاركبوهن. فانطلقت إليهم بهن، فقلت: إن رسول الله – ﷺ – يحملكم على هؤلاء).[2]

وأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله، ثم بكى، وقال: اللهم إنَّك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به

---

[1] – خاتم النبيين 1296/2.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4415.

مع رسول الله – ﷺ –، و لم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جسد أو عرض.

ثم أصبح مع المسلمين، فقال رسول الله – ﷺ –: (أين المتصدق هذه الليلة ؟ فلم يقم أحد، ثم قال: أين المتصدق ؟ فليقم. فقام إليه فأخبره. فقال رسول الله – ﷺ –: أبشر فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة).[1]

الجيش ينطلق نحو تبوك:

ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفًا، وولّى على المدينة محمد بن مسلمة، وعلى أهله علي بن أبي طالب.[2] فعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – : (أن رسول الله – ﷺ – خرج إلى تبوك، واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمترلة هارون من موسى ؟ إلا أنه ليس نبي بعدي).[3]

وتخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه،[4] وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كل بطن من الأنصار، والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية ومضى لوجهه يسير بأصحابه حتى قدم تبوك، فأقام بها عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولحقه بها أبو خيثمة السالمي وأبو ذر الغفاري.[5]

لقد مر الجيش الإسلامي حين كان يقصد تبوك بالحجر ديار ثمود فقال رسول الله – ﷺ– فيما رواه عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما–: (لا تدخلوا

---

[1] – صحيح السيرة النبوية ص 466. قال الشيخ الألباني في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 405: "صحيح، ذكره ابن إسحاق في المغازي بدون إسناد، وقد ورد مسندا موصولا من حديث مجمع بن حارثة وعمرو بن عوف وأبي عبس، وعلبة بن زيد نفسه وقتيبة كما بينه الحافظ في (الإصابة) فليراجعها من شاء".

[2] – نور اليقين ص182.وانظر سيرة ابن هشام 173/4.وزاد المعاد 529/3.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4416. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2404.

[4] – سيرة ابن هشام 173/4.

[5] – طبقات ابن سعد151/2.، يصلي بها ركعتين أي يقصر في صلاته.

مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم. ثم تقنع بردائه وهو على الرحل).[1] وفي رواية أخرى قال ابن عمر: (مررنا مع رسول الله – ﷺ – على الحجر. فقال لنا رسول الله – ﷺ –: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين. حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم. ثم زجر فأسرع حتى خلفها).[2]

وأصاب الصحابة الجوع من نقص الطعام، حتى هموا بذبح إبلهم التي كانوا يركبونها، فدعا النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما بقي عندهم من زاد قليل، فأكلوا جميعا حتى شبعوا، فعن أبي هريرة أو أبي سعيد الخذري – رضي الله عنهما–[3] قال: (قلت: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا. فقال رسول الله – ﷺ –: افعلوا. قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، وادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله – ﷺ –: نعم. قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله – ﷺ — بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتك. فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه، فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله – ﷺ –: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد، غير شاك، فيحجب عن الجنة.).[4]

واشتدت في الطريق حاجة الجيش إلى الماء حتى شكوا إلى رسول اللّه، فدعا اللّه، فأرسل اللّه سحابة فأمطرت حتى ارتوي الناس، واحتملوا حاجاتهم من الماء .

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3380.
[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2980.
[3] – شك الأعمش.
[4] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 71.

ولما قرب رسول الله – ﷺ – من تبوك قال: (إنكم ستأتون غداً إن شاء اللّه تعالى عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يَضْحَى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي. قال معاذ – رضي الله عنه – : فجئنا وقد سبق إليها رجلان، والعين تَبِضُّ بشيء من مائها، فسألهما رسول اللّه – ﷺ – : هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا: نعم. وقال لهما ما شاء اللّه أن يقول. ثم غرف من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع الْوَشَلُ[1]، ثم غسل رسول اللّه – ﷺ – فيه وجهه ويده، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس، ثم قال رسول الله – ﷺ –: يوشك يا معاذ، إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً).[2]

وفي الطريق أو لما بلغ تبوك ـــ على اختلاف الروايات ـــ قال رسول اللّه – ﷺ– : (تهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عِقَالَه. فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ).[3]

وأتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية[4] ووأهدى للنبي – ﷺ – بغلة بيضاء، وكساه بردا.[5] وأتاه أهل جرباء وأذرح بلدين بالشام بينهما ثلاثة أميال، فأعطوه الجزية، وكتب لهم – ﷺ – كتابا.[6]وأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني، وكان ملكا عظيما بدومة الجندل، في أربعة مائة وعشرين فارسا في رجب سرية، فانتهى إليه خالد، وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة، إلى

---

[1]- أي الماء القليل.

[2]- رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 706.

[3]- رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1392. انظر الرحيق المختوم ص 310.

[4]- المواهب اللدنية مع شرح العلامة الزرقاني 4/90-91 .

[5] – رواه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه في الجامع الصحيح رقم 3161.

[6] – المواهب اللدنية مع شرح العلامة الزرقاني 4/91 .

بقر يطاردها، فاستأسره، ثم قدم به على رسول الله – ﷺ –، فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله.[1]

وكفى الله المؤمنين القتال:

وصل الجيش الزاحف بقيادة الرسول – ﷺ – إلى تبوك، وعسكر هناك ينتظر العدو، وبث العيون لمعرفة أخبارهم، فجاءته الأنباء بأن جموع الروم والقبائل قد انفضَّت، وانسحبت إلى داخل بلاد الشام، وتحصنت بقلاعها وحصونها.[2]

الرجوع إلى المدينة:

حين اطمأن النبي – ﷺ – أن خطر العدو قد زال، قفل راجعا إلى المدينة المنورة.

وفي طريق العودة حاول المنافقون وهم متلثمون، لا يعرفون، تنفير دابة الرسول – ﷺ – في إحدى الثنايا لتطرحه، ففطن لهم، وأمر بإبعادهم.

ولما اقترب الجيش من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه.[3]

وقد قال رسول الله – ﷺ – لأصحابه – رضي الله عنهم – لما أشرف على المدينة: (هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه).[4] وقال – ﷺ– أيضا: (إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة ؟ قال: وهم بالمدينة ، حبسهم العذر).[5]

---

[1] – المصدر السابق 94/93/4.وانظر سيرة ابن هشام 180/4-181. وزاد المعاد 538/3-539. والبداية والنهاية 16/3.

[2] – القدوة في السيرة النبوية ص 445.

[3] – السيرة النبوية الصحيحة 536/2.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4422. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1392. عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

[5] – رواه البخاري في الجامع الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه رقم 4423.

كعب بن مالك يروي قصة المخلفين:

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية.[1] فاعتذر من اعتذر، وقبل منه النبي ﷺ علانيته وترك أمره لله، وأما الثلاثة فصدقوا فارجأ أمرهم حتى يحكم الله فيهم.

قال كعب بن مالك – رضي الله عنه –: (لم أتخلف عن رسول الله – ﷺ – في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، و لم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله – ﷺ – يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله – ﷺ – ليلة العقبة[2]حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن — قط – أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان — قط – حتى جمعتهما في تلك الغزوة، و لم يكن رسول الله – ﷺ – يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله – ﷺ– في حر شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، وعدوًّا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله – ﷺ – كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ – يريد الديوان –، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله – ﷺ – تلك الغزوة حيث طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله – ﷺ – والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع و لم أقضِ شيئًا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس

---

[1] – سيرة ابن هشام 185/4.

[2] – ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام.

الجد، فأصبح رسول الله – ﷺ – والمسلمون معه و لم أقض من جهازي شيئًا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت و لم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت و لم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو[1] وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله – ﷺ – فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصًا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، و لم يذكرني رسول الله – ﷺ – حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب ؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفيه.[2] فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا. فسكت رسول الله – ﷺ –، فبينما هو على ذلك رأى رجلا مبيضا[3] يزول به السراب[4] فقال رسول الله – ﷺ –: كن أبا خيثمة. فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه[5]المنافقون، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله – ﷺ – قد توجه قافلاً[6] من تبوك حضرني بثي[7]، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غدًا ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله – ﷺ – قد أظل قادمًا[8]زاح[9]عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأجمعت صدقه[10] وأصبح رسول الله – ﷺ – قادما، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه

---

[1] – تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.
[2] – والنظر في عطفيه: أي جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.
[3] – مبيضا: لابس البياض.
[4] – يزول به السراب: يتحرك وينهض، والسراب ما يظهر للإنسان.
[5] – لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه.
[6] – توجه قافلا: راجعًا.
[7] – حضرني بثي: حزني.
[8] – أظل قادمًا: أقبل ودنا قدومه كأنه أبقى على ظله.
[9] – زاح: أزال.
[10] – أجمعت صدقه: عزمت على صدقه.

ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله - ﷺ - علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال. فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال: قلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً[1] ولكني — والله - لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن[2] الله أن يُسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه[3] إني لأرجو فيه عقبى الله[4]، لا —والله- ما كان لي عذر، والله ما كنت -قط- أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله - ﷺ -: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله - ﷺ - بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله - ﷺ — لك. قال: فو الله مازالوا يؤنبونني[5] حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله - ﷺ- فأكذِّب نفسي.

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد ؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما ؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة. فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله - ﷺ - المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس،

[1] - أعطيت جدلا: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة.
[2] - ليوشكن: ليسرعن.
[3] - تجد عليَّ فيه: تغضب.
[4] - إني لأرجو عقبى الله: يعقبني خيرا ويثيبني عليه.
[5] - يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم.

وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا[1]وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدَهم[2] فكنت أخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله – ﷺ – فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى طال ذلك عليَّ من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، – وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي – فسلمت عليه، فوالله ما رد عليَّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله[3] هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام[4] ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبا، فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة[5] فالحقْ بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت[6] بها التنور، فسجرتها[7] به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين واستلبث الوحي[8] إذا رسول رسول الله – ﷺ – يأتيني فقال: إن رسول الله – ﷺ – يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال:

---

[1] – استكانا: خضعا.

[2] – أشب القوم وأجلدهم: أي أصغرهم سنا وأقواهم.

[3] – أنشدك بالله: أسألك بالله.

[4] – نبط أهل الشام: فلاحو العجم.

[5] – مضيعة: يعني أنك لست بأرض يضيع فيها حقك.

[6] – استلبث الوحي: أبطأ.

[7] – فسجرتها: أحرقتها.

[8] – تيممت: قصدت.

لا، بل اعتزلها فلا تقربنها. قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل هذا.

قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك. فقالت: إنه -والله- ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله – ﷺ – في امرأتك ؟ فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه. قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله – ﷺ – وما يدريني ماذا يقول رسول الله – ﷺ – إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. قال: فلبثت بذلك عشر ليالٍ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله – ﷺ – عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله – عز وجل– منا، قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع[1] يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فآذن[2]رسول الله – ﷺ – توبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إليَّ فرسًا، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأمم[3] رسول الله – ﷺ – فيتلقاني الناس فوجا فوجا[4] يهنئونني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله – ﷺ – جالس في المسجد، حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني

[1] – أوفى على سلع: صعده وارتفع عليه، وسلع: جبل بالمدينة معروف.
[2] – فآذن الناس: أي أعلمهم.
[3] – أتأمم: أي قصد.
[4] – فوجا فوجا: الفوج الجماعة.

وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله – ﷺ – قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ فقال: لا، بل من عند الله. وكان رسول الله – ﷺ – إذا سُرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر قال: وكنا نعرف ذلك، قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع،[1] من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله – ﷺ –. فقال رسول الله – ﷺ –: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال: وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت. فو الله ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه[2] الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله – ﷺ – إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله – ﷺ – إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، قال: فأنزل الله – عز وجل–: ﴿ **لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة الآية: 117-118] حتى بلغ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[التوبة الآية: 119].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة — قط – بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله – ﷺ – ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا الله حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال الله: ﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ**

[1] – أنخلع من مالي: أتصدق به.

[2] – أبلاه الله: أنعم عليه.

إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة الآية: 95-96].

قال كعب: وكنا تخلفنا -أيها الثلاثة- عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله – ﷺ – حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله – ﷺ – أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله – عز وجل-: ﴿ **وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [التوبة: 118] وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا[1]، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه).[2]

مسجد ضرار:

وأقبل رسول الله – ﷺ – من تبوك، حتى نزل بذي أوان، وبينها وبين المدينة ساعة، وكان أصحاب مسجد الضرار أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله؛ إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: إني على جناح سفر، وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه. ، فلما نزل بذي أوان جاءه خبر المسجد من السماء، فدعا مالك بن الدخشم أخا بني سلمة بن عوف، ومعن بن عدي العجلاني، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه، وحرقاه. فخرجا مسرعين، حتى أتيا بنى سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. ودخل إلى أهله، فأخذ سعفا من النخل، فأشعل فيه نارا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، فتفرقوا عنه، فأنزل

---

[1] – إرجاؤه أمرنا: تأخيره أمرنا.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4418، أنظر السيرة النبوية للصلابي2/722-728.وصحيح السيرة النبوية ص484-490.

الله فيه: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة الآية: 107].[1]

قدوم وفد ثقيف وإعلان إسلامهم:

ولما كان في رمضان سنة تسع، منصرف رسول الله - ﷺ- من تبوك، أتاه وفد ثقيف.

وقد كان عروة بن مسعود الثقفي لحق برسول الله - ﷺ - منصرفه من حنين والطائف، قبل أن يدخل عليه السلام المدينة، فأسلم، وكان سيد ثقيف، فاستأذن رسول الله - ﷺ - في الرجوع إلى قومه ودعائهم إلى الإسلام، فخشي عليه منهم وحذره، فأبى ووثق بمكانه منهم، فانصرف ودعاهم إلى الإسلام فرموه بالنبل، فمات، فأوصى عند موته أن يدفن خارج الطائف مع الشهداء الذين أصيبوا إذ حاصرهم رسول الله - ﷺ -، فدفن هناك، رضوان الله عليه.[2]

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

فبعثوا عبد ياليل بن عمرو ومعه الحكم بن عمرو، وشرحبيل بن غيلان ، وعثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة.

ولما قدموا على رسول الله - ﷺ - ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله - ﷺ -.[3]

واشترط رجال وفد ثقيف لإسلامهم شروطا هي كالتالي:

---

[1]- زاد المعاد 549/3. وانظر سيرة ابن هشام 183/4-182.والبداية والنهاية 19/3-20.وإمتاع الأسماع 76/2 إلى 79. المواهب اللدنية 97/4 إلى 100.

[2]- جوامع السير ص 204.وانظر سيرة ابن هشام 191/4-192.

[3] - أنظر سيرة ابن هشام 193/4.

1- أن لا يهدم النبي - ﷺ - طاغيتهم وهي اللات إلا بعد ثلاث سنوات فأبى عليهم ذلك - ﷺ -، وكان قصدهم من هذا الشرط حتى يسلموا إذا هي تركت من سخط سفهائهم ونسائهم، وتنازلوا إلى شهر واحد فلم يقبل منهم ولو ساعة من نهار.

2- أن يعفيهم من الصلاة ككل فأبى.[1]

فشرح الله صدورهم للإسلام، وعادوا بعد ذلك إلى أهلهم وذويهم في الطائف لينشروا الإسلام بينهم...[2]

وأمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنا، وذلك أنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن.[3]

وقد وجه النبي - ﷺ - مع هذا الوفد أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة - وكان لهما بثقيف مودة واحترام - ليقوما بهدم اللات.

وكان شديدًا على ثقيف أن يتم الإجراء ويهدم الإله الكبير الذي كانوا يلجؤون إليه في النوائب، ويرونه الملاذ الذي كان يحميهم من كوارث الدهر وخطوبه، ولكنهم كانوا مضطرين إلى الإذعان لأمر الرسول - ﷺ - حتى لا يتعرضوا لهلاك محقق، فقام المغيرة بهدم هذا الإله المزعوم بينما كان رجال ثقيف واجمين، ونساؤهم متحسرات يبكين.

وبهدم اللات وبإسلام الطائف كانت الحجاز كلها قد أسلمت، وغدا سلطان الرسول -ﷺ - ونفوذه يمتد ذات اليمين وذات الشمال، والوفد تتابع من كل مكان لتعلن الطاعة والولاء لرسول الله - ﷺ -.[4]

---

[1] - هذا الحبيب يا محب ص 290.وانظر سيرة ابن هشام 193/4-194. وزاد المعاد 499/3-500.

[2] - القول المبين في سيرة سيد المرسلين ص 378.

[3] - زاد المعاد 500/3.

[4]- القول المبين في سيرة سيد المرسلين ص379. وانظر سيرة ابن هشام 194/4-195. زاد المعاد 500/3.

بعض ما وقع من أحداث في هذه السنة:

وفي هذه السنة وقعت عدة وقائع لها أهمية في التاريخ :

1 – بعد قدوم رسول اللّه –ﷺ – من تبوك وقع اللعان بين عُوَيْمِر العَجْلاني وامرأته.

2 – رجمت المرأة الغامدية، التي جاءت فاعترفت على نفسها بالفاحشة، رجمت بعدما فطمت ابنها.

3 – توفي النجاشي أصْحَمَة، ملك الحبشة، في رجب، وصلى عليه رسول الله صلاة الغائب في المدينة.

4 – توفيت أم كلثوم بنت النبي – ﷺ – في شعبان، فحزن عليها حزناً شديداً، وقال لعثمان: (لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها) .

5 – مات رأس المنافقين عبد اللّه بن أبي بن سَلُول بعد مرجع رسول اللّه – ﷺ – من تبوك، فاستغفر له رسول اللّه – ﷺ –، وصلى عليه بعد أن حاول عمر منعه عن الصلاة عليه، وقد نزل القرآن بعد ذلك بموافقة عمر.[1]

إسلام عدي بن حاتم الطائي:

عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال: (أتيت رسول الله – ﷺ – وهو جالس في المسجد فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي وقد كان قال قبل ذلك: إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي. قال: فقام بي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا: إن لنا إليك حاجة. فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها، وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما يفرك أن تقول: لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله ؟ قال: قلت: لا. قال: ثم تكلم

[1] – الرحيق المختوم ص 314. وانظر مختصر سيرة الرسول للنجدي ص 4457-458.

ساعة ثم قال: إنما تفر أن تقول: الله أكبر. وتعلم شيئا أكبر من الله ؟ قال: قلت: لا. قال: فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال. قال: قلت: فإني حنيف مسلم. قال: فرأيت وجهه تبسط فرحا، قال: ثم أمر بي فأُنزلت عند رجل من الأنصار جعلت أغشاه طرفي النهار، قال: فبينما أنا عنده عشية إذ جاءه قوم في ثياب من الصوف، من هذه النمار، قال: فصلى وقام فحث عليهم. ثم قال: ولو صاع، ولو بنصف صاع، ولو قبضة، ولو ببعض قبضة يقي أحدكم وجهه حر جهنم — أو النار — ولو بتمرة، ولو بشق تمرة، فإن أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم: ألم أجعل لك سمعا وبصرا ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أجعل لك مالا وولدا ؟ فيقول: بلى. فيقول: أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله، ثم لا يجد شيئا يقي به وجهه حر جهنم ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة، فإني لا أخاف عليكم الفاقة، فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة أكثر ما تخاف على مطيتها السرق).[1]

وفي رواية: فقال: (يا عدي ، هل رأيت الحيرة. قلت: لم أرها، وقد أنبئت عليها. قال: فإن طالت بك الحياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله — قلت: فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد – ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت: كسرى بن هرمز ؟! قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقينَّ الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالا وولدا وأفضل عليك ؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. قال عدي: سمعت النبي – ﷺ – يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم

[1]– صحيح الترمذي رقم 2953. للألباني وحسنه.

يجد شق تمرة، فبكلمة طيبة. قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم الحياة، لترون ما قال أبو القاسم – ﷺ –).[1]

قدوم تميم الداري وإسلامه:

كان نصرانياً، فأسلم سنة تسع من الهجرة.[2] فعن فاطمة بنت قيس – رضي الله عنها – قالت: (... سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله – ﷺ – ينادي: الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد. فصليت مع رسول الله – ﷺ –. فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول الله – ﷺ – صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه. ثم قال: أتدرون لما جمعتكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني ، والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميما الداري، كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال...).[3]

حج أبي بكر الصديق ﷺ:

وبعث – ﷺ – أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – أميرا على الحج هذه السنة – أي سنة تسع للهجرة –[4] وأردفه عليا – رضي الله عنه – بسورة براءة،

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3595.

[2] – أسد الغابة 319/1.

[3] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2942.

[4] – قال العلامة القسطلاني في المواهب114/4-115:"ثم حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس، سنة تسع في ذي القعدة، كما ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد، ووافقه عكرمة بن خالد، فيما أخرجه الحاكم في الإكليل.

وقال قوم في ذي الحجة، وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي، والمعتمد ما قاله مجاهد وبه جزم الأزرقي. ويؤيده أن ابن إسحاق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعد ما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا= =بكر أميرا على الحج، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة، فيكون حجة في ذي الحجة على هذا. والله أعلم.".

وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وينبذ إليهم عهودهم إلا من كان ذا عهد مقدر فعهده إلى مدته.[1]

فعن زيد بن أثيع قال: (سألنا عليا – رضي الله عنه – : بأي شيء بعثت، يعني يوم بعثه النبي – ﷺ – مع أبي بكر – رضي الله عنه – في الحجة، قال: بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي – ﷺ – عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا).[2]

قال تعالى: ﴿ **بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ، فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ، وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ، وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[التوبة الآية: 1-3].

وقد أُمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم، فقال تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[التوبة الآية: 4].

كما أمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسلمين، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ**

---

[1]- الفصول في سيرة الرسول ص215. وانظر سيرة ابن هشام 197/4 والروض الأنف7/424-425. وزاد المعاد 593/3-594-595.وإمتاع الأسماع92/2 إلى 94.

[2] – رواه أحمد في مسنده 32/2.وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح. وقال الشيخ الألباني صحيح في تخريج فقه السيرة للشيخ الغزالي ص 240.

مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة الآية: 5].[1]

عام الوفود ودخولهم في الإسلام:

لما افتتح رسول الله – ﷺ – مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه.

وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله – ﷺ – وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله – ﷺ — وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوخها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله – ﷺ – ولا عداوته، فدخلوا في دين الله. كما قال – عز وجل– أفواجا، يضربون إليه من كل وجه يقول الله تعالى لنبيه – ﷺ -: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ كَانَ تَوّابًا** ﴾[النصر الآية: 1-3].[2]

إن سرد أسماء جميع الوفود التي أعلنت انضمامها إلى قافلة الإسلام على أهميته لا نرى داعي إليه لأن الأمر سيطول، وسنكتفي بذكر بعض الأسماء فقط مع ذكر شيء مما صح من أخبارها، ومن أراد التوسع فليرجع إلى مصادر السيرة.[3]

---

[1]– السيرة النبوية للصلابي ص 755.

[2] – سيرة ابن هشام 244/4.

[3] – قال صاحب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص640: " بلغ مجموع ما ذكره الأئمة ما يزيد على ستين وفدا، وقد سرد الشامي في سيرته، فزادوا–أي الوفود– على مائة...وكان ابن سعد، صاحب أكبر إسهام في إيراد أخبار تلك الوفود، ويعاب عليه وعلى شيخه الواقدي وابن إسحاق إهمال الإسناد إلا نادرا، وحتى معظم هذه الأسانيد النادرة لا يخلو معظمها من مطعن من حيث ضعف الرجال أو الإرسال".

وفد عبد القيس:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال:

(إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله – ﷺ – فقال رسول الله – ﷺ –: من الوفد؟ أو من القوم ؟ قالوا: ربيعة. قال: مرحبا بالقوم[1]– أوبالوفد – غير خزايا ولا ندامى. [2] قالوا: إنا نأتيك من شقة بعيدة[3] وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. قال: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، قال: أمرهم بالإيمان بالله – عز وجل — وحده، قال: هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخُمس من المغنم. ونهاهم عن الدباء[4] والحنتم[5]والمزفت[6]، قال شعبة: ربما قال: النقير[7] وربما قال: المقير، قال: احفظوه وأخبروه من وراءكم.).[8]وفي رواية: قال رسول الله – ﷺ – للأشج، أشج عبد القيس : (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة.).[9]

وقد انشغل رسول الله – ﷺ – بمقدمهم وأخر صلاة السنة البعدية بعد الظهر وصلاها بعد العصر.[10]

---

[1] – مرحبا بالقوم: صادفت رحبا وسعة. .

[2] – غير خزايا ولا ندامى: معناه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد.

[3] –شقة بعيدة: السفر البعيد، وقيل المسافة البعيدة.

[4] – الدباء: القرع اليابس، أي الوعاء فيه.

[5] – الحنتم: أصح الأقوال فيها: الجرار الخضر وهي جرار كان يحمل فيها الخمر.

[6] – المزفت: الأوعية التي فيها الزفت.

[7] – النقير: جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر.

[8] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 87.

[9] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 17.

[10] – السيرة النبوية للصلابي 760/2. وانظر صحيح السيرة النبوية ص 507.

وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر:

قال أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (بينما نحن جلوس مع النبي – ﷺ – في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم علقه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي – ﷺ – متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: ابن عبد المطلب ؟ فقال له النبي – ﷺ –: قد أجبتك. فقال الرجل للنبي – ﷺ –: إني أسألك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد[1]عليَّ في نفسك. فقال: سل عما بدا لك. فقال: أسألك بربك وربِّ من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال: اللهم نعم. قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها في فقرائنا ؟ فقال النبي – ﷺ –: اللهم نعم. فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر).[2]

وفد تميم:

عن عمران بن الحصين – رضي الله عنه – قال: (دخلت على النبي – ﷺ – وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. — مرتين –، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر. قال: كان الله و لم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض. فنادى

---

[1]– تجد: تحقد وتحمل البغضاء.

[2]– رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 63.

مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين. فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها).[1]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث، سمعت من رسول الله – ﷺ– يقول فيهم، سمعته يقول: هم أشد أمتي على الدجال. قال: وجاءت صدقاتهم، فقال رسول الله – ﷺ –: هذه صدقات قومنا. وكانت سبية منهم عند عائشة فقال: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل).[2]

وفد بني حنيفة مع مسيلمة الكذاب:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: (قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله – ﷺ –، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته. وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله – ﷺ – ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله – ﷺ – قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت. فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله – ﷺ – قال: بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إليَّ في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي.

فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب، صاحب اليمامة).[3]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3191.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2543. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2525 .

[3] – رواه البخاري بالجامع الصحيح رقم 3620. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2273.

وفد الأشعريين وأهل اليمن:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه — : (أن رسول الله – ﷺ – قال: يقدم عليكم غدا أقوام هم أرق قلوبا للإسلام منكم. قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون: غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه. فلما أن قدموا تصافحوا فكانوا هم أول من أحدث المصافحة).[1]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه — : (أن النبي – ﷺ – قال: أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم).[2]

وفد نجران:

عن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال: (جاء العاقب والسيد، صاحبا نجران إلى رسول الله – ﷺ – يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلا أمينا، ولا تبعث معنا إلا أمينا. فقال: لأبعثنَّ معكم رجلا أمينا حق أمين. فاستشرف له أصحاب رسول الله – ﷺ –، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح. فلما قام، قال رسول الله – ﷺ –: (هذا أمين هذه الأمة).[3]

وعن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – قال: (لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤن: يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت

---

[1] – قال صاحب صحيح السيرة النبوية ص 115:" أخرجه أحمد 105/3 وإسناده صحيح"، وقال الألباني إسناده صحيح على شرط مسلم. أنظر السلسلة الصحيحة 62/2.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4388. ومسلم في المسند الصحيح رقم 52.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4380.

على رسول الله – ﷺ – سألته عن ذلك، فقال: إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم).[1]

وفد بني عامر:

عن عبد الله بن الشخير – رضي الله عنه – قال: (انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله – ﷺ – فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا. فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان).[2]

وفد دوس:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: (قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي – ﷺ – فقالوا: يا رسول الله، إن دوسا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: اللهم اهد دوسا وأت بهم).[3]

وفد كندة:

عن الأشعث بن قيس – رضي الله عنه – قال: (أتيت رسول الله – ﷺ – في وفد كندة ولا يروني إلا أفضلهم، فقلت: يا رسول الله ألستم منا ؟ فقال: نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا. فكان الأشعث بن قيس يقول: لا أوتي برجل نفى رجلا من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد).[4]

---

[1] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2135.

[2] – صحيح سنن أبي داود في سننه رقم 4806 للألباني وصححه.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 2937. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2524.

[4] – صحيح ابن ماجة رقم 2132 للألباني وحسنه.

ووفود أخرى:

وقدم على رسول الله – ﷺ – وفد طيئ فيهم زيد الخيل، وسماه رسول الله زيد الخير، وقدم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد ، فأسلم، فلما توفي رسول الله – ﷺ – ارتد، كما قدم صرد بن عبد الله الأزدي، فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزد، وجاء وفد جرش فأسلموا، وقدم على رسول الله – ﷺ – كتاب ملوك حمير معلنين فيه إسلامهم[1] وقدم وفد تجيب وبني فزازة وبني أسد وبهراء وبلي وذي المرة وذي خولان وصداء وغسان وسلامان وبني عبس وغامد وغيرهم...[2]

وعلى أية حال فإنه في العام التاسع ساد الإسلام الجزيرة العربية التي توحدت سياسيا لأول مرة في تاريخها تحت رايته...

وقد تمكن الرسول – ﷺ – من تحقيق وحدة الجزيرة في أقل من عشر سنوات رغم قوة الروح الفردية، وتغلغل العصبية القبلية، والتزاعات الجاهلية، ولم تكن وحدة صورية، بل كانت تشابكا وثيقا، وتجانسا في الروح والعقل والسلوك، لذلك صلحت أن تكون لبنة قوية، وأساسا مثينا، قامت عليه الدولة الإسلامية التي بسطت سلطانها على رقعة شاسعة من آسيا وإفريقيا وأروبا.[3]

---

[1] – أنظر سيرة ابن هشام 233/4-239-242-243-244.

[2] – أنظر زاد المعاد 650/3 إلى671.

[3] – السيرة النبوية الصحيحة 544/2.

إرسال البعوث للدعوة

وكما أقبلت الوفود تسعى إلى رسول الله – ﷺ – لإعلان إسلامها، فقد أخذ هو أيضا يبعث رسله يتفرقون في شتى الجهات، وخاصة في جنوب الجزيرة، لتعليم الناس مبادئ الإسلام وأحكامه، فقد انتشر أمر الإسلام في الجزيرة ومختلف أطرافها، وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين ودعاة ومرشدين يشرحون للناس حقائق الإسلام، حتى يستقر في قلوبهم بعد أن انتشر في ربوعهم.[1]

بعث خالد ثم علي إلى اليمن:

قال البراء بن عازب – رضي الله عنه –: (بعثنا رسول الله – ﷺ – مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه، فقال: مر أصحاب خالد، من شاء منهم أن يعقب[2] معك فليعقب، ومن شاء فليُقبل. فكنت فيمن عقب معه، قال: فغنمت أواقي ذوات عدد).[3]

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: أورد البخاري هذا الحديث مختصرا، وقد أورده الإسماعيلي من طريق أبي عبيدة بن أبي السفر " سمعت إبراهيم بن يوسف " وهو الذي أخرجه البخاري من طريقه فزاد فيه : (قال البراء: فكنت ممن عقب معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي وصفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله – ﷺ –، فأسلمت همدان جميعا، فكتب علي إلى رسول الله – ﷺ – بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خر ساجدا، ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان).[4]

---

[1] – فقه السيرة النبوية للبوطي ص 322.

[2] – يعقب: أي يرجع.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4349.

[4] – فتح الباري لابن حجر العسقلاني 66/8.

إرسال أبي موسى ومعاذ إلى اليمن:

حدَّث أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – فقال: (أقبلت إلى النبي – ﷺ – ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، ورسول الله – ﷺ – يستاك، فكلاهما سأل، فقال: يا أبا موسى، أو: يا عبد الله بن قيس. قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل. فكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت، فقال: لن، أو: لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى، أو يا عبد الله بن قيس، إلى اليمن. ثم أتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم عليه ألقى له وسادة، قال: انزل. وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا ؟ قال: كان يهوديا فأسلم ثم تهود. قال: اجلس. قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، – ثلاث مرات–. فأمر به فقتل، ثم تذاكرا قيام الليل، فقال أحدهما: أما أنا فأقوم وأنام، وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي).[1]

وعن أبي بردة – رضي الله عنه – قال: (بعث رسول الله – ﷺ – أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف[2]، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا).[3] وبلفظ: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا).[4]

وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– قال: (قال رسول الله – ﷺ – لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم،

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6923. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1733.

[2] – أي إقليم.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4341.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3038.

فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب).[1]

وخرج عليه الصلاة والسلام ومعاذ راكب ورسول الله – ﷺ – يمشي تحت راحلته فقال: (يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، فتمر بقبري ومسجدي. فبكى معاذ جشعا لفراق رسول الله – ﷺ –، فقال: لا تبك يا معاذ، فإن البكاء من الشيطان).[2]

وعاد معاذ بن جبل – رضي الله عنه – بعد ذلك إلى المدينة، ولكن وجد النبي – ﷺ – قد فارق الحياة كما أخبره.

---

[1] – رواه البخار ي في الجامع الصحيح رقم 4347. ومسلم في المسند الصحيح رقم 19.

[2] – قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات، ورواه الطبراني في الكبير. انظر بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد 104/3.

حجة الوداع

وتسمى أيضا حجة التمام وحجة البلاغ.

ولما دخل على رسول الله – ﷺ– ذو القعدة من السنة العاشرة للهجرة تجهز للحج، وأمر الناس بالجهاز له وخرج لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وقد كان أذن في الناس أنه خارج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله – ﷺ –، ويعمل مثل عمله.[1]

فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: (إن رسول الله – ﷺ – مكث تسع سنين لم يحج. ثم أذن في الناس في العاشرة؛ أن رسول الله – ﷺ – حاج، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله – ﷺ – ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله – ﷺ – : كيف أصنع ؟ قال : اغتسلي، واستثفري[2] بثوب وأحرمي.

فصلى رسول الله – ﷺ – في المسجد، ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، نظرت إلى مد بصري بين يديه، من راكب وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله – ﷺ – بين أظهرنا، وعليه يترل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأَهَلَّ بالتوحيد " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك ". وأَهلَّ الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله – ﷺ – عليهم شيئا منه، ولزم رسول الله – ﷺ – تلبيته. قال جابر – رضي الله

---

[1] – الاكتفاء لما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء 331/2.

[2] – أي تأخذ خرقة عريضة أشبه ما تكون الآن بـــ "الحفاظات" وتجعلها في موضع الدم وتشدها.

عنه -: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم – عليه السلام – فقرأ : ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة الآية: 125] فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي[1] يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي – صلى الله عليه وسلم- : كان يقرأ في الركعتين ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص الآية:1]، و﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ [الكافرون الآية:1]، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾[البقرة الآية: 158] أبدأ بما بدأ الله به.

فبدأ بالصفا، فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله، وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا أنصبت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدتا مشى، حتى إذا أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل، وليجعلها عمرة. فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله – ﷺ – أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: دخلت العمرة في الحج — مرتين — لا، بل لأبد أبد.

وقدم علي من اليمن ببدن النبي – ﷺ – فوجد فاطمة – رضي الله عنها – ممن حل، ولبست ثيابا صبيغا، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبي أمرني بهذا. قال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله – ﷺ – محرشا على فاطمة، للذي صنعت، مستفتيا لرسول الله – ﷺ – فيما ذكرت عنه، فأخبرته أني

[1] – يعني الإمام محمد الباقر أحد الرواة في السند والذي روى الحديث عن جابر.

أنكرت ذلك عليها، فقال: صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك. قال: فإن معي الهدي فلا تحل. قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي - ﷺ — مائة، قال: فحل الناس كلهم وقصروا، إلا النبي - ﷺ - ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج، وركب رسول الله - ﷺ- فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله - ﷺ - ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله - ﷺ - حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرُحِّلت له، فأتى بطن الوادي، فخطب[1] الناس، وقال: إن دماؤكم

---

[1] - رواها ابن إسحاق بدون سند قال: "حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس : اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ؛ أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية .

أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله،=

وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنَّ أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضربا غير مبرح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم، اشهد، اللهم اشهد – ثلاث مرات–.

ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، و لم يصل بينهما شيئا، ثم ركب رسول الله – ﷺ –، حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله – ﷺ – وقد شنق للقصواء الزمام إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: أيها الناس السكينة السكينة.كلما أتى حبلا من الحبال أرخى

=فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ؟ قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد " .أنظر سيرة ابن هشام4/259-260.

-" وقد ألقى خطبا أخرى في منى وفي غدير خم قريبا من الجحفة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وأمسك بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: " من كنت مولاه فعلي مولاه " أنظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري 2/550-551.

لها قليلا حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله - ﷺ - حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما، فلما دفع رسول الله - ﷺ - مرت به ظعن[1] يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله - ﷺ - يده على وجه الفضل، فحوَّل الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحوَّل رسول الله - ﷺ - يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر، حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، منها حصى الخذف رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثا وستين بيده، ثم أعطى عليا فنحر ما غبر[2] وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها، ثم ركب رسول الله - ﷺ - فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم. فناولوه دلوا فشرب منه.[3]

[1] - ظَعَن: بفتح الظاء والعين، جمع ظعينة، وهي المرأة في الهودج ؛ قال النووي : وأصله البعير الذي يحمل المرأة، ثم أطلق على المرأة مجازًا لملابستها له.

[2] - أي: ما بقي.

[3] - رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 1218.لقد خص الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله حديث جابر رضي الله عنه بشرح جليل في كتابه " حجة النبي ﷺ " وقد ذكر فيه الزيادات الصحيحة وفوائد جمة لمن أراد المزيد.

تأملات واعتبار:

إن أول ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الجمهور الضخم الذين حضروا مع الرسول – ﷺ – من مختلف أنحاء الجزيرة العربية، مؤمنين به، مصدقين برسالته، مطيعين لأمره، وقد كانوا جميعاً قبل ثلاثة وعشرين سنة فحسب على الوثنية والشرك، ينكرون مبادئ رسالته، ويعجبون من دعوته إلى التوحيد، وينفرون من تنديده بآبائهم الوثنيين، وتسفيهه لأحلامهم، بل كان كثير منهم قد ناصبوه العداء، وتربصوا به الشر، وبيتوا على قتله، وألَّبوا عليه الجموع، وجالدوه بالسيوف والرماح، فكيف تم هذا الانقلاب العجيب في مثل هذه المدة القصيرة، وكيف استطاع – ﷺ – أن يحول هذه الجموع من وثنيتها وجاهليتها وترديها وتفرقها إلى توحيد الله وعلم ذاته وصفاته، واجتماع الكلمة، ووحدة الهدف والغاية ؟ وكيف كسب حب هذه القلوب بعد عداوتها، وهي المعروفة بشدة الشكيمة وعنف الخصام ؟ ألا إن إنساناً مهما بلغت عبقريته، ودهاؤه، وقوة شخصيته ليستحيل أن يصل إلى هذا في مئات السنين، وما سمعنا بهذا في الأولين والآخرين، إن هو إلا صدق الرسالة، وتأييد السماء، ونصرة الله، ومعجزة الدين الشامل الكامل الذي أتم الله به نعمته على عباده، وختم به رسالاته للناس[1]، وأراد أن ينهي به شقاء أمة كانت تائهة في دروب الحياة، مستذلة للأهواء والعصبيات، وأن يدلها على طريق الهداية، ويفتح أعينها لأشعة الشمس، ويقلدها قيادة الأمم، ويحوّل بها مجرى التاريخ، ويمحي بها مهانة الإنسان، ويورثها الحكمة والكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب.

مائة وأربعة عشر ألفا[2] كانوا له مكذبين، فأصبحوا له مصدقين، وكانوا له محاربين، فأصبحوا له مذعنين، وكانوا له مبغضين، فأصبحوا له محبين، وكانوا عليه

---

[1]– أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم بعرفة قوله:﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾[المائدة الآية: 3].

[2] – وقدرهم أبو زرعة بأربعين ألفا. أنظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري 49/2.

متمردين، فأصبحوا له طائعين، كل ذلك في ثلاث وعشرين من السنين ..ذلك هو صنع الله الحق المبين، فتعالى الله عما يشركون، وتترهت ذات رسوله عما يقول الملحدون، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وثاني ما يلفت النظر في حجة الوداع هذا الخطاب القوي الحكيم الذي خاطب به رسول الله الناس أجمعين، وتلك المبادئ التي أعلنها بعد إتمام رسالته ونجاح قيادته، مؤكدة للمبادئ التي أعلنها في أول دعوته، يوم كان وحيداً مضطهداً، ويوم كان قليلاً مستضعفاً، مبادئ ثابتة لم تتغير في القلة والكثرة، والحرب والسلم، والهزيمة والنصر، وإعراض الدنيا وإقبالها، وقوة الأعداء وضعفهم، بينما عرفنا في زعماء الدنيا تقلباً في العقيدة والمبدأ، وتبايناً في الضعف والقوة، وتغيراً في الوسائل والأهداف، يظهرون خلاف ما يبطنون، وينادون بغير ما يعتقدون، ويلبسون في الضعف لبوس الرهبان، وفي القوة جلود الذئاب، وما ذلك إلا لأن هؤلاء رسل المصلحة، وأولئك رسل الله، وشتان بين من يحوم فوق الجيف، وبين من يسبح في بحار النور، شتان بين الذين يعملون لأنفسهم، وبين الذين يعملون لإنسانيتهم، شتان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمْ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة الآية: 257].[1]

بعث أسامة بن زيد:

ثم قفل رسول الله – ﷺ – فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وضرب على الناس بعثا إلى الشام، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس،

[1] – السيرة النبوية دروس وعبر ص 199-200-201.

وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون.[1] وكان منهم أبو بكر وعمر، وكان أسامة بن زيد ابن ثماني عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار، فلم يقبل الرسول - ﷺ - طعنهم في إمارة أسامة وأوصى به خيرا،[2] فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: (أن رسول الله - ﷺ - بعث بعثا، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمارته، فقام النبي - ﷺ - فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده).[3]

ولكن النبي - ﷺ - أدركه الأجل قبل أن يسير الجيش إلى حيث أرسله، غير أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه -، خليفته من بعده، أجاز أسامة - رضي الله عنه - على رأس الجيش، و لم يخالف رسول الله - ﷺ - حيا وميتا، رغم اعتراض بعض الصحابة على قيادة أسامة للجيش وفيها كبار المهاجرين والأنصار.

---

[1] - سيرة ابن هشام 262/4.

[2] - السيرة النبوية الصحيحة 552/2.

[3] - رواه البخاري في الصحيح الجامع رقم 4469. ومسلم في المسند الصحيح رقم 2426.

وفاة الحبيب ﷺ:
وجاءت ساعة رحيل...

وجاءت ساعة رحيل رسول الله – ﷺ – من هذه الدنيا الفانية إلى حيث الرفيق الأعلى بعد أن أكمل الله دينه، وأتم نعمته على الناس، ورضي لهم الإسلام دينا، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[المائدة الآية:3]. ولقوله: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾[النصر الآية:1-3].

وكان – ﷺ – قد اعتكف في رمضان الأخير عشرين يوما حينما كان يعتكف كل عام عشرة أيام[1]، وكان قد زار شهداء أحد فصلى عليهم صلاته على الميت بعد ثماني سنين، فعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه –: (أن رسول الله – ﷺ – خرج يوما، فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: إني فرطكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها).[2]

كما زار البقيع ودعا لأهلها واستغفر لهم، فقد أخبر – ﷺ – عائشة – رضي الله عنها – أن جبريل – عليه السلام – قال له: (إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم).[3]

---

[1] – رحمة للعالمين للقاضي المنصورفوري 281/1.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 6426.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 974.

بداية مرض النبي ﷺ:

اشتكى رسول الله – ﷺ – بعد عودته من حجة الوداع في ليال بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر الهجري.[1]

فعن عائشة زوج النبي – ﷺ – قالت: (رجع رسول الله – ﷺ – من البقيع، فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي، وأنا أقول وارأساه، فقال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه. قالت: ثم قال: وما ضرك لو متِّ قبلي، فقمت عليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت: قلت: والله لكأني بك، لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي، فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله – ﷺ –، وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعز به[2] وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له).[3]

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة – رضي الله عنه – أخبرته فقالت: (أول ما اشتكى رسول الله – ﷺ – في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها، وأذن له. قالت: فخرج ويد له على الفضل بن عباس، ويد له على رجل آخر، وهو يخط برجليه في الأرض، فقال عبيد الله : فحدثت به ابن عباس، فقال : أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة ؟ هو علي).[4]

اشتداد الوجع بالنبي ﷺ:

وكانت عائشة زوج النبي – ﷺ — تحدِّث قائلة: (إن رسول الله – ﷺ – لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال: هريقوا علي من سبع قرب، لم تحلل أوكيتهن،

---

[1] – السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 687.

[2] – استعز به : اشتد عليه وغلبه على نفسه صلى الله عليه وسلم.

[3] – رواه ابن إسحاق بسند صحيح وقد صرح بالتحديث كما قال العلي في صحيح السيرة النبوية ص 554 وأصله في البخاري أنظر الجامع الصحيح حديث رقم 5666.

[4] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 418.

لعلي أعهد إلى الناس. فأجلسناه في مخضب[1] لحفصة زوج النبي – ﷺ – ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده: أن قد فعلتن. قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم).[2]

خطبة النبي ﷺ:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: (خرج رسول الله – ﷺ – في مرضه الذي مات فيه بملحفة، قد عصب بعصابة دسماء[3]، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما بعد، فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار، حتى يكونوا في الناس بمترلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع فيه آخرين، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. فكان آخر مجلس جلس فيه النبي– ﷺ –).[4]

وعن أبي سعيد الخذري – رضي الله عنه — : (أن رسول الله – ﷺ – جلس على المنبر فقال: إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده. فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله – ﷺ – عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فكان رسول الله – ﷺ – هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به، وقال رسول الله – ﷺ – : إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا

[1]– إناء كبير يغتسل فيه.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4442.

[3] – أي عمامة سوداء.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3628.

خليلا من أمتي لتخذت أبا بكر، إلا خلة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة[1] إلا خوخة أبي بكر).[2]

وصيته ﷺ للأمة:

عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى، قلت: يا أبا عباس: ما يوم الخميس ؟ قال: اشتد برسول الله – ﷺ – وجعه، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا.

فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له أهجر استفهموه ؟ فقال: ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه.

فأمرهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم.

والثالثة خير، إما أن سكتن عنها، وإما أن قالها فنسيتها. قال سفيان : هذا من قول سلمان[3]).[4]

آخر صلاة صلاها ﷺ بالناس:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – قال: (إن أم الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ : ﴿ **والمرسلات غرقا** ﴾[المرسلات الآية:1] فقالت : يا بني، لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت رسول الله – ﷺ – يقرأ بها في المغرب).[5] وفي رواية : (ثم ما صلى بعد، حتى قبضه الله – عز وجل –).[1]

---

[1] – أي باب صغير.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3904.

[3] – وهو سلمان الأحول الذي روى عنه سفيان بن عيينة أحد رواة هذا الحديث.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3168. ومسلم في المسند الصحيح رقم 1637.

[5] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 462.

صلاة أبي بكر بالناس نيابة عن النبي ﷺ:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (ثقل النبي – ﷺ – فقال: أصلى الناس ؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك. قال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال – ﷺ – :أصلى الناس ؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس ؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: ضعوا لي ماء في المخضب. فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس ؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. والناس عكوف في المسجد، ينتظرون النبي – عليه السلام – لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي – ﷺ – إلى أبي بكر: بأن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله – ﷺ – يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر، وكان رجلا رقيقا: يا عمر صل بالناس. فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام...).[2]

وعنها– رضي الله عنها – قالت: (لما ثقل رسول الله – ﷺ – ، جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس. فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف[3]، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس. فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، قال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس. فلما دخل في الصلاة، وجد رسول الله – ﷺ – في نفسه خفة، فقام يهادى بين رجلين، ورجلاه تخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه، ذهب أبو بكر يتأخر، فأومأ إليه رسول الله

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4429.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 687. ومسلم في المسند الصحيح رقم 418.

[3] - أي رقيق .

- ﷺ -، فجاء رسول الله - ﷺ - حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائما، وكان رسول الله - ﷺ - يصلي قاعدا، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله - ﷺ -، والناس مقتدون بصلاة أبي بكر - رضي الله عنه -).[1]

وفي رواية عنها —رضي الله عنه - قالت: ...ثم إن النبي - ﷺ - وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين، أحدهما العباس، لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي - ﷺ - بأن لا يتأخر، قال: أجلساني إلى جنبه. فأجلساه إلى جنب أبي بكر، قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتم بصلاة النبي - ﷺ -، والناس بصلاة أبي بكر، والنبي - ﷺ - قاعد. قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة، عن مرض النبي - ﷺ - ؟ قال: هات. فعرضت عليه حديثها، فما أنكر شيئا، غير أنه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت: لا، قال: هو علي).[2]

وقالت أيضا: (لقد راجعت رسول الله - ﷺ - في ذلك-أي حتى لا يخلفه في إمامة الناس في الصلاة-، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي: أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبي بكر).[3]

تحذيره ﷺ من اتخاذ القبور مساجد:

وعن عبد الله بن عباس وعائشة - رضي الله عنهما - قالا : (لما نزل رسول الله -ﷺ -، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن

[1] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 418.

[2] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 687. ومسلم في المسند الصحيح رقم 418.

[3] - رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4445. ومسلم في المسند الصحيح رقم 418.

وجهه، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا).[1]

العباس يستفسر عن أمر الخلافة:

عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: (إن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – خرج من عند رسول الله – ﷺ – في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله – ﷺ – ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئا. فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله – ﷺ – سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله – ﷺ – فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا. فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله – ﷺ – فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله – ﷺ–).[2]

اليوم الأخير قبل الفراق:

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي لهم، لم يفجأهم إلا ورسول الله – ﷺ – قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله – ﷺ – يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحا برسول الله – ﷺ – ، فأشار إليهم بيده رسول الله – ﷺ –: أن أتموا صلاتكم. ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر).[3]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 435. ومسلم في المسند الصحيح رقم 531.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4447.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4448.

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (إنا كنا أزواج النبي – ﷺ – عنده جميعا، لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة – عليها السلام – تمشي، ولا والله لا تخفى مشيتها من مشية رسول الله – ﷺ –، فلما رآها رحب وقال: مرحبا بابنتي. ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها، فبكت بكاء شديدا، فلما رأى حزنها سارها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول الله – ﷺ – بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله – ﷺ – سألتها –: عم سارك ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله – ﷺ — سره. فلما توفي، قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم. فأخبرتني ، قالت: أما حين سارني في الأمر الأول، فإنه أخبرني: أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة. وأنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، قال: يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة.).[1]

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (لما ثقل النبي – ﷺ – جعل يتغشاه فقالت فاطمة – عليها السلام – : واكرب أباه. فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم).[2]

وعن عائشة – رضي الله عنها –: (كان النبي – ﷺ – يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري[3] من ذلك السم).[4]

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4448.

[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4448.

[3] – الأبهر: عرق يتصل بالقلب ويمر بالصلب.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4428.

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: (كان آخر كلام رسول الله – ﷺ – الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم).[1]

وحدثت عائشة – رضي الله عنها – فقالت: (كان رسول الله – ﷺ – إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه، جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه. لأنها كانت أعظم بركة من يدي).[2]

ساعة الرحيل...إلى الرفيق الأعلى:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (إن من نعم الله علي أن رسول الله – ﷺ – توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته: دخل علي عبد الرحمن، وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله – ﷺ–، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك ؟ فأشار برأسه: أن نعم. فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك ؟ فأشار برأسه: أن نعم. فلينته، فأمرَّه، وبين يديه ركوة أو علبة – يشك عمر – فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات. ثم نصب يده، فجعل يقول: اللهم في الرفيق الأعلى. حتى قبض ومالت يده).[3]

وقالت – رضي الله عنها – أيضا: (كان النبي – ﷺ – يقول وهو صحيح : إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخيَّر. فلما نزل به، ورأسه على فخذي، غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. فقلت: إذًا لا يختارنا. وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها: اللهم الرفيق الأعلى).[4]

---

[1] – رواه أبو داود رقم 5156.وهو صحيح لشواهده. انظر صحيح السيرة النبوية ص 567.

[2] – رواه مسلم في المسند الصحيح رقم 2192.

[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4449.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4463.

وعنها قالت: (سمعت النبي – ﷺ – وهو مستند إليَّ يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق).[1]

وعنها أيضا قالت: (سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: ما من نبي يمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة). وكان في شكواه الذي قبض فيه، أخذته بحة شديدة، فسمعته يقول: ﴿ **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا** ﴾[النساء الآية:69]. فعلمت أنه خُيِّر).[2]

فلما مات الحبيب – ﷺ – قالت فاطمة – رضي الله عنها –: (يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه).[3]

وعن عمرو بن الحارث بن المصطلق – رضي الله عنه – قال: (ما ترك النبي – ﷺ – دينارا، ولا درهما، ولا عبدا، ولا أمة، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة).[4] وقال أبو بكر – رضي الله عنه –: (إن رسول الله – ﷺ – قال: لا نُورث، ما تركنا صدقة).[5]

ثبات أبي بكر وذهول عمر ومبايعة الخليفة:

وعن عائشة – رضي الله عنها – : (أن رسول الله – ﷺ – مات وأبو بكر بالسنح – قال إسماعيل : يعني بالعالية – فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله – ﷺ –. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله – ﷺ – فقبله. قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقنَّك الله

---

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 5674.
[2] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4586.
[3] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4462.
[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4461.
[5] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3092.

الموتتين أبدا. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا – ﷺ – فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾[الزمر الآية:30]. وقال: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[آل عمران الآية:144]. فنشج الناس يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزارء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعدا. فقال عمر: قتله الله).[1]

تجهيز النبي ﷺ وغسله ودفنه:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (لما أرادوا غسل النبي– ﷺ – قالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله – ﷺ – من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن غسلوا النبي – ﷺ – وعليه ثيابه، فقاموا إلى رسول الله – ﷺ – فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق

[1] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 3667.

القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم وكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه).[1]

وكان ذلك يوم الثلاثاء، وهو اليوم التالي لوفاته – ﷺ –، وغسله العباس وعلي والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولى رسول الله – ﷺ – وأسامة وأوس بن خولي...ثم حفروا له قبرا في حجرة عائشة — رضي الله عنها –...[2]

وقالت عائشة – رضي الله عنها –: (إن رسول الله – ﷺ– كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية[3]، ليس فيها قميص ولا عمامة).[4]

وصلى عليه الناس أرسالا أرسالا... ودفن ليلة الأربعاء...[5]

وقال أنس بن مالك – رضي الله عنه –: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله – ﷺ – المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، ونفضنا عن رسول الله – ﷺ – الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا).[6]

وقالت فاطمة – رضي الله عنها – لأنس – رضي الله عنه – بعد دفن النبي – ﷺ –: (يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله – ﷺ — التراب).[7]

استغرق مرض النبي – ﷺ – عشرة أيام – والأكثر ثلاثة عشر يوما – ومات في يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول.إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

[1] – صحيح سنن أبي داود رقم 3141 للألباني وحسنه.

[2] – أنظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 694.

[3] – نسبة إلى سحول ، وهي قرية باليمن.

[4] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 1273.

[5] – أنظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص 694.

[6] – صحيح الترمذي رقم 3618. للألباني وصححه. وقال ابن كثير في البداية والنهاية 239/3: إسناده على شرط الشيخين.

[7] – رواه البخاري في الجامع الصحيح رقم 4462.

قال حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ:

بطَيْبَـــةَ رَسْـــمٌ لِلرّسُـــولِ وَمَعْهَـــدُ مُنِيــرٌ وَقَــدْ تَعْفُــو الرّسُــومُ وَتَهْمُــدُ
ولَــا تَمتَحِــي الْآيَــاتُ مِــنْ دَارِ حُرْمَــةٍ بِهَا مِنْبَــرُ الْهَــادِي الّــذِي كَــانَ يَــصْعَدُ
وَوَاضِــحُ آثَــارٍ وَبَــاقِي مَعَــالِمَ وَرَبْــعٌ لَــهُ فِيــهِ مُــصَلّى وَمَــسْجِدُ
بِهَا حُجُــرَاتٌ كَــانَ يَنْــزِلُ وَسْــطَهَا مِــنْ اللّــهِ نُــورٌ يُسْتَــضَاءُ وَيُوقَــدُ
مَعَارِفُ لَــمْ تُطْمَــسْ عَلَــى الْعَهْــدِ آيُهَا أَتَاهَــا الْبِلَــى فَالْــآيُ مِنْهَــا تَجَــدّدُ
عَرَفْتُ بِهَــا رَسْــمَ الرّسُــولِ وَعَهْــدَهُ وَقَبْرًا بِهَــا وَارَاهُ فِــي التّــرْبِ مُلْحِــدُ
ظَلِلْت بِهَــا أَبْكِــي الرّسُــولَ فَأَسْــعَدَتْ عُيُونٌ وَمِثْلَاهَــا مِــنْ الْجَفْــنِ تُــسْعَدُ
يُــذَكّرْنَ آلَــاءَ الرّسُــولِ وَمَــا أَرَى لَهَــا مُحْــصِيًا نَفْــسِي فَنَفْــسِيّ تَبَلّــدُ
مُفَجّعَــةً قَــدْ شَــفّهَا فَقْــدُ أَحْمَــدَ فَظَلّــتْ لِآلَــاءِ الرّسُــولِ تُعَــدّدُ
وَمَا بَلَغَــتْ مِــنْ كُــلّ أَمْــرٍ عَــشِيرَهُ ولَكِنْ لِنَفْــسِي بَعْــدَ مَــا قَــدْ تَوَجّــدُ
أَطَالَتْ وُقُوفًــا تَــذْرِفُ الْعَــيْنَ جُهْــدَهَا عَلَــى طَلَــلِ الْقَبْــرِ الّــذِي فِيــهِ أَحْمَــدُ
فَبُورِكْتَ يَــا قَبْــرَ الرّسُــولِ وَبُورِكَــتْ بِلَــادٌ ثَــوَى فِيهَــا الرّشِــيدُ الْمُــسَدّدُ
وَبُــورِكَ لَحْــدٌ مِنْــكَ ضُــمّن طَيّبًــا عَلَيْــهِ بِنَــاءٌ مِــنْ صَــفِيحٍ مُنَــضّدُ
تَهِيــلُ عَلَيْــهِ التّــرَبَ أَيْــدٍ وَأَعْــيُنٍ عَلَيْــهِ وَقَــدْ غَــارَتْ بِــذَلِكَ أَسْــعَدُ
لَقَــدْ غَيّبُــوا حُلْمًــا وَعِلْمًــا وَرَحْمَــةً عَــشِيّةَ عَلّــوْهُ الثّــرَى لَــا يُوَسّــدُ
وَرَاحُــوا بِحُــزْنٍ لَــيْسَ فِــيهِمْ نَبِــيّهُمْ وَقَــدْ وَهَنَــتْ مِــنْهُمْ ظُهُــورٌ وَأَعْــضُدُ
يُبَكّــونَ مَــنْ تَبْكِــي الــسّمَوَاتُ يَوْمَــهُ وَمَنْ قَدْ بَكَتْــهُ الْــأَرْضُ فَالنّــاسُ أَكْمَــدُ
وَهَــلْ عَــدَلَتْ يَوْمًــا رَزِيّــةُ هَالِــكٍ رَزِيّــةَ يَــوْمٍ مَــاتَ فِيــهِ مُحَمّــدُ ؟
تَقَطّــعُ فِيــهِ مَنْــزِلُ الْــوَحْيِ عَــنْهُمْ وَقَــدْ كَــانَ ذَا نُــورٍ يَغُــورُ وَيُنْجَــدُ
يَدُلّ عَلَــى الــرّحْمَنِ مَــنْ يَقْتَــدِي بِــهِ وَيُنْقِــذُ مِــنْ هَــوْلِ الْخَزَايَــا وَيُرْشِــدُ
إمَــامٌ لَهُــمْ يَهْــدِيهِمْ الْحَــقّ جَاهِــدًا مُعَلّــمُ صِــدْقٍ إنْ يُطِيعُــوهُ يُــسْعَدُوا
عَفُــوٌ عَــنْ الزّلّــاتِ يَقْبَــلُ عُــذْرَهُمْ وَإِنْ يُحْــسِنُوا فَاَللّــهُ بِــالْخَيْرِ أَجْــوَدُ
وَإِنْ نَــابَ أَمْــرٌ لَــمْ يَقُومُــوا بِحَمْلِــهِ فَمِــنْ عِنْــدِهِ تَيْــسِيرُ مَــا يُتَــشَدّدُ

فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللّهِ بَيْنَهُمْ   دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطّرِيقَةِ يُقْصَدُ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنْ الْهُدَى   حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثَنّى جُنَاحَهُ   إلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ

فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النّورِ إذْ غَدَا   إلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنْ الْمَوْتِ مُقْصِدُ

فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إلَى اللّهِ رَاجِعًا   يُبَكّيهِ حَقّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ

وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحُرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا   لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنْ الْوَحْيِ تُعْهَدُ

قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللّحْدِ ضَافَهَا   فَقِيدٌ يُبَكّينَهُ بَلَاطٌ وَغَرْقَدُ

وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ   خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمّ أَوْحَشَتْ   دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ

فَبَكّي رَسُولَ اللّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً   وَلَا أَعْرِفَنّكِ الدّهْرَ دَمْعُك يُجْمَدُ

وَمَا لَكِ لَا تَبْكِينَ ذَا النّعْمَةِ الّتِي   عَلَى النّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يُتَغَمّدُ

فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدّمُوعِ وَأَعْوِلِي   لِفَقْدِ الّذِي لَا مِثْلُهُ الدّهْرَ يُوجَدُ

وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمّدٍ   وَلَا مِثْلُهُ حَتّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

أَعَفّ وَأَوْفَى ذِمّةً بَعْدَ ذِمّةٍ   وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنَكّدُ

وَأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطّرِيفِ وَتَالِدٍ   إذَا ضَنّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ

وَأَكْرَمَ صِيتًا فِي الْبُيُوتِ إذَا انْتَمَى   وَأَكْرَمَ جَدّا أَبْطَحِيّا يُسَوّدُ

وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَا   دَعَائِمَ عِزّ شَاهِقَاتٍ تُشَيّدُ

وَأَثْبَتَ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبَتًا   وَعُودًا غَذّاهُ الْمُزْنُ فَالْعُودُ أَغْيَدُ

رَبّاهُ وَلِيدًا فَاسْتَتَمّ تَمَامُهُ   عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبّ مُمَجّدٌ

تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفّهِ   فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرّأْيُ يُفْنَدُ

أَقُولُ وَلَا يُلْقَى لِقَوْلِي عَائِبٌ   مِنْ النّاسِ إلّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ

وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ   لَعَلّي بِهِ فِي جَنّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ

مَعَ الْمُــصْطَفَى أَرْجُــو بِــذَاكَ جِــوَارَهُ   وَفِي نَيْــلِ ذَاكَ الْيَــوْمِ أَسْــعَى وَأَجْهَــدُ [1]

[1] - سيرة ابن هشام 324/4 إلى 327

- القرآن الكريم.

(أ)

1- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، نشر دار إحياء التراث-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.

2- أطلس تاريخ الإسلام، للدكتور حسين مؤنس، نشر دار الزهراء للإعلام العربي- القاهرة-مصر، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.

3- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد سيدة في قلب المصطفى، للدكتور عبده يماني، نشر مؤسسة علوم القرآن-دمشق-سوريا،الطبعة الثانية:1422هـ-2001م.

4- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1399هـ.

5- الإسلام وفلسفة الحكم، للدكتور محمد عمارة، نشر دار الشروق، الطبعة الرابعة.

6- الإصابة في تميز الصحابة، للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل-بيروت-لبنان، طبعة سنة 1412هـ-1992م.

7- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للإمام أحمد بن عبد القادر بن محمد المقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، نشر دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.

8- الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، للإمام أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د/محمد كمال الدين عز الدين علي، نشر دار عالم الكتب-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ.

9- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (السيرة الحلبية)، للإمام علي بن برهان الدين الحلبي، نشر دار المعرفة-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1400هـ-1980م.

(ب)

10- البداية والنهاية، للإمام ابن كثير، تحقيق: د/أحمد أبو ملحم وآخرون، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الاولى: 1405هـ-1985م.

11- بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام نور الدين الهيثمي، تحقيق: الأستاذ عبد الله الدرويش، نشر دار الفكر، طبعة سنة 1994.

(ت)

12- تاريخ الإسلام، للإمام الذهبي، نشر دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1407هـ-1987م.

13- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس)، للدكتور حسن إبراهيم حسن، نشر دار الجيل، الطبعة 13 سنة 1991م.

14- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر(السيرة النبوية)، للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميد، نشر دار الدعوة-الإسكندرية-مصر، طبعة سنة 1426هـ-2005م.

15- تاريخ الطبري، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، تحقيق: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف-القاهرة-مصر، الطبعة الثانية: 1384هـ-1967م.

16- الترغيب والترهيب، للإمام زكي الدين عبد العظيم المنذري، نشر دار الفجر للتراث- القاهرة-مصر، الطبعة الأولى:1421هـ.

17- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، للإمام عبد الرحمن بن الجوزي، نشر مكتبة الآداب-القاهرة-مصر.

18- تهذيب سيرة ابن هشام، للأستاذ عبد السلام هارون، نشر دار الهدى-عين مليلة-الجزائر، طبعة سنة 2002م.

(ج)

19- جامع البيان في تفسير القرآن، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، نشر دار المعرفة-بيروت-لبنان، طبعة سنة 1412هـ-1992م.

20- جزيرة العرب، للدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة، نشر دار الوفاء-المنصورة-مصر.

21- الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيام، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، نشر المكتبة السلفية، الطبعة الأولى: **1400**هـ.

22- الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، نشر مكتبة ابن تيمية-القاهرة-مصر، الطبعة الأولى: **1416**هـ-**1995**م.

23- جزيرة العرب، للدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة، نشر دار الوفاء-المنصورة-مصر.

24- جوامع السيرة النبوية، للإمام ابن حزم الأندلسي، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.

(ح)

25- حياة محمد ورسالته، لمولانا محمد علي، تعريب: منير البعلبكي، نشر دار العلم للملاين-بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: **1967**م.

(خ)

26- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، للإمام يحيى بن شرف الدين النووي، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: **1418**هـ.

27- خلاصة سير سيد البشر، لإمام محب الدين الطبري، تحقيق: د/زهير إبراهيم الخالد، نشر مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-دولة قطر-، الطبعة الأولى: **1461**هـ.

(د)

28- دراسات قي السيرة النبوية،للدكتور علي محمد جماز، نشر دار القلم-الكويت، الطبعة الأولى: **1402**هـ-**1982**م.

29- دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية، للدكتور عبد السلام بن محسن آل عيسى، نشر وزارة التعليم العالي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة-السعودية، الطبعة الأولى: 1423هـ-2002م.

30- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، نشر مكتبة الفيصلية، الطبعة الأولى: 1413هـ.

31- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مؤسسة ومكتبة الخافقين.

32- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه: د/عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.

33- الدولة العربية الإسلامية الأولى، للدكتور عصام محمد شبارو، نشر دار النهضة العربية-بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة:1995م.

(ر)

34- رحمة للعالمين، للقاضي محمد سليمان المنصورفوري، تعريب: د/مقتدى حسن ياسين الأزهري، نشر الدار السلفية-بومباي-الهند، الطبعة الثانية: 1412هـ-1992م.

35- الرحيق المختوم، للشيخ صفي الدين المباركفوري، نشر دار القلم-حلب-سوريا، طبعةسنة 1424هـ-2003م.

36- الروض الأنف، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نشر دار إحياء التراث-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1421هـ- 2000م.

(ز)

37- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، نشر دار الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السادسة: 1404هـ-1984م.

(س)

38- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ﷺ، للشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: الأستاذ مصطفى عبد الواحد وزملاؤه، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-مصر، طبعة سنة 1418هـ-1997م.

39- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الألباني، نشر مكتبة المعارف، طبعات في سنوات مختلفة.

40- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الألباني، نشر مكتبة المعارف، طبعات في سنوات مختلفة.

41- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1388هـ.

42- سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى سورة الترمذي، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.

43- سيرة ابن كثير، للإمام ابن كثير، تحقيق: الأستاذ مصطفى عبد الواحد، نشر دار المعرفة-بيروت-لبنان، طبعة سنة 1396هـ-1971م.

44- سيرة الرسول (صورة مقتبسة من القرآن الكريم)، للأستاذ محمد عزة دروزة، نشر منشورات المكتبة العصرية-صيدا-لبنان.

45- السيرة النبوية، للإمام ابن هشام، حققها: الأستاذ مصطفى السقا وزملاؤه، نشر دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان.

46- السيرة النبوية، للشيخ أبي الحسن الندوي، نشر دار الشروق-مكة-السعودية، الطبعة الثامنة: 1409/1410هـ- 1989م.

47- السيرة النبوية دروس وعبر، للدكتور مصطفى السباعي، نشر الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الطبعة الثالثة: 1405هـ-1985م.

48- السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري، نشر مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة-السعودية، الطبعة السادسة: 1415هـ-1994م.

49- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، للدكتور علي محمد محمد الصلابي، نشر دار الإيمان-الإسكندرية- مصر، طبعة سنة 2002م.

50 – السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، نشر دار الطباعة المحمدية بالأزهر-القاهرة-مصر، طبعة سنة 1390هـ-1970م.

51- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى: 1412هـ-1992م.

(ش)

52- الشذرات الذهبية في السيرة النبوية، للشيخ أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني، نشر على نفقة محسنة.

53- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للإمام القسطلاني، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالد، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1966م.

(ص)

54- صحيح السيرة النبوية (السيرة الذهبية)، للدكتور محمد بن رزق الطهروني، نشر دار ابن تيمية-القاهرة-مصر، الطبعة الأولى: 1410هـ.

55- صحيح السيرة النبوية، للأستاذ إبراهيم العلي، نشر دار النفائس-عمان-الأردن، الطبعة الأولى:1415هـ-1995م.

56- صحيح السيرة النبوية لابن كثير، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتبة الإسلامية-عمان-الأردن، الطبعة الأولى: 1421هـ.

57- صحيح سنن ابن ماجة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر كتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى: 1407هـ.

58 – صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر كتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى: 1409هـ.

59- صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر كتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى: 1409هـ.

60- صحيح سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر كتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى: 1409هـ.

61- الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، نشر مكتبة دار القدس، الطبعة الأولى:1411هـ.

(ط)

62- الطبقات الكبرى، للإمام محمد بن سعيد بن منيع الزهري، تحقيق: الأستاذ علي محمد علين نشر مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى: 1421هـ-2001م.

(ع)

63- عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، للشيخ عبد الوهاب عبد السلام طويلة، والدكتور محمد أمين شاكر حلواني، نشر دار القلم-دمشق-سوريا.

64- العلاقات العامة في عصر النبوة، للدكتور مصطفى الدمبري، نشر مكتبة المنارة-مكة المكرمة-السعودية، الطبعة الأولى: 1988م.

65- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، للإمام أبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، تحقيق: د/محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، نشر مكتبة دار التراث-المدينة المنورة، ودار ابن كثير- دمشق.

(غ)

66- غزوة مؤتة والسرايا والبعوث الشمالية، للأستاذ بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-المدينة المنورة- السعودية، الطبعة الأولى: 1424هـ-2004م.

(ف)

67- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة-بيروت-لبنان.

68- الفصول في سيرة الرسول ﷺ، للإمام ابن كثير، تحقيق وتعليق: محمد العيد الفطراوي ومحي الدين مستو، نشر مؤسسة علوم القرآن-دمشق-سوريا، الطبعة الثالثة: **1402**هـ-**1403**م.

69- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة رحاب-الجزائر، طبعة سنة **1987**م.

70- فقه السيرة النبوية، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، نشر دار الفكر-الجزائر، الطبعة الحادية عشرة: **1412**هـ-**1991**م.

71- فقه السيرة النبوية، للأستاذ منير محمد الغضبان، نشر وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى-السعودية، طبعة سنة **1419**هـ.

72- الفوائد، للإمام ابن القيم الجوزية، نشر دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية: **1393**هـ- **1973**م.

73- في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب، نشر دار الشروق ـ القاهرة ـ مصر ، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون: **1417** هـ ـ **1996**.

(ق)

74- القدوة في السيرة النبوية، للدكتور أحمد رجب الأسمر، نشر دار الفرقان-عمان-الأردن، الطبعة الأولى: **1425**هـ-**2004**م.

75- القول المبين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ محمد الطيب النجار، نشر دار الندوة الجديدة-بيروت-لبنان.

(ك)

76- الكامل في التاريخ، للإمام أبي المكارم محمد ابن الأثير، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الاولى: **1404**هـ-**1987**م.

(م)

77- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للشيخ أبي الحسن الندوي، نشر دار المعارف، الطبعة السابعة: **1408**هـ-**1988**م.

78- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر مؤسسة المعارف، طبعة سنة 1406هـ.

79- مجموع الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، للدكتور محمد حميد الله الحيدرى آبادي، نشر مكتبة مدبولي-القاهرة-مصر، الطبعة الثانية: 1941م.

80- محمد رسول الله ﷺ، للأستاذ محمد رضا، نشر دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، طبعة سنة 1395هـ-1975م.

81- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، للأستاذ سيد أمير علي، تعريب: رياض رأفت، نشر دار الأفاق-مصر، الطبعة الأولى: 2001م.

82- مختصر سيرة ابن هشام، إعداد: محمد عفيف الزعبي، نشر دار النفائس-بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: 1399هـ-1979م.

83- مختصر سيرة الرسول، للإمام عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نشر دار الفيحاء-دمشق-سوريا بالاشتراك مع مكتبة السلام-الرياض-السعودية، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.

84- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: د/ مقبل الوادعي، نشر دار الحرمين للطباعة والنشر-القاهرة-مصر، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.

85- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، نشر عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى: 1374هـ.

86- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، نشر دار الجيل.

87- مرويات غزوة بني المصطلق، للأستاذ إبراهيم قريبي، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-المدينة المنورة- السعودية.

88- مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة، للأستاذ حافظ بن محمد عبد الله الحكمي، نشر مطابع الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة-السعودية، الطبعة الأولى: 1406هـ.

89- مرويات غزوة الخندق، للأستاذ إبراهيم بن محمد المدخلي، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-المدينة المنورة- السعودية، الطبعة الأولى: 1424هـ.

90- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، للإمام عبد الرحيم بن الحسين العراقي، نشر دار صادر، الطبعة الأولى: 2000م.

91- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، نشر دار الساقي، الطبعة الرابعة: 1422هـ- 2001م.

92- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، للأستاذ أحمد إبراهيم الشريف، نشر دار الفكر العربي.

93- موسوعة عالم التاريخ والحضارة، للدكتور وهيب أبي الفضل، نشر طبعة نوبليس.

(ن)

94- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ محمد عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، تحقيق: هيثم هلال، نشر دار المعرفة-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م.

(هـ)

95- هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، نشر مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة-السعودية، الطبعة الثانية: 1421هـ-2001م.

الفهرس